المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة



الماسونية العالمية

بحث عن المنشأ والأهداف النهائية للحرب العالمية الأولى

بحث عن المنشأ والأهداف النهائية للحرب العالمية

تأليف: فريدريــش فيختــل
ترجمة: عثمان محمد عثمان

1691

الماسونية العالمية

(بحث عن المنشأ والأهداف النهائية للحرب العالمية الأولى)

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1691
- الماسونية العالمية: بحث فى المنشأ والأهداف النهائية للحرب العالمية الأولى
- فريدريش فيختل
- عثمان محمد عثمان
- الطبعة الأولى2010

هذه ترجمة كتاب:

Weltfreimaurerei, Weltrevolution, Weltrepublik
Eine Vntersuchung über Ursprung und
Endziehle des Weltkrieges
Von: Dr. Friedrich Wichtl

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

الماسونية العالمية

(بحث عن المنشأ والأهداف النهائية للحرب العالمية الأولى)

تأليف: فريدريش فيختــل

ترجمة: عثمان محمد عثمــان

2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فيختل، فريدريش.
الماسونية العالمية (بحث عن المنشأ والأهداف النهائية للحرب العالمية)/ تأليف: فريدرش فيختل ، ترجمة: عثمان محمد عثمان؛
ط ١ – القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٠
٢٦٠ ص، ٢٤ سم
١ – الماسونية
(أ) عثمان، عثمان محمد (مُترجم)
٢ – العنوان ٣٦٦,١

رقم الإيداع: ١٤٧٨٠ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 - 704 - 188 - 1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

الجزء الثالث

الجزء الرابع

مقدمة المترجم

هذا كتاب أثري مطبوع منذ نحو مائة عام (١٩١٩) سوف نجد فيه من ضمن ما نجد، انقلابًا على ثوابت تاريخية ورموز طالما سلمنا بأنهم محررون لشعوبهم وأبطال قوميون، فالقارئ للتاريخ يجد أمامه تلك الثوابت كبديهيات وأمور مسلمة... أما هنا فالمؤلف يتفحص تلك الثوابت من خلال مجهر دقيق، فإذا بعالم آخر يتكشف أمامنا... عالم يشغي بكائنات حية دقيقة لا ترى بالعين المجردة، تروح وتجئ هنا وهناك، تبني هنا وتهدم هناك.... تقيم دولاً وتهدم ممالك... تنخر في الأجسام الصلدة فتفتتها وتشيد مكانها أصنامًا جديدة، عالم مختلف تمامًا عن عالمنا المرئي بالعين المجردة، ومن خلال تلك "النظرة الميكروسكوبية" للحياة الحاضرة في زمانه وما سبقها من تاريخ يضاء أمامنا ضوء تحذيري يدعونا لمراجعة كل ما تبدي أمامنا في حياتنا الحاضرة في زماننا وما سبقها. ذلك أننا إذا ما استعنا بعلم الرياضيات في تطبيق مبدأ "الاستكمال من الخارج **(Extrapolation)** سوف نجد نفس هذا المسار يمتد نحو عصرنا الحاضر. فما الذي يحول دون ذلك طالما أن الذي يحرك التاريخ هو تلك الكائنات غير المرئية والتي تعمل في الخفاء وتنشط في الغياهب ويؤدي أفرادها قسمًا رهيبًا على الصمت والكتمان، فهو اذن تنظيم اخطبوطي تمتد أذرعه حول العالم وتطبق عليه.

ويتناول الكتاب ذلك التنظيم الماسوني وكيف نشأ وما هي طقوسه وقوانينه وذلك بتفصيل شديد، كما يتناول بداياته التاريخية ونموه وانتشاره ثم هيمنته على نظم الحكم وتأليبه للثورات وتحريضه على الانقلابات والاغتيالات في شتى الدول الأوربية. وكذلك تركيا والأمريكتين. كما يتناول تغلغل اليهود فيه وأحكام سيطرتهم عليه بعد ما يربط ما بين طقوسه ورموزه وبين الرموز والمعتقدات اليهودية، مثل

"هيكل سليمان" وأسطورة "حيرام" باني الهيكل "ونجمة داود السداسية" إلخ..... ودور اليهود الماسونيين في إلغاء تدريس الدين في دول شتى وفي فصل الكنيسة عن الدولة، وكذلك في حزب "تركيا الفتاة: الذي كان يتكون من يهود وأرمن ويونانيين ودور الماسونيين فيه وفي نجاح ثورة تركيا.

كذلك يتناول الثورة الفرنسية الكبرى (١٧٨٩) وشعارها البراق وكيف أنه تم اشتقاقه من شعارات الماسونية. ويأتي باعترافات من الماسونيين أنفسهم بدورهم القائد في تلك الثورة، ثم باسماء لامعة ارتبطت بالثورة طالما نظرنا لهم بإعجاب وانبهار ويثبت انتماؤهم للماسونية كقوة دفع لتلك الثورة، ابتداء من "فولتير" نفسه، ثم "لافايت" و"مونتسكيو" و"ميرابو" و"روبسبير" ثم ارتباط زعماء كانوا بمثابة أبطال في بلادهم بالماسونية أمثال "نابليون بونابرت" و"جاريبالدي" وكذلك رؤساء أمريكيين مشاهير أمثال "جورج واشنطن" و"جيفرسون" و"بينامين فرانكلين" و"ويلسون" و"تيودور روزفلت" كذلك "كليمنصو" في فرنسا "ولويد جورج" في بريطانيا... إلخ..... إلخ. كما يؤكد أن الغالبية الكبيرة لمجلسي النواب والشيوخ في الولايات المتحدة هي من الماسونيين، وأنه يستحيل أي صعود سياسي في أمريكا بدون الماسونيين (وهذا الكلام منذ مائة عام فما بالنا الآن؟). ويأتي على قول خطير هو عبارة عن منشور صادر عن الرئيس الأعلى للماسونيين الأمريكيين وموجه لكل الماسونيين نستشف من مضمونه بسهولة نفس الروح والتوجه الذي نجده في أيامنا هذه لما يسمون "المحافظون الجدد" في الولايات المتحدة!.

أما عن مصر، فقد جاء ذكرها أيضًا في هذا الكتاب وذلك حين يذكر أنه تم استقدام مذهب ماسوني اسمه "مصرابيم" (وهو الاسم العبري لمصر) من مصر إلى فرنسا وألمانيا في القرن التاسع عشر بواسطة ثلاثة أخوة يهود، كذلك كان هناك مذهب ماسوني آخر اسمه "ممفيس" اسسه يهودي مصري آخر اسمه "صمويل هونيس" من القاهرة وأدخله عام ١٨١٤ (!) إلى فرنسا وألمانيا أيضًا. وهذا معناه

ان الماسونية في مصر موغلة في القدم ونشأت على أيد يهودية... والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الشأن.... هو هل نطبق هنا أيضًا نظرية – "الاستكمال من الخارج (**Extrapolation**)؟

قد يتساءل القارئ: وما هي درجة مصداقية هذا الكتاب؟ بالذات وأننا لا نعرف شيئًا عن المؤلف سوى أنه يضع لقب "دكتور" قبل اسمه ويعرّف نفسه بأنه نائب برلماني وسياسي نمساوي؟ والرد على ذلك يسير، فأولاً المؤلف يدون أحداثًا معاصرة له يعايشها فعلاً وليست بماض بعيد أتى إليه من خلال "عنعنات" كثيرة، ثانيًا، وهو الأهم والأخطر، أنه ما من معلومة صغيرة ولا كبيرة ولا شاردة أو واردة جاء ذكرها إلا ووثقها من واقع وثائق ماسونية ونشرات رسمية وإصدارات ماسونية يذكرها بالاسم والتاريخ ورقم العدد، بل ورقم الصفحة ويضعها في سياق النص أو في الهوامش، أي أنه يستشهد عليهم بهم! ولقد تعمدت ذكر تلك الهوامش في الترجمة العربية كما هي في الأصل على الرغم من أنها قد لا تهم القارئ. وذلك تأكيدًا لتلك الحقيقة ومن باب الأمانة العلمية وأود أن أنوه هنا عن حادثة معينة يستهل بها المؤلف كتابه ويتخذها نقطة انطلاق له.... ألا وهي حادثة اغتيال ولي عهد النمسا الأرشي دوق "فرانتس فرديناند" التي تمت بواسطة متطرفين صرب (٢٨ يونيو ١٩١٤) في مدينة "سراييفو" والتي تعتبر بمثابة الشرارة الأولى لاندلاع الحرب العالمية (الأولى). وقد كانت النمسا والمجر آنذاك متوحدتين في مملكة واحدة تحت زعامة العرش النمساوي (عائلة هابسبورج).

كما أن هناك مصطلحات قد تبدو غريبة لبعض القراء، على سبيل المثال: "إسبرانتو" (لغة معاونة ابتدعها الطبيب البولندي "زامنهوف" عام ١٨٨٧) و"إكليروس" (كهنوتي أو كنسي). أو "تابوت العهد" (في المعتقدات اليهودية هو الصندوق الذي يحتوي على ألواح موسى) أو "أولجاركية" (حكم الصفوة)، أو "تيوتونيه" (الجنس الجرماني الحاكم). أو "بوربون" (العائلة المالكة في فرنسا قبل

الثورة). أو "إكلكتيكي" (تفضيلي أو اصطفائي)...إلخ....إلــخ.. فرجـاء الــصبر، والمهم هو التوصل للمعنى. وأنا في خدمة أي استفسار في هذا الشأن.

كلمة أخيرة عن الكيفية التي حصلت بها على هذا الكتاب، فقد أهدانيه صديق أردني في فترة الستينيات من القرن الماضي إبان إقامتي في النمسا للدراسة وكــان يشتغل بجمع العاديات والتحف القديمة والإتجار فيها، وذلك لعلمه بشغفي بــالقراءة والاطلاع. وقد احتفظت به طوال تلك السنين قبل ان أبدا في قراءته منــذ بــضع سنين. واكتشفت أهميته القصوي وخطورة موضوعاته مما شجعني على البدء فــي ترجمته على رغم مما كابدته من صعوبات جمة. جاء في مقدمتها تلك الحــروف الألمانية القديمة غير المتداولة في زماننا والتي تمت طباعته بها.

وأرجو أن أكون عند حسن ظن القارئ الكريم

عثمان محمد عثمان

الجزء الأول

مقدمة ونظرة شاملة

تبين بشكل أكيد من خلال محاكمة قاتلي ولي عهد النمسا وحرمه أن مخطط الاغتيال لم يكن هو فقط الذي انطلق من المحفل الماسوني الأكبر "جراند أورينت دو فرالنس" في باريس، ولكن بعض القتلة كانوا هم أيضًا من الماسونيين. كما ثبت أيضًا أن الأموال – والتي لم يتقاض المغتالون إلا أقل القليل منها – كانت هي أيضًا من مصدر ماسوني. وعلى كل حال فإن اتهام الماسونيين هنا بالمشاركة الفعالة في ارتكاب مثل هذا الجرم البشع ليس هو الأول من نوعه كما أنه لا ينطلق جزافًا، كما أن لهذا الاتهام أبعادًا هائلة، بحيث يبدو من الأهمية بمكان البحث في حقيقة الماسونية ومنشآتها وأهدافها النهائية.

كانت اتحادات الماسونيين (البنائين) الأحرار في الأساس عبارة عن روابط للبنائين والنحاتين ومعلمي البناء، روابط مثلها مثل غيرها، حيث يتم فيها نقل أسرار فن البناء بواسطة المعلمين إلى الزملاء والصبية (المتدربين) ولم تزدهر هذه الماسونية الحرفية والتي ترجع تعاليمها إلى القرن الثالث عشر والرابع عشر في ألمانيا فقط، ولكنها ازدهرت أيضًا في إنجلترا وسكوتلندا، وبانحدار فن البناء تراجعت أيضًا الماسونية الحرفية.

وفي عام ١٧١٧ قررت أربعة محافل ماسونية حرفية في لندن ووستمنستر ان تندمج في محفل أكبر، وتم انتخاب "معلم كبير"، وفي نفس الوقت تم إعادة هيكلة الطقوس والدستور، حيث انضم لهم بعض الأساتذة وعلماء الدين وغيرهم.

وتم الإبقاء على الاسم: بنّاء حر (ماسوني حر) وكذلك درع البناء القديم وخاتم السر (العلامة والكلمة والمقبض) وكذلك تاريخ الأسطورة القديمة والتي هي

في مضمونها عبارة عن تاريخ فن البناء، كما تم إعادة تشكيل اللوائح وطبعها في الشكل الجديد(١٧٢٣).

وتشدد أول "الالتزامات القديمة" على الأعضاء طاعة قانون الأخلاقيات والتسامح، غير أنه وعلى عكس الأزمان السابقة يتحتم على الأعضاء الالتزام بدين يتوافق فيه كل البشر، بمعنى أن يكونوا رجالاً طيبين ومخلصين وشرفاء وعادلين، حتى وأن اختلفوا في الجنس والعقيدة.

وهكذا تصبح الماسونية هي "مركز التوحد ودعم الصداقة الوفية بين الأفراد الذين كانوا في تباعد دائم".

وطرأ على الماسونية الحرة تغير مهم حين قبلت أعضاء لا علاقة لهم برابطة البنائين، حيث تم إضفاء الصفة الروحية عليها بدلاً من الماسونية الحرفية، أي أنها أصبحت "ماسونية روحية" (ماسونية معنوية).

كذلك تم إجراء تعديل في "الواجبات" التي كانت في الأصل مدونة في كلمات قليلة واضحة، فأصبحت تقبل تفسيرات ومعاني شديدة التباين بسبب تعمد صياغتها بشكل مبهم، فمن الممكن مثلاً أن نستشف بوضوح من خلال التعليمات الجديدة أن الماسوني الحر يحق له تحت اشتراطات معينة ان ينشر الترويع والثورات، على ألا يؤدي ذلك إلى الإضرار بشئون الماسونية.

والبعض تمادى في هذا التفسير إلى الحد الذي يجعل الترويع "التزامًا" وذلك تحت ظروف معينة.

فكذلك كتبت النشرة الماسونية "ذا فري ميزونس كرونيكل" **(The freemasons chronicle)** (لندن،١٨٧٥، ١- صفحة ٨١).الأتي بالنص: "إذا حاولنا الادعاء بأنه من غير المسموح للماسونيين الأحرار تحت أي ظرف اللجوء للسلاح لمواجهة حكومة سيئة، فإننا بذلك ندينهم في أحيان معينة بأنهم قد اخترقوا

التزامهم الوطني الأعلى والأقدس، فالترويع هو بمثابة التزام مقدس في بعض الظروف".

وتلك الصياغة ليست هي الوحيدة في هذا الصدد، حيث من الممكن الاستدلال بعشرات الأصوات المشابهة من أكثر الصحف الماسونية اعتبارًا.

وبانضمام دوائر غريبة عن رابطة البنائين أخذت الماسونية الحرة في الازدهار بسرعة فائقة والانتشار الواسع جدًا.وبعد تأسيس المحفل الإنجليزي الكبير تبعه المحفل الأيرلندي (١٧٣٠) والإسكوتلندي (١٧٣٦) والذي امتدت جذوره لمحافل البنائين الإسكدتلنديين القديمة. وقد أدى هذا الانتشار السريع لتلك الاتحادات السرية – والتي كما سوف نرى قد استعملت "حقها في الترويع" بشكل وافر – أدى تلقائيًا إلى قمعها لأسباب أمن الدولة، مثلما حدث في نابولي (١٧٣١) وبولندا (١٧٣٤) وهولندا (١٧٣٥) وفرنسا (١٧٣٧)، وكذلك في أسبانيا...إلخ، أما في النمسا فلقد تم منع تأسيس محافل للماسونية الحرة منذ ١٧٩٤، حيث تتم معاقبتها بتهمة التآمر السري.

غير أن ذلك لم يمنع نشأة عدد محدود من المحافل عندنا، ففي فيينا حاليًا مالا يقل عن ثلاثة عشر محفلاً، على أنها تضطر لممارسة نشاطها الفعلي.

من مدينة "برسبروج" (براتسلافا)، حيث تظهر أمام الشرطة على أنها مجرد اتحادات إنسانية لا علاقة لها بالسياسة.

والآن، ماهو المطلوب من أي فرد "يبحث عن النور"، أي الذي يرغب في أن يكون ماسونيًا؟ "التفكير النبيل والعمل الواثق الموجه للمفاهيم الإنسانية"، كما يجب أن يكون مشاركًا في " البناء الاجتماعي المتسق فنيًا، وكذلك في تكامل البشرية" وعن مدى تطبيق هذه المتطلبات الروحانية الجميلة على الواقع، فذلك ما سيتم توضيحه فيما بعد.

يتشكل الماسونيون في روابط أو ما يسمى بالمحافل، وتتحد هذه الروابط في مجمعات أو محافل كبيرة منتشرة في جميع أنحاء الأرض. ومن العسير الإجابة عن تساؤل، ما إذا كانت الروابط الماسونية هي رابطة سرية أم لا. فالماسونيون أنفسهم يؤكدون على أنهم ليسوا بمنظمات سرية، ولكنهم مجرد مجتمع مغلق. والشيء السري الوحيد حسب ادعائهم هو إشارات التعارف والطقوس. ويؤدي الماسوني قسم الصمت، وأهم علامات التعارف للماسوني تذكره دائمًا بالعقاب الوخيم الذي سيقع عليه إذا حنث بالقسم. وتومئ هذه الإشارات إلى معان مثل: قطع الرقبة، نزع القلب، بقر البطن، ولسنا هنا بصدد التحري عما إذا كانت تلك الإشارات حاليًا هي مجرد معان رمزية.

وينقسم أعضاء المحفل إلى ثلاث درجات: صبية (متدربين) وزملاء ومعلمين، وهذا التقسيم يرجع إلى عهد البنائين الحرفيين، وتشتمل بعض المحافل الكبيرة على إحدى عشرة درجة وخمس وعشرين درجة وأكثر.

فمثلاً يشتمل النظام الإسكتلندي واسع الانتشار على ٣٣ درجة، وكذلك يوجد بعض المحافل الكبرى التي تشتمل على ٩٥ درجة والتي عرفت كيف تلصق بنفسها أكثر الألقاب بريقًا وكذا صلاحيات السلطات العليا وتحاول الدوائر الماسونية الألمانية الاعتذار عن ذلك قائلة أن تلك ما هي إلا مؤسسات للنصب نشأت على أيدي أفاقين، لكن تبقى الحقيقة في أن تلك النظم ذات الدرجات العليا هي تنظيمات قائمة بالفعل وتعمل. وكذلك حقيقة أن معظم المحافل الألمانية تعترف بها وأنها تتمتع بوجاهة اجتماعية فائقة.

ويتعارف الماسونيون فيما بينهم بواسطة إيماءات معينة وكلمات محددة وكذلك طريقة مميزة في السلام بالأيدي. وتوجد لكل درجة شارة تعارف محددة.

وحين يتعرض الماسوني لخطر محدق بحياته أو يتواجد في محنة شديدة فمن حقه استخدام "شارة الاستغاثة" وهنا يتحتم على كل أخ أن يهب لنجدته. ومما

لاشك فيه أن إشارات الاستغاثة تلك لعبت دورًا كبيرًا أثناء الحرب العالمية، لدرجة أن بعض الأخوة ممن التف حول رقابهم فعلاً حبل المشنقة قد تم إنقاذهم بواسطة أحد الإخوان النافذين مع أصحاب القرار.

ومن الطبيعي أن يوجد في المحافل وكذا في المحافل الكبيرة نزاعات لا نهاية لها، والتي ترجع إلى صراع السلطة، حيث تجري محاولات ناجحة لتهدئتها من خلال المؤتمرات. كذلك تم عقد مؤتمرات عالمية بغرض التمهيد لإنشاء اتحاد يشمل كل ماسوني العالم. وقد أدت تلك المؤتمرات إلى إنشاء مكاتب دولية هي بمثابة الأساس لمحفل عالمي أكبر والذي سنتكلم عنه فيما بعد.

ويلزم هنا إلقاء نظرة سريعة على أعداد المحافل الماسونية الفعالة في كل أنحاء العالم، حيث يعمل حاليًا في الرايخ الألماني ثمانية محافل كبيرة، ويبلغ عدد الماسونيين الألمان ٦٢٠٠٠، ويوجد في المجر محفل كبير يشمل ١٠٢ محفل وكذا ٧٥٠٠ أخ. ويوجد في إنجلترا "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا" في لندن ويضم ٣١٥٥ محفل، وكان عدد الأعضاء عام ١٩١٢ هو ٢٢٥٠٠٠ أخ من ضمنهم الأعضاء "الإسكوتش" ذوي الدرجات العليا، وعلى رأس هؤلاء يوجد "المعلم الأكبر" دوق كونوث الأخ "إدوارد السابع"، وبالمناسبة فإنه تم اختيار هذا الدوق يومًا ما بواسطة جزء من التشيك الإنجليز والأمريكيين لكي يلبس تاج الدولة التشيكوسوفاكية القادمة.

ويوجد في إسكوتلندا المحفل الكبير في أدنبرة، حيث يشتمل على ٨٣٠ محفلاً وكذا ٥٠٠٠٠ ماسوني. وفي أيرلندا يتواجد المحفل الكبير في "دبلن" ويضم ٥١٠ محافل ونحو ١٨٠٠٠ أخ. وفي فرنسا يضم "الجراند أوريينت دوفرانس" ٤٧٠ محفلاً، بلغ عدد الأعضاء فيها ٣٣٠٠٠ عام ١٩١٧، حيث تضاعف عددهم في العشر سنوات الأخيرة قبل الحرب، وإلى جانب ذلك يوجد في باريس المحفل الكبير، غير أنه غير معترف به من اتحاد المحافل الكبيرة الألماني، ويشتمل على

١٥٣ محفلاً. وفي عام ١٩١٣ تم تأسيس محفل كبير جديد في فرنسا ذي تأثير قوي وفاعل ومحرض على الحرب.

أما المحفل الكبير في إيطاليا فيحتاج لاهتمام خاص وهو يتواجد في روما ويضم ٥٠٠ محفل لا يمكن إنكار أفعالهم المحرضة على الحرب والتي لا يستطيع أحد اليوم إنكارها، حتى من الماسونيين الألمان أنفسهم. وتوجد محافل كبيرة في كل من هولندا وبلجيكا والدانمرك والسويد والنرويج، وتشترط الدولتان الأخيرتان على الأخوة اعتناق العقيدة المسيحية، كذلك الحال في عدد كبير من المحافل في الرايخ الألماني. وفي سويسرا يوجد المحفل الكبير "ألبينا". والتي يلعب معلمها الأكبر الأسبق الأخ .·. "كارتيه لاتنت" ٣٣.·. دور قيادي في الماسونية العالمية. وفي البرتغال يوجد على رأس المحفل الكبير هناك الأخ .·. "مجاليس ليما" ٣٣.·. والذي يوصم بأنه أحد المتهمين الرئيسيين في الثورة البرتغالية عام ١٩١٠. كما يوجد محافل كبيرة في كل من أسبانيا وروسيا وبولندا ومعظم دول البلقان، وكذا في صربيا والتي حصل "مجلسها الأعلى" (سوبريم كونسيل) على اعتراف اتحاد المحافل الكبيرة الألماني قبل الحرب العالمية بفترة وجيزة. كذلك انتشر وجود المحافل في الولايات المتحدة بشكل كبير، حيث يعمل ٥٥٠٠ محفل تحت رئاسة ١٦ محفلاً كبيرًا وتختلف التقديرات بخصوص عدد الماسونيين في الولايات المتحدة فيما إذا كانوا أعضاء في المحافل "العادلة والكاملة" حسب اعتراف الماسونيين الألمان، أو إذا تم إضافة كل الأعضاء الآخرين الذين يعتبرون أنفسهم تنظيمات ماسونية، ولهذا تتراوح تقديرات ما بين نصف مليون ومليون نصف.

ولابد من التنويه من الآن عن أن كل من له اسم أو منصب أو وجاهة اجتماعية في الولايات المتحدة هو عضو في رابطة ماسونية، فذلك هو الحال مع الرئيس "ويلسون"، وكذا "روزفلت" و"لانسنج". كما يوجد في بقية القارة الأمريكية أعداد كبيرة من المحافل والمحافل الكبيرة، فيوجد في البرازيل وشيلي وباراجواي

وجمهوريات وسط أمريكا مثل كوستاريكا وجواتيمالا وسان سلفادور.. وهكذا حتى في هايتي يوجد ٦٤ محفلاً ومحفل كبير (الـشرق الكبيـر) و٤٠٠٠ أخ! وكـذلك جمهورية العبيد "ليبريا" في أفريقيا والتي أعلنت علينا الحرب يوجد محفـل كبيـر للملونيين والذي يعمل منذ عام ١٨٦٧، كذلك الحال في أستراليا التي يوجـد بهـا ٧٣٩ محفلاً وخمسة محافل كبيرة وعدد ٥٠٠٠٠ عضو وحتى في اليابان ينتـشر وجود الماسونيين مثلما هو الحال في الصين حيث ينشط الأخ "سونياتسن" كدعامـة رائعة للماسونية العالمية. ويمكن تقدير العدد الإجمالي لمحافل الماسونيين في العالم كله بـ ٢٣٦٠٠ محفل، حيث ينتمي لهم نحو ٢,١٧٢,٠٠٠ ماسـوني. وإذا أخـذنا في الاعتبار أن أعضاء المحافل هم قوم طموحون ونشطون وذوو حنكة عالمية كذا هم صحفيون وتجار ومحامون ورجال صناعة ويـضاف لهـم أيـضًا معلمـون وبرلمانيون كثيرون من شتى دول العالم، فيمكن للمرء إذن استخلاص معنـى مـا تمارسه هذه الروابط المنضبطة ذاتيًا من تأثير على الدوائر التابعة لهـا أو حتـى القريبة منها وبالتالي يمكن للمرء أن يـدرك مـدى الأهميـة الواجـب إعطاؤهـا للماسونيين. ولم يكن عبثًا ما قالته صحيفة الماسونيين الإنجليزية. "فري ميـسونز كرونكل" عام ١٩٠٢ (صفحة ٣١٩) "إن عظمة بريطانيا هي من فعل الماسـونية!" وإذا أخذنا في الاعتبار العلاقات العديدة المتبادلة للماسونيين وسعيهم الدائم لانتزاع السلطة في كل مكان واحتواءهم لأكثر الرجال نفوذًا في كل دولة. أو على الأقـل انحيازهم لهم، حينئذ يطل على المرء اشتباه تلقائي بأنه في إمكان هؤلاء الرجال أن يكون لهم دور ملموس في إشعال الحرب العالمية، ويقوي هذا الشك في حالة ما إذا وضعنا نصب أعيننا أن الزعامات الروحية القائدة في القرنين الأخيرين كانوا تقريبًا وبدون استثناء من الماسونيين الطامحين والمؤهلين "لصنع التـاريخ" ابتـداء مـن الأخ.:. "فولتير" الذي حرك الأنفس، مرورًا بالأخ.:. "نـابليون" الأول حتـى الأخ.:. "بوإنكاريه صعودًا، ومن الأخ .:. "بنيامن فرانكلين" والأخ.:. جيفرسـون، والأخ.:. "واشنطن" والأخ.:. "لافايت" حتى "تيودور روزفلت" و"ويلسون" ومـن "ماتيـسني"

و"غاريبا لدي" مرورًا "بأيتوري فيراري و"ارنستو ناتـــان" حتـــى الأخ "ســـونيني" و"سالندرا" وبارتسيلاي" و"دانونتيسو" سلـــسلة واحـــدة! ولاننـــسى الأخ .·. "إدوارد السابع" والذي يتم توقيره وتبجيله من كل ماسونيي العـــالم باعتبـــاره "الماســـوني الأكبر".

ولكي نتيقن ما إذا كان هذا الاشتباه مبررًا، يلزم أن نجري عمليـــة اختبـــار للأهداف السياسية للماسونيين تأسيسًا على وقائع محددة.

في البداية يجب أن نقر بأن الماسونيين الألمان ليست لهم علاقـــة بالـــسياسة بناء على ما تؤكده أغلبيتهم، وهذا ما أقروا به عـــدة مـــرات بـــشكل مقنـــع، أمـــا الماسونية الرومانية (الدول الرومانية هي فرنسا وإيطاليـــا وأســـبانيا والبرتغـــال، المترجم).

والأنجلو أمريكية فهي مختلفة تمامًا، ومن الملفت في هذا الصدر رأي أبـــداه "كارتييه لاتنت"، أحد أكبر الزعماء الماسونيين على الإطـــلاق، حيـــث أقـــر فـــي المـــؤتمر الماســـوني الـــدولي الثـــاني فـــي بـــاريس (٣١ أغـــسطس – ٢ سبتمبر ١٩٠٠).بشكل لا يقبل التأويل أن الهدف الرئيسي للمكتب الماسوني الدولي الذي أسسه بمعرفته (نوينبورج سويسرا) هو تحقيق اتحاد كل القوى الماسونية فـــي جميع أنحاء العالم، لأي غرض؟! "لكي يتحقق للماسونيين قاعدة ارتكاز يمكن لهـــم من خلالها انتشال العالم من فخاخة"، كما أنه قام بتوضيح الهدف النهائي للماسونيين الحاضرين، والذين وفدوا من كل أنحاء العالم، وذلك من خلال كلمة قصيرة وقوية بأنه: "تأسيس الجمهورية العالمية". ويمكن لأحد أن يزعم أن هذا مـــا هـــو إلا رأي فرد واحد، حتى وإن كان هذا الفرد هو معلم أكبر وأخ.·. من الدرجـــة ٣٣ ويتقلـــد مكانة رفيعة في عالم الماسونية.

غير أن هذا الزعم غير قوي، حيث إنه بمثل ما يفكر فيه "كارتييـــه لاتنـــت" يفكر أيضًا جزء أكبر من الأعضاء القياديين للمحافل، وبالذات في فرنسا وإنجلتـــرا

وسويسرا وإيطاليا والولايات المتحدة، وفي أغلب الظن في أماكن أخـرى أيـضًا. ولقد تم طرح الفكر تمامًا في المؤتمر الماسوني الدولي الأولى فـي بـاريس (١٦، ١٧ يوليو ١٨٨٩) والذي تم تكريسه كعيد مئوي فـي ذكـري الثـورة الفرنـسية "المظفرة" عام ١٧٨٩: الهدف المنشود هو الجمهورية العالمية اللادينية" وكما قـال الأخ ∴ "فرانكولين" من جراند أورينت دو فرانس"، والذي تم استجلابه كمتحـدث رئيسي: "سوف يأتي يوم على الشعوب تنهار فيه الملكيات والأديان عندها. ولم يعد هذا اليوم ببعيد وهو اليوم الذي ننتظره"، "وسوف يأتي لنـا هـذا اليـوم بالتـآخي الماسوني للشعوب وللعالم"..."هذا هو الهدف الأعلى المستقبلي الذي يتراوح أمامنا، وشغلنا الشاغل أن نعجل بهذا اليوم للتآخي العالمي العام" (انظر: كونجريه ماسونيك انترناسيونال دوسنتيز ١٧٨٩- ١٨٨٩، باريس، صفحة ١٤٧-١٤٩.

وسوف نسوق مثلاً ثالثًا للقراء المتشككين وذلك قبل اندلاع الحرب العالميـة مباشرةً، حتى يتبين لنا كيف أن هذا الفكر الأساسي يسيطر على النفوس في أزمان مختلفة وحتى وقتنا الحاضر ويتم ترويجه في كـل مكـان، تـم انعقـاد المـؤتمر الماسوني الدولي في لوكسمبورج أيام ٥-٢٧ مايو عام ١٩١٢ والذي تم فيه ثانيـة تحديد الهدف الأساسي في توحيد الماسونيين في كل العالم، وأن ذلك هـو شـرط أولى لا مناص منه لتأسيس الجمهورية الماسونية العالمية والتي سوف يتبعها أيضًا سلام عالمي مضمون فعلاً (التقرير الرسمي من مؤتمر لوكـسمبورج، تـوينبرج، سويسرا ١٩١٢، صفحة ١٢).

وفي البداية كان موضوع المداولات هو إعادة تشكيل "المكتـب الماسـوني الدولي" في "توينبرج" لكي يصبح لجنة مركزية يرسل لها مندوبو المحافل الكبـرى لمختلف الدول، لماذا؟ ولأي غرض؟ هذا ما يجيبنا عليـه الأخ "هيفيـسي" وهـو ماسوني مجري ويلعب دورًا مهمًا في المحفل الرمـزي الكبيـر للمجـر: يأمـل الأخ ∴ "هيفيسي" في قيام الرابطة العالمية الموحدة للماسونيين لكي يمكن وضع كل

القوة الهائلة للماسونيين في كفة الميزان فيما يتعلق بالمسائل الفاصلة والمؤثرة عالميًا، بمعنى أن يتم ذلك بشكل موحد وفي جميع أنحاء العالم، بحيث يتم بتلك الطريقة حل أهم المسائل اليومية. بالمفهوم الماسوني، أي لصالح شكل الدولة الجمهوري! وتم تقبل اقتراح الأخ "هيفيسي" من حيث المبدأ، غير أن الماسونيين هم أناس حذرون، لهذا لم يتم اتخاذ قرار بهذا الشأن، حيث يتوجب هذا "مراعاة اشد درجات الحذر..." كما تم التنويه عن أن الماسونيين قد أنجزوا بذلك أمرًا فوق العادة، كذلك صدر عنهم كثير من الاجتهادات دون أدنى معرفة من جانب الرأي العام (ويبدو هذا منطقي إذا ما عرفنا أنه يتواجد في برلمانات العالم أعداد كبيرة من الماسونيين ذوي المقاعد والأصوات).

وقد نشأت الرابطة الماسونية العالمية من تلقاء نفسها، حيث تولى التأسيس اثنان من أكثر ماسونيي العالم نشاطًا، وهما الأخ.·. "كارتييه لاتنت" ذو الدرجة ٣٣.·. حيث تم ذلك دونما لفت للأنظار عن طريق استثمار لقاء برئ لتحقيق هذا الغرض، وهو انعقاد مؤتمر "اسبرانتو" في "برن" بسويسرا في الفترة من ٢٥ حتى ٣١ أغسطس ١٩١٣؛ ففي أثناء مناقشة لغة "زامنهوف" العالمية (لغة "اسبرانتو"، المترجم) تم في نفس الوقت تأسيس الرابطة الماسونية العالمية – أي يوم ٣٠ أغسطس ١٩١٣– وكذلك إعلان لغة "اسبرانتو" كلغة عالمية لهذه الرابطة.

وفي نفس الوقت انعقد في "لاهاي" المؤتمر الماسوني السادس (٢٣ –٢٥ أغسطس ١٩١٣)، ولقد كانت صياغة الدعوة لهذا المؤتمر ملفتة للانتباه لدرجة يلزم معها أن نذكر أهم ما جاء فيها، فلقد جاء بها حرفيًا، "على مدار الأعوام الأخيرة تمكن مثلنا الأعلى لترابط الشعوب الماسونية من غزو القلوب **(Alliance des peuples d'abord maconniques)**

نحن نؤكد مرة أخرى على إرادتنا الصلبة في تحويل السلسلة الماسونية العالمية **(La chaine maconnique universelle)** والتي كانت ما تزال مجرد رمز

إلى حقيقة..."......".... لقد تمكنت الحركة المنتصرة من تخطي عقبات كثيرة"...."جيش كامل من النشطاء المؤثرين يضبط الإيقاع لهذا الغرض"... من خلال تلك الأمثلة التي يمكن مضاعفتها بأي رقم تم استجلاء الهدف القادم للماسونيين ألا وهو إنشاء رابطة عالمية للماسونيين ذات تأثير قوي ومنتشرة حول العالم. كذلك لا يجب أن يتطرق شك للقارئ في الهدف النهائي، ألا وهو إنشاء الجمهورية العالمية. ومن المنطقي أنه لكي يتحقق هذا الهدف، أن يتم تأليب وتحريض جموع الشعب – وبالذات الشعب الألماني – ضد "الشمولية" وضد "الحكام المسيطرين" و"الطغاة".

كذلك يجب أن تزول الملكيات وان تتحرر الشعوب روحيًا "وتعتق" أنفسها وتنتزع السلطة لنفسها. ويطرح السؤال نفسه عمن هو ذلك المفوض باسم الشعب "القائد" في القبض بيديه على مقادير الدول والإنسانية جمعاء؟! على أن ذلك السؤال لم يشغل ذهن الماسونيين أبدًا، فمن يكون ذلك الشخص سوي الماسونيين أنفسهم؟! ألم يتحقق ذلك في فرنسا؟ ألم يتحقق ذلك قبل وقت قصير وبشكل مدهش في البرتغال؟ فلماذا إذن لا يتحقق ذلك أيضًا في ألمانيا والنمسا؟! حينئذ فقط سوي ينشأ "الحلف المقدس للديموقراطية الوطنية، كذلك سوف يضحى "السلام العالمي" الدائم مضمونًا للجميع.

ولا يجب أن يفوتنا هنا أن "الباسيفيين" **(Pazifist)**، أو رجال حركة السلام العالمي (السلاميين) قد ارتبطوا بشكل وثيق مع المحفل الكبير "جراند أورينت دو فرانس". ومن أشد الظواهر الملفتة للنظر أنه في الفترة التي سبقت الحرب العالمية قد تزامنت مجالس الماسونيين مع مؤتمرات الباسيفيين بشكل لصيق، مثل "مؤتمر لاهاي للسلام" وكذا المجلس الماسوني لعام ١٩١٣، حيث كان معظم المنظمين الرئيسيين هم أنفسهم للمؤتمرين وكان من الصعب التفريق ما بين كون البروفسور "لاماشي" أو البروفسور المعروف جدًا "فورستر" هما مجرد باسيفيين لا يرتبطان

بعلاقة وثيقة مع الماسونيين، أو أنهما ينتميان بأنفسهما لمحافل ماسونية مثل الأخ .·. "فريد" في زيورخ. والمؤكد أنهما لا ينتميان لفئة المعلمين الأكابر الموقرين، وأنهما ليسا بالتأكيد إخوانًا من الدرجة ٣٣ العليا الذين يتولون القيادة والذين يملكون القرارات المؤثرة في مسار التاريخ العالمي.

ومع ذلك فمن الملفت تلك الحقيقية في الوقت الذي دأب فيه الباسيفييون في الفترة الحرجة من ١٩١١ حتى ١٩١٤ على الترويج بشكل صاخب للمحافظة على السلام العالمي المهدد، نجد على الجانب الأخر أعضاء محافل ذوي نفوذ في الحياة السياسية أمثال الأخ .·. "دلكاسية" والأخ "بوإنكارية" والأخ .·. "بريان" والأخ.·. "ميلران"...إلخ نجدهم وقد دأبوا على العمل بهمة مع رفقائهم في العقيدة من رجال الدولة الإنجليز والروس على التحرك بشكل مباشر في اتجاه الحرب العالمية! ويجد المراقب المحايد والذي يحاول بشكل موضوعي فك تشابك خيوط هذا النسيج الرفيع، يجد لذلك تفسيرًا واحدًا. إنها لعبة ذات أدوار منفصلة، أي لعبة مزدوجة، حيث لا يدري بعض الباسيفيين ذوي النوايا الحسنة لصالح من يؤدي دوره. أنها نفس السياسة ذات الأرضية المزدوجة التي أداها عندنا. الأخ.·. "كرامارش" بكياسة فائقة ونجاح كبير: ظاهريًا موالي وفي الحقيقة أكبر محرض على الحرب ضد الملكية أما الباسيفيية فتم تلقينها لنا نحن الألمان الأغبياء فحسب، فالمطلوب منا أن نستنكر العسكرية وأن نحطم السلطة وأن نعزل حكامنا من على عروشهم وأن ننادي بالجمهورية. اما فيما يخص الإمبريالية الروسية والهيمنة البريطانية على العالم فهما خارج الموضوع.

الدخول في التنظيم الماسوني (الرابطة الماسونية)

للإجابة عن السؤال: ما هي الماسونية، يعطينا الماسوني البلجيكي المعروف "جوبليه دالفيبيلا" من الدرجة ٣٣ العليا الإجابة الآتية: " الماسونية هي اتحاد سري يجمع الرجال الأحرار والشرفاء في رباط أقوى وأرقى من كل الاختلافات في الوظيفة والحزب والجنسية أو الدين" أما محفل الشرق الكبير الفرنسي فيقرر أن غرض الماسونية هو البحث عن الحقيقة ودراسة الأخلاق وممارسة التكافل، كما تعمل الماسونية على تنقية وكمال الجنس البشري، وهي في طبيعتها متسامحة وترفض كل أنواع القوالب الثابتة وتقوم على مبدأ الحرية المطلقة للضمير وشعارنا هو: الحرية والمساواة والإخاء (المادة الأولى للدستور) وتتشابه تلك النصوص مع لوائح المحافل الكبيرة الأخرى (وسوف يتم البحث في موضع أخر عن مدى تطابق هذه المبادئ النبيلة والصديقة مع الواقع).

وتتغلف نشأة الماسونية في غلاف أسطوري، ولم تفتر المحاولات في إرجاع أصولها لأزمان غابرة، حيث تم الربط بينها وبين طقوس "ميتراس"، وكذلك علم الحساب العقلاني "لفيثاجوراس"، بل ومع "أقليدس" أبو الرياضيات، والبعض الآخر وجد نشأتها في منظمات البنائين الرومان (كولجيا فابروروم) وآخرون وجدوها في "حيرام" باني هيكل سليمان، كما تم اعتبار تنظيم بنائي المعابد الذي تكون في القرن الرابع عشر هو نقطة الانطلاق للماسونية، كذلك يشتق المحفل الإقليمي الكبير للسويد والمحافل الكبيرة الأخرى المرتبطة معه، يشتق وجوده مباشرة من تنظيم بنائي المعابد وإن كانوا لم يستطيعوا إثبات ذلك.

ولكن كيف نفسر اسم ماسوني (بنّاء) حر؟! مما لا شك فيه أن الماسونيين الأحرار قد استمدوا نشأتهم من البنائين الحرفيين.

وقد أخذت هذه الروابط للنحاتين والمثالين والبنائين في التجوال مع رؤسائهم في كل أوروبا، وكانت تستقر لفترات طويلة أينما يوجد عمل لهم، فكانت لهم عاداتهم الخاصة ورموزهم وإشارات تعارف بينهم وأسرار فنونهم، وسمُّوا أنفسهم بنائين أحرار لكي يتميزوا عن البنائين غير المتعلمين والمستقرين في البلاد والذين يقومون ببناء منازل نمطية وكنائس بسيطة للقرى وهكذا....

كذلك من ضمن أسباب إطلاق تسمية "الأحرار" عليهم في العصور الوسطى هو أنه يلزم أن يكونوا متحررين من أي ارتباط، كذلك أيضًا بسبب منحهم الحريات والميزات الكثيرة من الملوك والبابوات تقديرًا لإنجازاتهم الفنية. وقد جاء ذكر أولى هذه الروابط أو المحافل (بالإنجليزية: **Lodge**) في باريس بفرنسا عام ١٢٥٨، بل ان أول محفل كبير في إنجلترا كان اجتمع في "يورك" عام ٩٣٦. وكان الملوك الإنجليز هم من دعموا فن البناء بشكل فعال حتى تسمية الماسونية الحرة "بالفن الملكي" وهي التسمية التي يجب الماسونيون ترديدها في الوقت الحاضر. ويقف الآن العديد من القلاع والكباري الحجرية والكنائس العملاقة منذ ذلك التاريخ كشاهد على انجازات الماسونية الحرة في ذاك الزمان.

ومع انحدار فن البناء تختفي أيضًا روابط البنائين الأحرار في بداية القرن السابع عشر في أوروبا، حيث ساهم في ذلك العديد من الحروب. غير أنهم حافظوا على أنفسهم في إنجلترا، حيث انضم لتنظيماتهم وجهاء من خارج المهنة فدخلت دماء جديدة في محافلهم. ويكتب لنا الأخ.·. "ليموسين" عام ١٩٠٨ في جريدة "أكاسيا" تحت الاسم المستعار "حيرام" رواية مختصرة للماسونية الحرة، فيقول: "وكان المواطنون العاديون والنبلاء والمعلمون يشاركون بهمة في الاحتفالات الشهرية للماسونيين الأحرار ويطالبون بقبولهم في التنظيم، وكان يتم السماح لهم

بذلك..." ولأنهم ليسوا ببنائين أو نحاتين أو مثالين فكان يتم قبولهم فحسب، حيث يتم اعتبارهم بنائين "اعتباريين" ومن هنا جاءت التسمية "بناء افتراضي" وهي التسمية التي يحملها حاليًا كل الماسونيين الأحرار، حيث إنهم غير مطالبين بمعرفة حرفة البناء".

وأخذت أعداد البنائين الافتراضيين في ازدياد، ومما ساعد على ذلك كثيرًا أنه كان يتحتم على "الباحثين" أن يقوموا بسداد مصاريف العزائم التي تقام بمناسبة قبولهم، كذلك يقومون بسداد رسوم الانضمام كما يحدث في كثير من الروابط، كما أنهم مطالبون بسداد رسوم عضوية غير قليلة، وكان ذلك سببًا كافيًا للسعي لضم مزيد من الأعضاء الذين كانوا ينساقون وراء المآدب الفاخرة والغموض الذي يكتنف "الفن الملكي".

وفي النهاية أصبح عدد البنائين "الافتراضيين" يفوق عدد البنائين الفعليين.

وفي عام ١٧١٧ اكتملت عملية التحول المشهودة والتي أصبحت من خلالها الماسونية الحرفية هي ماسونية روحية (فكرية) وانضمت أربعة محافل إنجليزية في محفل واحد كبير، حيث أصدروا دستورًا جديدًا وأعادوا تنظيم الطقوس وقام الواعظ "جاكوب أندرسون" بوضع كتاب الدستور للماسونيين الأحرار والاعتباريين" والذي تم طبعه عام ١٧٢٣ والذي يشكل حتى الآن أحد أهم مصادر الماسونية الحرة.

ولا يلزمنا حاليًا الاقتراب أكثر من ذلك من التطور التاريخي للماسونية، لكن نكتفي فقط بالتأكيد على أن الماسونية الإنجليزية هي التي يجب اعتبارها بمثابة الأم للماسونية الحالية.

والذي يبحث عن النور – أي الذي يريد أن يصبح ماسونيًا عليه أن يكون مستقلاً وأن يكون على درجة عالية نوعًا ما من التعليم. كذلك يشترط الجنس الرجالي في المحافل "العادلة والكاملة". وكان يوجد سابقًا في القرن الثامن عشر

محافل نسائية عديدة، وبالذات في فرنسا وكذلك ألمانيا. ولم تكن الثـروة والقـدرة شرطًا للعضوية، غير أن ارتفاع رسوم الانضمام وكذلك الرسوم السـنوية صـعّب من انضمام غير القادرين.

وفي البداية يحتاج "الباحث عن النور" إلى تزكية اثنين من"المعلمـين" لكـي يضمناه وحالمًا يعلم المحفل برغبته يتم عمل تحريات عنه، فإذا مـا جـاءت تلـك التحريات إيجابية. يتقدم "الباحث" بطلب الانضمام ويرفق به سرد لسيرته الذاتية.

وحياة المحافل – كما يصفها الأخ.:. "شاوبرج" هي خدمة حقيقية للنور، وكل محفل هو عبارة عن معبد للنور، لذا فإن أعظم احتفالات المحفل هو انضمام باحث عن النور، حيث يكون الإنعام بالنور هو الموضوع الرئيسي. لكن قبل أن يتم ذلـك يتحتم على الباحث أن يتخطى عدة أهوال مرعبة، فيتم اقتياده في غرفة مظلمـة لا يوجد بها سوى بصيص ضعيف جدًا من الضوء، ويوجد في أحد أركانهـا هيكـل عظمي. وترمز الغرفة المظلمة للرحم وللقبر في نفس الوقت، وهي صورة رمزية للظلام الذي يتغلفنا قبل الميلاد وبعد الموت. ثم يظهر الأخ "الممهد" ويتحـدث مـع الباحث بطريقة ودية ويذكر له أن الباحث عن النور يتساوى مع الطفـل المولـود حديثًا، والذي يدخل إلى العالم عاريًا وفقيرًا وأعمي (روحيًا) لذا يتحتم على الباحث أن يخلع ملابسه ويسلم كل الأشياء الثمينة التي معه، وكان يتم سـابقًا تنفيـذ هـذه التعليمات حرفيًا، أما اليوم فيتم الاكتفاء بخلع الملابس العلوية، كما كان يتم إدخـال القدم اليسرى في خف، لكن ذلك لم يعد مألوفًا بعد. ويمضي الزمان ويتم الـتخلص تدريجيًا من كل هذه الإجراءات المسرحية التي كانت الرابطة تحيط نفـسها بهـا. ويخبرنا الأخ.:. "فريبون" في كتابه "تاريخ محفل لوفينكس" عما كان يتم قبل ذلـك عند الانضمام للمحفل: "يتم اقتياد الباحث معصوب العينين ومكبـل اليـدين إلـى الطابق الأعلى للمحفل، حيث يتحتم عليه في البداية أن يقوم بإملاء وصيته، ثم يـتم تقييد قدميه بعد ذلك ثم يتم ربطه بحبل وتدليته داخل بئر وهـو فـي هـذه الحالـة الاستسلامية، ولا يتم رفعه ثانية إلا بعد اختبار شجاعته بطرق مختلفة".

وما تزال الطقوس الاحتفالية للقبول في المحافل الفرنسية مثيرة للانتباه حتى اليوم. ويروى لنا الأخ.·. "روميسن" والذي عاصر هذه الاحتفاليات – في الجريدة الماسونية "هيرولد" (١٩٠٨) "يرتدي الممهدون والإخوان قلنسوة سوداء ويتجهون نحو الباحث وهم مقنعو الوجوه، ويدخل الباحث معصوب العينين ويجلس على كرسي متجهًا نحو المشرق (أورينت) ثم يبدأ اختبار طويل يحاول المعلم من خلاله التعرف على أفكار الباحث السياسية والدينية، كما يحاول ملاحقته وإحراجه بكم هائل من الأسئلة والأسئلة الاعتراضية، حيث إنه مطلوب من كل أخ بخلاف أن يكون ماضيه سويًا أن يكون جمهوريًا مخلصًا – على الأقل في فرنسا – ومتحررًا فكريًا. وبعد هذه الاختبارات تأتي مرحلة التجوال (ما يسمى "بالرحلات) ويتم بهذا الصدد – وضع كل العوائق المحتملة في طريق الباحث عن النور حتى إنه يتعثر في كل خطوة يخطوها، ثم عليه بعد ذلك أن يصعد فوق لوح مرتكز في المنتصف كالأرجوحة، حتى إذا بلغ منتصفه مال اللوح فجأة في الاتجاه الآخر مما يجعله يكاد يسقط من عليه. وفي تلك الأثناء يكون المعلم قد استعد بأسئلة جديدة كي يتم استئناف الاختبار الذي يفترض في الباحث ان يتحلى بروح عالية وكياسة في الحوار، فإذا وجد أنه يستحق شرف الانتماء يقوم حينئذ بأداء يمين الاخلاص، فتسقط العصابة عن عينيه ويقوم كل الأخوة بتوجيه سيوفهم نحوه، وذلك ليس بغرض التهديد ولكن كدليل على قبوله في رابطتهم وكقسم معاكس على أنهم سوف يحمونه حتى النهاية.

كذلك يوجد في دوائر ماسونية المانية – وبناء على تقارير متوافقة – تقاليد لا تعود على الرابطة بأية مزايا، حيث يتم استهجانها وانتقادها من كثير من الماسونيين. ولقد أصدر الأخ .·. "ميليم" (غالبًا اسم مستعار) والذي كان ماسونيًا لمدة ٢٥ عامًا، أصدر منذ فترة قريبة كتيبًا(*) يصف فيه بطريقة لاذعة الأحداث

(*) "تجارب واحباطات أخ محفلي عجوز" لا يبزج ١٩١٣، الطبعة الرابعة، دار نشر كوميسيون، هـ. كيسلر.

المرعبة التي قابلها أثناء قبوله، فلقد عاصر أيضًا الغرفة المظلمة والهيكل العظمي، حيث كان قد سمع عن ذلك فيما قبل وكان يعتبرها هي وكل ما يتعلق بها من أشياء مرعبة مجرد نكتة سخيفة لأنه لا يمكن أن يتصور أن رجالاً محترمين يمكنهم ممارسة هذه الأعمال التنكرية. ويذكر أنهم قاموا كذلك بعصب عينيه ووضع وسادتين صغيرتين في تجويف العينين تحت العصابة حتى لا يصل له أي بصيص ولو ضعيف جدًا من الضوء.

ثم يشرح لنا الأخ .·. "ميليم" بشكل مستفيض عملية التجوال الطويل والذي يمضي فيه متشابك الذراع مع باحث ثان عن النور، فيتم اقتياده من يده بواسطة الإخوان الخادمين، بينما يقوم الأخ الممهد بإطلاق صيحات تحذير بشكل مستمر، مثل "إنحن لأسفل بشكل عميق، يوجد أمامك عارضة يتحتم عليك الزحف من تحتها! أخط خطوة كبيرة! ينساب أمامك ماء يتحتم عليك تخطيه!" وهكذا يتم وضعهم في حاله فزع، ثم تنطلق فجأة صيحة: " قف مكانك! نحن نقف أمام باب، قم بالطرق عليه!!". وفي هذه اللحظة حال اتباعهم هذا الأمر، يدوي من الداخل طرقة عنيفة في اتجاههم، وهنا يكون الغرض من التدريب قد اكتمل بلوغه، حيث انفزع كل من الأخ.·. "ميليم" ورفيقه واندفعا إلى الخلف. ثم جرت لعبة سؤال وجواب والتي اعتبرها الأخ .·. "ميليم" صبيانية. وبعد ذلك تم إدخال الباحثين عن النور إلى الهيكل، حيث استقبلتهم أنغام عذبة للأرغن وغناء رجالي جميل مس قلوبهم. غير أنه تلا ذلك "رحلات" مفزعة، فيذكر الأخ.·. "ميليم" "تم اقتيادنا عبر نار وماء، بمعنى أنه طرقعت أمامنا فجأة صاعقة التهب منها شاربي، ثم تم رش وجوهنا برذاذ ماء بارد من مسافة قصيرة مما افقدنا الرؤية وجعلنا نتقهقر في كل مرة، ويظهر أن هذا الأمر كان يبعث على سرور الإخوة المبصرين، لأنه في كل مرة كان يبدو لي أنني اسمع ضحكات مكتومة من هنا وهناك.

وأخيرًا تم وقوفنا بين يدي معلم الكرسي ذي الشرف الأعظم، وتم تبليغنا بذلك من خلال الأخ.·. "ب" "انحنيا! هنا يوجد كرسي قائد هذا المحفل المشرف!"

ثم يتحتم عليهما بعد ذلك أداء القسم على أن يحافظ على كل – ما سوف يسمعانه ويريانه كأسرار، وإلا ينسحبان من الآن.

والآن، ماذا تعني كل هذه الألعاب التنكرية؟! يعطينا الأخ.·. "هنه فان رين" تفسيرًا لذلك – وهو كاتب ماسوني مرموق يستبيح لنفسه أحيانًا إطلاق عبارات حادة عن النموات العشوائية والضلالات الماسونية، يقول: دخول الهيكل(المحفل) هو دخول في الحياة، والحياة هي عبارة عن رحلة متشعبة غالبًا ما يضل فيها الإنسان. ومثلما يتم ابتلاء الإنسان في رحلة الحياة يتحتم على "الباحث عن النور" كذلك أن يثبت قدرته على التحمل وهذا ما يحدث من خلال الرحلات الثلاث التي يتم إجراؤها في كل درجة تحت قيادة واثقة. ففي درجة المتدربين تكون العناصر التي يلامسها الباحث هي النار والماء والأرض. غير أن المعنى الأعمق لذلك هو أن طالب الانضمام كان يبحث عن النور ولكنه يتورط في نار ملتهمة، فكثيرًا ما ينكوي أناس طموحون بنار الأهواء المتوحشة ويتهاوا تحت وطأتها، لكن بفضل الحذر الحكيم يتم السيطرة على النار وتحويلها لمصدر جيد للدفء.

وفي الماء تنطفئ الشعلة المتوحشة، غير أن مياه الأنانية الراكدة تخنق كذلك سعير الحماس إلى رفاهية الإنسان، غير أن التعقل الحكيم يزيح الأمواج العاتية للامبالاة لصالح المثل العليا ولا يسمح للطوفان إلا بمقدار تأثيره الخير فقط لصالح الأفضل للصحة والنقاء في الحياة الروحية كذلك، ويغوص في تراب الأرض كل جاه وصولجان وجمال، لكن رحم الأرض الخصيب يأتي لنا بالبذور التي تغوص هي الأخرى في الأرض لكي تزهر بشكل رائع وتعطينا ثمارًا حسنة المذاق.

وهكذا نرى أن الماسونية – وبالذات الألمانية – تنشغل بصور وتشبيهات متنوعة.

وتبعًا للمتداول فإنه من الواضح أن الماسونية لا ترغب في أن يتم تناول طقوسها في العلن، ويقول الأخ .·. "فيلهلم أور"(*) وهو كاتب ماسوني رائع ومثقف

(*) دكتور "فيلهلم أور"، محاضر خاص، توفي في ميدان الحرب يوم ٢٣ يوليو عام ١٩١٦.

ألماني جيد ويفيض بالإنسانية النبيلة: "لن يستطيع إنسان أن يدرك من خلال هذه النشرات ماذا تقدم لنا هذه الطقوس، فهي بحكم طبيعتها غير قابلة للتبليغ لأنها يجب أن تعايش ولا توصف أو تروي". لكنه في حالة ما إذا أجريت محاولة للولوج إلى أسرار هذا العالم المغلق من خلال فرد غير ماسوني أي "دنيوي" فإن ذلك لن يحدث بسبب الفضول أو السخرية من الماسونية، ولا حتى للفت الأنظار ولكن الغرض من تلك الكتابة يمكن تبريره ولو من وجهة نظر الماسونيين أنفسهم في أن الرغبة في الحقيقة والنور والوضوح والسعي إلى المعرفة الكاملة. كل هذه الأشياء تتطابق مع الأهداف النهائية للماسونية نفسها. فإن كان هذا السعي يبدو في ظاهره موجهًا ضد الماسونية، فهذا مما لا يعنينا في شيء – ويقول الدكتور "أوتو هنه أم رين" أنه لا يلزم أن تظل طقوس المحفل سرية إلا لتجنب التعليقات المستهترة والعبثية وسوء النية، ويضيف "لكنه من الجائز بل من المفروض أن تتم مناقشتها للأغراض العلمية وأي أغراض جادة أخرى، فكل ما يخص الحضارة الإنسانية لا يصح أن يظل سرًا، فالعلم لا يعرف هذا المصطلح".

وهذا الكلام يختلف كلية عن ذلك القسم الرهيب الذي يتحتم على "الباحث عن النور" أن يؤديه في المحفل الإقليمي الكبير للسويد، وهو ذلك القسم ذو النص المطول والذي نكتفي بذكر أجزاء منه، وفيه يلتزم الفرد بالصمت المطلق وغير المشروط. فيقسم الباحث عن النور على الكتاب المقدس ألا يتكلم أبدًا عن الماسونية وإلا يعلن عن انتمائه للماسونية إلا أمام إخوان فعليين لأحد المحافل الحقيقية والقانونية، كما يقسم على ألا ينضم إلى أي تجمع سري آخر إلا بموافقة رؤسائه، وكذلك يقسم على اتباع نصائح وأوامر رؤساء التنظيم بكل استكانة وطاعة..... إلخ إلخ. وفي النهاية ينص حرفيًا: "في حالة إخلالي بالنذر اليسير من قسمي هذا، فإنني أرغب أن تقطع رقبتي وينتزع لساني وأعضائي وأن يلقي بها في قاع البحر وأن يتم حرق جسدي ونثر رماده في الهواء لكي لا يبقى مني ولا من ذكري شيء للناس وللإخوان الأحرار:(مطبوع في الصحيفة الماسونية "لاتوميا" عام ١٨٦٩،

صفحة ٤٦ وما بعدها) وهكذا يظهر أمامنا الفرق الرهيب بين كلتا الصياغتين وعبثًا يتساءل المرء عن الغرض الذي يرمي إليه هذا القسم البشع حينما تكون المسألة هي مجرد مجتمع يبحث عن الحقيقة ويسعى لترقي الجنس البشري! وحتى الصحيفة الماسونية "لاتوميا" تنزعج من هذا القسم ومن كل لوائح "المحفل السويدي الإقليمي الكبير" فهي تطالب بتصفية المجتمع الذي يريد أن يكون دولة داخل الدولة، غير أننا سنبقي قليلاً عند هذا القسم ولنسمع ما يقوله المحفل السويدي الإقليمي الكبير في المادة السابعة من دستوره عن الجريمة الماسونية للحنث في اليمين: " لوقام أحد الإخوان بالحنث في قسم الصمت الذي يقسم عليه أمام التنظيم عند انضمامه، وذلك عن طريق إفشاء أي شيء مما يؤتمن عليه من التنظيم لأي أشخاص غير مختصين أو إخوان من درجات أقل – ويستوي في ذلك الطريقة التي يفشي بها – فإنه يكون مذنبًا ومستحقًا لتلقي الحكم الذي خضع له بنفسه حال قيامه بأداء القسم، وسيكون تحت أمر منفذي الحكم المجهولين والسريين، وغير أمن من أيديهم المنتقمة في أي بقعة من العالم حيثما يوجد إخوان عادلين وحقيقيين يؤدون واجباتهم".

وبذلك يكون قد تم الإجابة عن السؤال المطروح مرارًا عما إذا كان الماسوني يؤدي قسمًا أم مجرد عهد عند انضمامه، وهذا يتوقف على الطريقة التعليمية للماسونية، ففي المنظومة السويدية والتي يطبقها أيضًا، "المحفل الإقليمي الكبير في ألمانيا" يتم أداء قسم أما في المحافل ذات الأنظمة الأخرى فيتم الاكتفاء بعهد موثق.

ويتبع أداء القسم أو العهد احتفالية القبول المصحوبة بالقبلات والسلام بالأيدي، ثم يلي ذلك عملية "منح النور" تضاء قاعة المحفل إضاءة كاملة ويجد العضو المنضم نفسه مرتبطًا مع بقية الإخوان الذين يرحبون به غنائيًا بمصاحبة الموسيقي، ويتم تبليغه باسماء ومعاني أعمدة المحفل الثلاثة (الحكمة، القوة،

الجمال) وكذلك أنوارهم وزخارفهم وأدواتهم. كما يـتم تبليغـه بـالرمز والكلمـة والقبضة الخاصة بأول درجة، كذلك يتعلم طريقة الطرق على الأبواب ويتسلم الزي الماسوني (المئزر أو "المريلة") والعلامة الرمزية والقفازات وبذلك تنتهي المراسـم الاحتفالية واعتبارًا من هذه اللحظة يصبح العضو المنضم ماسونيًا من حيث الشكل الخارجي، في نفس الوقت الذي يكون فيه المعنى الأعمـق للتعليمـات الأساسـية للمحفل ما يزال غريبًا عليه، كما تظل الأهداف النهائية بالنسبة للماسوني الوسـطي غريبة عليه مدى حياته. حتى إن كان معلم كرسي يرأس محفلاً سنينًا طويلة. وكـم هناك من رؤوس ذات تيجان لم تعلم شيئًا طوال حياتها عن الدرجات العليا. ونحـن نعلم من بعض الماسونيين الملكيين أنهم لم يتمكنوا أبدا من الولـوج إلـى "الـسر" الأساسي للتنظيم لذلك نرى أن عديد امـن الكتـاب الماسـونيين والمعلمـين ذوي الكرسي في محافلهم يؤكدون لنا بكل صدق أنه ليس هنالك سر بخـلاف المـدلول الأعمق للرموز الماسونية، غير أنه يبدو لنا أن ذلك الأمر غير قابل للتصديق حين نستحضر القسم المرعب الذي يتحتم أداؤه على سبيل المثال في "المحفل الإقليمـي الكبير للسويد". وفوق ذلك فإن هذا التأكيد يتناقض مع الحقائق الثابتة والتـي سـيتم ذكرها فيما بعد.

المنشآت الماسونية والتقاليد والرموز

تعتبر معرفة المنشآت والتقاليد والرموز الماسونية لمن لا ينتمي للتنظيم هي أشياء "لا طائل من ورائها لذلك فسوف يتم ذكرها بشكل مقتضب جدًا، حيث يوجد عنها كتابات ماسونية سرية مستفيضة.

ويسمى مكان اجتماع الأخوة بالمحفل (**Lodge**) أو الكوخ أو الورشة أو بيت المحفل. ويمنع دخوله لغير المفوضين، لذا يلزم حمايته أو بمعنى آخر تأمينه. وهذا ما يتولاه أخ مراقب أو حارس، حيث يتأكد من أحقية الداخلين في الدخول ولا يدعهم يمرون حتى يتأكد من تأمين كل شيء. ولا توجد نوافذ لقاعة المحفل، أويتم تغطيتها في حالة وجودها، وبالتالي تكون الحجرات مظلمة، ذلك حتى يتسنى للضوء الذي يعني إنارة روحية للتغلب على الظلمة الطبيعية. ويسمى كل ماسوني العالم أنفسهم بالإخوان ويتعرف الإخوان على أنفسهم كتابيًا باستخدام ثلاث نقاط(∴) يضعونها أمام الحرف الأول للاصطلاحات الماسونية، لذا يسخر منهم معارضوهم بتسميتهم "إخوان النقاط الثلاث" (ويلعب الرقم "ثلاثة" دورا معينًا في الحياة الماسونية، عند السلام على سبيل المثال، وعند التصفيق بالأيدي، وكذلك بشكل خاص في الرموز).

ويسمى نشاط المحفل "العمل" وتتولى المحافل العاملة قبول وترقية الإخوان والماسونيون أنفسهم يصفون الإجراءات التي تتم بهذا الصدد بالمثيرة والمجيدة.

ويتولى "محفل التعازي" تأبين الأخ الذي يرحل إلى "الشرق الأبدي"، ويبدأ هذا التأبين – كما يروي لنا الأخ ∴ شاوبرج – بمحاكمة للميت... وبعدما يتم اعتباره مستحقًا لنيل شرف محفل التعازي تبدأ احتفالية الموت الفعلية والتي تتكون

من ثلاثة أجزاء وهي خطبة التأبين وإشعال المصباح أمام النعش الرمزي للميت والتزين بالزهور بواسطة كل الأخوة الحاضرين، حيث يقومون بتخطي النعش. ثلاث مرات في ثلاثة طوابير ومسارات. وفي نهاية الاحتفالية يتم تشكيل سلسلة الإخوان وتبادل قبلات الأخوة (تتكون سلسلة الإخوان من خلال وضع كل ماسوني يده اليمني على كتف الأخ الذي يسبقه، وكما يقول "هنه أم رين" تتشابك أيادي كل الأخوة الحاضرين فيما يرمز إلى تضامن الجميع.

ويوجد في الماسونية عدد هائل من الرموز والصور الرمزية حيث تعتبر هي وسيلة الربط بين كل من ينتمون إلى هذا التوجه الروحي. والماسونية لا تسعى إلى صياغة الحقائق الكبرى والأبدية التي تهيمن على الجنس البشري في مجرد كلمات تقوم بتبليغها، ولكنها تسعي لتكوين عقول تتلقى، فمثلاً تستخدم الصور الرمزية الخاصة بدرجة المتدربين في أغراض الشرح والتوضيح. ويقول الأخ.". "ي.ل.بير" من المحفل الإقليمي لساكسونيا: يجب أن تقوم الرموز بتعليم الأخوة الإدراك السليم بالجنس البشري وتوضيح القواعد الأساسية للوجود بدون تضليل من كل الموروثات والأحكام المسبقة المكتسبة تربويًا، وأن تشتق منها الالتزامات الملائمة. وبذلك تبدو الماسونية للماسونيين أنفسهم في صورة غامضة. ويجب على الإخوان أن يعايشوا ويحسوا، لذا تتوجه الماسونية الألمانية علي الأقل في الثلاث درجات السفلى إلى الفطرة وليس إلى الفهم. وبناء على ذلك فإن لكل شيء معناه الرمزي مثل "الأنوار" (الألوهية والضمير والإنسانية) و"النجوم" (الشمس والقمر والأرض) و"الأفكار" (الحكمة والقوة والجمال) ومن الطبيعي أيضًا "الأدوات" (المطرقة والمنقلة والفرجار). وتبعًا لتفسيرات "هنة أم رين" فان الأنوار التي تكون فوقنا تعني الألوهية والأنوار بداخلنا هي الضمير والأنوار حولنا هي الإنسانية، أما المطرقة فهي رمز للسلطان والمنقلة تمثل الضمير والفرجار هو العالم المفكر حولنا.

ومجرد المعنى لهذه الرموز يتبدل، فحين يتجادل المرء بالألفاظ يسهل استدراج الماسونية لشكل هزلي، كأن يعلن ماسوني آخر فجأة أن المنقلة هي الرب وأن البرجل هو الدنيا. وحينما يقال في موضع آخر أن الفرجار ينظم علاقتنا مع الإخوان ومع العالم الخارجي عنا فإن تلك الكلمات تظل غير مفهومة للشخص الجاهل الذي "لم يضع قدميه بعد في الزاوية القائمة" لكنها تبقى كلمات ذات مغزى أعمق. وهكذا يتحدث الماسونيون عن "مقياس الحقيقة" و"مقياس زاوية الحق".

وكذلك عن "فرجار الواجب"، كما يتحتم على الماسوني الحقيقي أن يتحسس دائمًا سن هذا البرجل فوق قلبه.

وتبلغ قمة الغموض في العبارة القائلة: إن المعلم يجد نفسه بين المنقلة والفرجار، أما الشخص الذي يكون قد دخل في العالم الرمزي للماسونية فلن يمكنه إنكار المعنى الجميل الذي تحويه هذه العبارة حتى وإن كان السؤال الذي يقابلها ضمن حوار الأسئلة والأجوبة يبدو للوهلة الأولى سؤالاً ساذجًا(*).

كذلك فإن من الأشياء ذات المعاني الرمزية الأعمدة الثلاثة والبساط والنجم المتوهج الذي كثيرًا ما يظهر كنجم خماسي، وكثيرًا ما يظهر أيضًا كنجمة داود. وفي داخل النجم المتوهج يظهر حرف **G** بمعانيه المميزة والمتعددة، فهو يرمز إلى "الله" (**God**) كما أنه يرمز إلى كلمة (**Gnosis**) (المعرفة) وأخيرًا فهو يرمز إلى (**Geometrie**) (الهندسة) التي هي أساس الفن الملكي.

(*) " ماذا يجد الإنسان أعلى وأسفل التابوت؟" "يجد منقلة وفرجارًا" – "لماذا" – "كتذكرة للمعلم"حينما يضيع المعلم أين نجده ثانية؟.

"بين المنقلة والفرجار"."ماذا يعني ذلك؟"."أنه مستعد في كل الأوقات للرجوع بمحض إرادته للطريق القويم في حالة ضلاله بسبب سوء الحظ". ويحتوي الكتاب الحالي للأسئلة والأجوبة الخاص بالمحفل الإقليمي الأكبر لألمانيا على أسئلة وأجوبة مشابهة.

كذلك تشتمل الأدوات المساعدة للبنائين على معان رمزية مثل تقالة فاون البناء والميزان المائي والمسطرين والمقياس والأزميل. وحينما تعتبر الماسونية أن الكتاب المقدس هو من "الأنوار العظمي"(*) وأن الشمس والقمر إلى جوار المعلم ذي الكرسي هما من "الأنوار الصغيرة" فإن ذلك هو من الرمزية التي تبعث على سخرية بعض الإخوة الذين يضعون قدمهم في الزاوية القائمة.

ويلعب الشكل المثالي "لحيرام" الدور الرئيسي في درجة المعلمين، و"حيرام" أو "أدون حيرام" هو مشيد هيكل سليمان حسبما تقول الأساطير. ويطلق "أندرسون" على "حيرام: لقب " البنّاء الأكمل" كمل يطلق على عمله أنه أعظم وأثمن مبنى في ذلك العصر. ولقد مات "حيرام" بفعل الاعتداء عليه من ثلاثة زملاء لأنه امتنع عن كشف الأسرار لهم والتي يختص بها المعلم.

والتابوت ذو الجمجمة والعظمتين هو من الصور الرمزية المهمة للدرجة الثالثة، ولكن تختلف التقاليد بين المحافل الكبيرة ومع ذلك فإنه لا يعنينا هنا أن نعرف أنه في محفل "تسو دن دراي فلت كوجلن" يلزم أن يوضع في التابوت جثة شمعية لرجل مسن، أو أنه يتحتم على الإخوان أن يخطو من فوق نعوشهم أو أنه يتم في المحفل الإقليمي الكبير لألمانيا وضع تابوت على بساط أود مشغول به قطرات دموع فضية، كما أنه لا يعنينا أنه توضع في أحد المحافل الكبيرة المنقلة عند نهاية القدمين (في المشرق) ويوضع الفرجار عند الرأس (في المغرب) وأنه يتم عكس هذا الوضع في محافل أخرى، ولكن كل ما نريد ملاحظته هو أن رمز

(*) في كتاب الأسئلة والأجوبة الخاص بالمتدربين يقول كل من السئوالين رقمي ١٧ – ١٨ الأتي:– (١٧) " ماهي الأنوار الثلاثة العظمى للماسونية؟". "الكتاب المقدس والمنقلة والبرجل". (١٨) "كيف تفسر ذلك؟ – "الكتاب المقدس ينظم ويوجب عقيدتنا والمنقلة تنظم وتوجه معاملاتنا والفرجار يحدد موقفنا تجاه كل البشر، وبالذات تجاه أخواننا". وهو يمثل للماسونيين المثل الأعلى لأخلص أنواع أداء الواجب.

التابوت يمثل مكونًا أساسيًّا للتعاليم والطقوس الماسونية في كل المحافل "يبدأ الماسوني سيرته في غرفة مظلمة وينهيها كمعلم"

"وتظهر درجة المعلم في محافل "يوهانس" الإنسان للماسونيين في أدنى درجات المهانة" ويتحتم عليه أن يعلم الحقيقة الدامغة أن كل المعارف الإنسانية والطموح والفعالية هي أمور عبثية ومتهالكة – ويقول الأخ .·. "أوتوهيبر" من المحفل الإقليمي الكبير لألمانيا:"ولكي يتم تدريس ذلك يختار التنظيم هيئة الموت التي يمتلئ محفل المعلمين منها رعبًا". ثم يضيف موضحًا في موضع آخر: لكن السر الغامض الحقيقي في درجة المعلمين يكمن في مهمة مصالحة الموت مع الحياة".

والحجر الخام أو الخشن هو الرمز الذي يمثل المتدربين حيث إنه يلزم أولاً صقل الحجر وتشكيله حتى يمكن استخدامه في البناء. ويمثل الحجر الخام المتدرب المنضم للتنظيم الماسوني، فيلزمه أن يتعرف أولاً على خشونته وقصوره وأخطائه ونزواته، وأن يتم توجيه كل مساعيه نحو التعرف على الذات.

أما درجة الزميل فرمزها هو الحجر المكعب والذي يمكن استخدامه في تشييد معبد الإنسانية، وتبعًا لذلك فإن الهدف الذي يتحتم على الزميل أن يسعي إليه هو: السيطرة على الذات، أي أنه يلزم الزميل السيطرة على ذاته والخضوع للمعلم الذي يقوم بتركيب الحجر المنحوت حسب إرادته بواسطة الزملاء، أي أنه ابتداء من درجة الزملاء تبدأ ممارسة أعمال البناء

"ويتحتم على المعلم أن يقوم بوضع خطة البناء ومراقبة تنفيذها ودفع أجور العمال" ولا يهمنا هنا أن نتناول علامات التعارف والكلمات السرية، كما أنه لا جدوى هنا لغير الماسوني أن يعرف ما هي **5P.d.M** أو **M.W** القديمة أو الجديدة، أو بعض الاصطلاحات الغامضة، كذلك فمن غير الضروري هنا إيضاح أسطورة "حيرام" التي تم نسجها فيما بعد.

ماسونية "يوهانس" "ماسونية" "أندرياس"

(المحافل الزرقاء والحمراء – الدرجات الدنيا – الدرجات العليا)

تتبع كل الدرجات الثلاث: متدرب، زميل، معلم، في الوقت الحالي للمحافل الزرقاء، أو محافل "يوهانس" غير أن ذلك لم يكن هو الحال دائمًا، فكتاب الدستور الخاص بالمحفل الإنجليزي الكبير الصادر عام ١٧٢٣ لم يعرف بعد درجة المعلم، حيث يذكر بالنص: " يجب ترشيح أكثر الزملاء خبرة لكي يكون معلمًا أو مشرفًا".

ولم يحدث آنذاك ان تم ترشيح أي أخ مهما كانت خبرته لكي يكون معلم بناء حتى يتم انتخابه كمعلم للمحفل ولم يتم استخدام لقب "معلم" إلا في عام ١٧٢٥، فحتى هذا التاريخ لم يكن معلم البناء إلا معلم الكرسي. وعلينا هنا أن نوضح اصطلاح "محفل أزرق" أو "محفل يوهانس": فالمحفل الأزرق، أو الدرجات الزرقاء ترجع للون الأزرق السماوي الذي يميز علامة الماسونية، أما تسميتها "بماسونية يوهانس" فيرجع للقديس الراعي للنحاتين القدماء، كما أنه في الغالب قد تم تأسيس الماسونية الروحية في يوم ميلاد القديس "يوهانس" (٢٤ يونيو عام ١٧١٧) وحين نتكلم عن الدرجات "الرمزية" والمحافل "الرمزية" وكذلك المحافل "الرمزية" الكبيرة فإن المقصود بذلك هي ماسونية "يوهانس" وذلك بسبب الصور الرمزية المتعددة والمتداولة فيها، والتي تم ذكر بعضها فيما مضى.

وعلى النقيض من ذلك تكون الماسونية "الحمراء" أو ماسونية "أندرياس" والتي تأخذ علامتها من اللون الأحمر وكذا القديس "أندرياس" والذي يعتبر أول من أرتد عن "يوحنا المعمدان" إلى يسوع. والدرجات الحمراء يتم تسميتها كذلك

بالدرجات العليا لأنها تقدم للمعلمين معرفة أرقى وغير معلومة عن الماسونية. وهي تعتبر الدرجات الثلاث القديمة مجرد مدرسة تمهيدية، غير أنها تختلف في ترتيبها تبعًا لكل منظومة، وتذكر الصحيفة الماسونية المحترمة "لاتوميا" (١٨٦٩، الجزء ٢٨، صفحة ٢٢): "ما يزال المرء يضغط ببطء ولكن بشكل مستمر على ماسونية "يوهانس" إلى أسفل، حتى تصبح مجرد تكئة لخدمة الدرجات العليا". ويصرح أخ آخر: "مهمة محافل "يوهانس" هي الدفع والصمت". أو كما قيل في القرن الثامن عشر في مؤتمر "فيلهلمزباد" (١٧٨٢): "الأخوة السفليون هم الجزء المؤدي، والأخوة العلويون هم الجزء المتمتع".

والآن نتساءل، من أين نشأت الدرجات العليا؟ ربما كانت البداية من خلال درجة "رويال أرك" (القوس الملكي) والتي تكونت في فرنسا عام ١٧٤٠ ومارست سيادة معينة على الدرجات الدنيا المنقرضة، ثم نشأت بعد ذلك الدرجات الأسكتلندية المختلطة والتي ليست لها علاقة بشكل مؤكد مع سكتلندا، فهي ذات أصول فرنسية. وفي عام ١٧٤٣ نشأت "درجة الفارس رادش" والتي تعبر عن الثأر لبنائي المعبد. وربما يكون اصطلاح "معلم اسكتلندي" **(Maitre eccossais)** قد نشأ من خلال الالتباس مع مصطلح **(Maitre acassis)** الذي يرجع إلى شجرة "الأكازيا" وهي الشجرة المقدسة للماسونيين. ثم تكون بعد ذلك مزيدًا من الدرجات الجديدة في معدل متسارع حتى وصلنا لعدد ٢٥.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فتبعاً للمنظومة الفرنسية – الأسكتلندية والتي انتشرت حول العالم يوجد في الوقت الراهن ٣٣ درجة. فيأتي بعد درجات "المتدرب" و"الزميل" و"المعلم" الدرجة الرابعة: "المعلم السري" ثم درجة "المعلم الكامل" (الدرجة الخامسة)، ثم يلي ذلك على سبيل المثال "المهيمن الكامل" (الدرجة ١١) ثم:"المعلم المعماري الأكبر" (الدرجة ١٢) ثم "المعماري الملكي" (درجة القبة الملكية وهي حاليًا الدرجة ١٣) ثم "الفارس الأسكتلندي الكبير"

(الدرجة ١٤) ثم "فارس الشرق" (الدرجة ١٥) ثم "أمير جيروزاليم (القدس) الكبير" (الدرجة ١٥) ثم "فارس الغرب" (الدرجة ١٧) ثم "أمير روزنبرج صاحب السيادة" (الدرجة ١٨) ثم "الكاهن العظيم" (الدرجة ١٩) ثم "الفارس البوروسي" (الدرجة ٢١): "إنه لا يتفاوض إلا في ضوء القمر بخلاف أي ضوء آخر - وذلك بغرض هدم برج بابل"!) ثم "أمير لبنان" (الدرجة ٢٢) ثم "أمير تابرناكل" أو "المظلة" (الدرجة ٢٤) ثم "أمير الأفعى الفاضلة" (الدرجة ٢٥) ثم "أمير الرحمة" (الدرجة ٢٦) (وهو الذي يتفاوض بشأن روابط الرب مع اليهود والنصارى!)": ثم: "صاحب السيادة قائد المعبد العظيم" (الدرجة ٢٧) ثم "فارس الشمس" (الدرجة ٢٨، وهو الذي يضع التأملات في أعمال الخير الربانية) ثم: "فارس القديس أندرياس" (الدرجة ٢٩) ثم: "الفارس كادوش" (الدرجة ٣٠؛ وهو الذي يمثل ثأر فرسان المعبد بسبب حكم الإعدام الذي تم تنفيذه في معلمهم الأكبر "مولاي"، وهذه الدرجة تعتبر حتى اليوم هي درجة الثأر للماسونيين). وأخيرًا تأتي "القائد الأعظم للمستجوبين" (الدرجة ٣١).

ثم "الأمير الأعلى للسر الملكي" (الدرجة٣٢): ثم:"المفتش العام الأعظم المتفرد" (الدرجة ٣٣).

وقد يكون لهذه الألقاب الفخمة تأثير ساخر عند الإنسان العادي والمحايد. ولطالما غضب الماسونيون الألمان الطيبون من هذا "النصب" وصبوا عليه جام سخريتهم، لكن ذلك لم يفد شيئًا، فما زالت تلك الدرجات ذات الأسماء الرفيعة قائمة ويتم استخدامها كالمنظومة كلها التي يتقدم على رأسها المحافل الكبيرة (أو المشارق الكبيرة) لكل من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال، وكذلك المحافل الكبيرة في أمريكا الوسطي واللاتينية، كما توجد أيضًا في كل من إنجلترا وأسكتلندا

وأيرلندا وبلجيكا والمجر وأمريكا الشمالية إلى جوار المحافل الكبيرة والمشارق الكبيرة.

على أن من رأي الدكتور "هنة أم ريس" أن معظم تلك الدرجات ليس لها حق الوجود وأنه لا يعتمد سوى الدرجتين ١٨، ٣٠ لأنهما مرتبطتان بطقوس فعلية. غير أن السيد "هنه أم ريس" ما هو إلا مجرد معلم كرسي، فهو تابع للمحافل الزرقاء الجاهلة والتي تنظر بمنظار طفولي للعالم ولا تدري شيئًا عما يدور حولها. وهو مندهش بسبب أن مؤتمر التعاليم الأسكتلندية في "لوزان" (١٨٧٥) لم يشطب حرفًا واحدًا من هذه الألقاب الفخمة، غير أنه يؤكد لنا في عبارة واحدة أنه لا يوجد "في الحقيقة" ٣٣ درجة، ولكنهما خمسه أو على الأكثر سبع فقط. لكن الفرنسيين يعلمون قطعًا لماذا احتفظوا بالثلاث والثلاثين درجة، وهم يغلفون أنفسهم بالصمت الشديد في هذا الشأن باعتبارهم قومًا أذكياء.

وقد تم تجاوز طريقة التدريس الأسكتلندية بواسطة مؤسستين جديدتين ذواتي أصل فرنسي واللتين تتواجدان حتى يومنا هذا: الشعيرة الماسونية "مصرايم" (الاسم العبري لمصر) والشعيرة المشابهة جدًا "لممفيس" وقد تم تأسيس التنظيم الشرقي الأول بواسطة متعهد الجيوش اليهودي "ميخل بيداريد" وأخويه، وما يقال عن عمره شيء يدعو للسخرية ولا يستحق أن نذكره – أما التعاليم فيتم"تبليغها" بواسطة أربع مجموعات وكذا عدد ١٧ فصلا دراسيًا وعدد ٩٠ درجة، وذلك من خلال ألقاب فيها مبالغة شديدة وذلك بمقابل نقدي، وغير مسموح بالاستعلام عن السعر. وإلى جوار الزعيم المرئي لهذا التنظيم وكذا منصب "الأمير صاحب السيادة" فيوجد به أيضًا منصب معلم كبير مجهول وغير مرئي وحتى عام ١٨٩٨ كانت هناك عشرة محافل تعمل بتلك التعاليم.

أما شعيرة "ممفيس" المشابهة بشكل كبير والتي تسمي نفسها كذلك تنظيمًا ماسونيًا وتدعي لنفسها أيضًا المنشأ الموغل في القدم، هذه الشعيرة أو التعاليم تم

استجلابها من "القاهرة" إلى "باريس" بواسطة شخص يسمى "صمويل هونيس" وهو غير مسيحي أيضًا. وقد قام "صمويل" هذا بتقسيم أسراره إلى سبعة فصول وعدد ٩٥ درجة تسمى أعلى درجة فيها "صاحب السيادة سانكتواريوم"، والتعاليم هنا عبارة عن رحلة تحول عبر كل الأسرار والروابط السرية للتاريخ، وقد قام فيما بعد بتحديد درجاته بعدد ٣٣ وتلقى بعد ذلك اعترافًا من محافل الشرق الكبير الفرنسية، وحتى في ألمانيا وجد مدخلاً وأنصارًا.

والآن سنجد من يدعي أن تلك ما هي إلا مجرد مؤسسات للنصب لابتزاز المال وبالتالي لا يصح أن نوليهم اهتمامًا ولكن ألا يوجد تنظيمات ماسونية أخرى شديدة الاحترام يوجد في مسار تطورها كذلك نقاط مظلمة عديدة؟؟ فما هو الحال مثلاً مع التنظيم السويدي؟ لقد تم تأسيسه في "استوكهولم" بواسطة المستشار "كارل فريدريك أكليف" الذي أنشأ في استوكهولم عام ١٧٥٦ فصلاً تأسيسًا على خطاب مفتوح مجهول المصدر وسماه "بيكار سليمان" وقام فيما بعد ببيع "حقوقه" لملك السويد، ومن هذا التاريخ أصبح ملك السويد هو معلم التنظيم وولي العهد هو المعلم الإقليمي الأكبر.

وتم إدخال المنظومة السويدية في ألمانيا (١٧٦٦) بواسطة الطبيب الميداني "النبرج" والذي أصبح اسمه "فون تسنندورف" من خلال التبني، وتوجد تلك المنظومة حتى يومنا هذا في المحفل الإقليمي الأكبر لألمانيا والذي أسسه "فون تسنندورف" ولكن باختلافات بسيطة. ومنذ ١٨٦٠ تولى الوصاية عليها ملك "بروسيا" ثم تولاها فيما بعد ولي العهد "فريدريك فيلهلم" (الإمبراطور فريدريك الثالث)، لكنه تنازل عنها حين أبدت قيادة التنظيم مقاومة رافضة لطلبه إجراء اختبار دقيق للمتطلبات التاريخية، كما رفضت كل مقترحاته للتطوير من خلال ابتسامة صفراء. وتم الاكتفاء بإسقاط أسطورة المعبديين والتي تدعي أن الماسونيين نشأوا من فرسان المعبد (١٨٨٠).

وعودة أخرى إلى النظام السويدي دون أن نشغل أنفسنا تفصيليًا "بالمحفل الإقليمي الكبير لألمانيا" فالنظام السويدي يتفرع إلى ثلاثة أقسام:

١- محافل "القديس يوهانس" العاملة ذات الثلاث درجات: ١- متدرب ٢- زميل، ٣- المعلم.

٢- محافل "أندرياس" المضيئة أو المحافل الأسكتلندية والتي يوجد بها أيضًا ثلاث درجات: ٤- درجة مندوب "أندرياس"، ٥- درجة زميل "أندرياس"، ٦- درجة معلم أندرياس.

٣- محافل "ستيوارد" المضاءة والفاعلة ذات الدرجات الأربع: ٧- أخوان "ستيوارد" المضاؤون بشدة؛ ٨- أمين سر سليمان المضئ جدًا؛ ٩- أمين سر محفل القديس "يوهانس" المضئ؛ ١٠- أمين سر محفل القديس أندرياس المضاء بشدة، فارس رابطة "البوربور" ثم تأتي بعد ذلك الدرجة الحادية عشرة وهي: القائد ذو الصليب الأحمر المضاء جدًا، ويسمى نفسه: "بيكاريوس سالومونيس"، حيث يعتبر الملك سليمان الحكيم هو الراعي والمعلم الكبير للتنظيم. وبهذه الدرجات الأحدى عشرة لم ينتهى بعد هذا الأمر، فيقف على قمة الماسونية السويدية "العالي" وهو معروف لمعلم التنظيم، حيث يتوارث في سلالته شرف الانتماء للمعلمين الكبار، أما الاسم المتداول ومكان تواجد "العالي" فيعتبران من الأسرار، حيث ينص الباب الثالث (المادة ٣) في الدستور الماسوني "للمحفل الإقليمي الكبير للسويد" (تبعًا لترجمة "لاتوميا") بالحرف الواحد:"يتم حكم العالم المقسم إلى تسعة أقاليم (حاليا عشرة) بواسطة معلم كبير أو "سليمان" يتم اختيار الابن من الوالد لمزاولة الحكم لكي يتم اقتياد العالمين للطريق القويم وهو معروف وغير معروف للماسونيين! فهذا "السليمان" يدع كل أقليم يحكم من خلال "فيكار" يقوم

هو بتعيينه أو يقوم الإخوان في الإقليم بتعيينه، وهو يحكم الإقليم"... وهكذا.. وتردف صحيفة لاتوميا (سنة ٢٨ لعام ١٨٦٩، صفحة ١٨) بتساؤل: " من هو هذا السليمان؟ أين مقره؟ وإذا ما كان الدستور الأساسي ينطق بالحقيقة ولا يسرد أساطير، فإن الملك "سليمان: هو راعي المنظمة بأكملها حيث قرر أن يظل شرف المعلم الأكبر في سلالته. وتبدي صحيفة "لاتوميا" – والتي هي بالتأكيد ليست معادية للسامية – مخاوفها من أن هذا "العالي" المجهول ليس بأمير مسيحي، بل هو "إسرائيلي صريح" (ومع ذلك نرى على غلافها نجمة "داود" السداسية!).

ونود أن ننوه على أنه ليس من الضروري في الماسونية أن يكون الزعيم العلني هو نفسه الزعيم الفعلي، وذلك ما نعرفه من فم الماسونيين الإنجليز والفرنسيين والأمريكان، وهذا مؤكد في دستور المحفل السويدي الأكبر، فحين ينضم أمراء للمحفل فإنه يتم إخفاء. الدرجات العليا عنهم، وحين يتعذر ذلك فإنه يتم إعطاؤهم درجات عليا ظاهريًا ويتم تأليف طقوس خاصة بذلك يلغي منها كل ما يثير أية شكوك لديهم، وهذا ما حدث مع الأخ .:. "فريدريك الثاني ملك "بروسيا" وهي حقيقة يحدثنا عنها المؤرخ الماسوني "لويس بلان" **(Brouwers, l'action de la france-maconnerie, 1882, p17)**. ولقد ثبت من خلال العديد من الوثائق أنه ليس بالضرورة أن يكون الأمراء أو الملوك من "الإخوان العالمين" حال وقوفهم على قمة المحفل.

على كل الأحوال دعونا نرجع إلى الدرجات الدنيا. ربما تكون الدرجات الزرقاء أو ماسونية "يوهانس" ليست بالضرورة خطيرة، فهي تؤدي عملاً خيريًا في بعض العلاقات على الأقل في ألمانيا وهي تدير مؤسسات كثيرة للرعاية ولا تمارس السياسة بشكل عام، ويمكن اعتبارها مؤسسة للمنفعة العامة طالما لا تخضع

لدرجات عليا. غير أن الدرجات الزرقاء ما هي إلا "بهو الاستقبال وساحة الدخول إلى المعبد: كما يقول الأخ .'. "أ. بايك" "حيث يتم هناك استجلاء جزء من الرموز للباحث عن النور، غير أنه يتم تضليله عن قصد من خلال التفسيرات الخاطئة، ولا يكون الهدف هو ألا يفهم ولكن يكون في أن يتوهم بأنه يفهم، أما التفسيرات الصحيحة فهي محفوظة للمختارين الحقيقيين وهم أمراء الماسونية..." (مورالس أند دوجما، صفحة ٨١٩).

من هذا يتضح أن غالبية الماسونيين ليست لديهم أدنى فكرة عن الدور الذي يساقون إليه بسوء نية. أما عن الأعمال التي تؤديها الورش الماسونية ذات الدرجات الأعلى فليس هناك أي شيء معلوم عنها لدرجة أن قوائم اسماء الأعضاء تبقي محفوظة في سرية تامة، ليس فقط عن "العوام" ولكن أيضًا عن الأعضاء ذوي الدرجات الأقل، حتى أن الأمور قد التبست عند الأخ .'. "يوليوس جولدنبرج" الذي اشتكى بمرارة " من التأثير الجامح للدرجات العليا التي تمثل سلطة غير مرئية وغير مسئولة". ويعترف "جولدنبرج" – وهو ماسوني معروف من "فيينا" – بشكل صريح بأن فأعلاية الدرجات العليا تتجاوز الأغراض الماسونية، كما يشتكي من أنه في الوقت الذي يتم فيه تعمية الدرجات الثلاث الأولى وحتى تضليلهم، يطلب منهم طاعة عمياء. ويقول "جولدنبرج" بحق أن تلك الأحوال لا تليق برجال شرفاء. أما ما يقوله الأخ .'. جولدنبرج. عن ماسونية الدرجات العليا المجرية فهو صحيح تمامًا ويظهر أنه لم يكن يعلم آنذاك أن من ضمن واجبات الدرجات العيا ممارسة شتى أصناف النفوذ على الدرجات السفلى وكذا ممارسة السياسة ومن المفهوم ألا تكون مجرد سياسة أبراج عاجية ولكن سياسة دولة بل وسياسة عالمية؟ وهذا ما يقوله صراحة ماسوني إيطالي من الدرجات العليا "محفل "يوهانس" هو ضرورة كمرحلة أولية للدرجات العليا.... ويكمن مركز ثقل أعمالنا في الدرجات العليا، حيث نصنع هناك التقدم والسياسة والتاريخ العالمي" (صحيفة الماسونية بتاريخ ٩ م أو عام ١٨٧٤).

والدرجات العليا كانت دائمًا هي بمثابة الروح للمساعي المعادية للملكيــات. وليس من قبيل المصادفة أو منزه من الأغراض اتخاذ الدرجات العليا المختلفة منذ القرن الثامن عشر اسماء شديدة البريق مثل "أمير البنائين ذو السيادة" أو "إمبراطور المشرق والمغرب" وهي ألقاب لم يأخذها أحد من خارج الماسونيين بمحمل الجــد، ولكنها اسماء تفضح الأهداف النهائية الحقيقية لمساعي الدرجات الماسونية العليــا. واليوم تحطمت العروش وطردت الممالك ويتجرأ "أمراء الماسونية" على الخــروج علينا شيئًا فشيئًا في وضح النهار من الضباب الكثيف الذي يغلفهم.

يقوم الماسونيون أثناء أداء "أعمالهم" في المحفل بارتداء إزار (مئزر) فوق ملابسهم المعتادة، وهو ما يسمونه، الملابس الماسونية، وهذا الإزار الثابت منذ عام ١٧٢٣ قد نشأ منذ عهد النحاتين ويمثل بذلك دليلاً على النشأة الحقيقية للماسونية، وهو مصنوع من جلد الضأن الأبيض، وهو اللون الذي يعبر عن البراءة التي يدخل بها الإنسان إلى الحياة. وتزداد الزركشة باللون الأزرق على محيط الأزرار حسب الدرجة وتعبر عن الإخلاص المتزايد للرابطة ومبادئها الأساسية. ومع ذلك تتعدد الألوان والأطر، فيرتدى موظفو المحفل في بعض المنظومات إزارا أخضر، أما الألوان الخاصة بالمعلم فهي الأزرق والذهبي.

ويشترط محفل الشرق الكبير البلجيكي على أن يرتدى حاملو شرفة إزار أزرق سماوي بإطار معدني حقيقي. أما في الدرجات العليا فيتم استبدال اللون الأزرق في الإطار باللون الأحمر. أما الإزار نفسه فيتم تزيينه بطريقة فاخرة بلوحات فنية تجعله معرضًا للصور الفنية الماسونية. ومن ضمن الأزياء الماسونية كذلك الأربطة والتي يتم وضع شارات الموظفين (بادج) عليها وكذا شارات المحفل. وهي غالبًا ما تكون مطرزة بالذهب والزخارف، فمثلاً يحمل المعلم البلجيكي الأكبر رسم الشمس على رباطه، ويحمل المعلم الأكبر المشارك رمز طائر البليكان.. وهكذا.

وكان من المألوف فيما مضى أن يتم الاحتفاظ بالقبعة فوق الرأس أثناء أداء أعمال المحافل، أما الآن فلا يحدث ذلك إلا قليلاً. وفي المقابل فما يزال ارتداء القفازات البيضاء من ضمن الأزياء الماسونية، ويتسلم العضو الحديث بخلاف قفازيه قفازين أبيض لزوجته أو خطيبته كشهادة على أن المحفل يعلي من شأن

الزواج ويكتمل تجهيز الماسونيين في بعض الدرجات المعينة بالسيف والمطرقـــة. ولم يكن حمل السيف معروفًا في المحافل، ولكن تم إدخاله من خـــلال "الأعـــضاء الاعتباريين" ذوى الأصول النبيلة وتتمسك بعض المناهج الماسونية ذات الـــدرجات العليا بوجود السيف، مثل المنظومة الأســـكتلندية والـــسويدية، وبـــالطبع "المحفـــل الإقليمي الكبير لألمانيا" كذلك بعض المحافل المستقلة. وهنالك يلعب الـــسيف دورًا معينًا في مناسبات مختلفة، مثل مناسبة الانضمام أو حلف اليمين أو أثنـــاء مـــسيرة الزميل (وفي هذا الصدد يقول الأخ: منسدورف من محفل "مينرفـــا" فـــي لايبـــزج "يخطو الأخ المراقب على رأس المسيرة مرتكنا على الأول في المسيرة ومـــشيرًا بمقدمة السيف نحو الصدر حيث يخفق القلب) أما المطرقة، والتي تعبر عن النفوذ، فلا تشاهد إلا مع المعلمين الرؤساء، أي المعلم ذي الكرسي وكلا المراقبين.

ويخلع المرء الإزار والحلية حين يغادر المحفل، وعـــادة لا يحبـــذ الإخـــوة الماسونيون حمل علامات تعارف ظاهرية. وأحيانًا ما نجد بعض المعلمين المتنحين يحملون مسطرينًا صغيرًا في سلسلة الساعة أو منقلة صغيرة في عـــروة الـــرداء. وعادة ما يتعارف الأخوة على بعضهم من خلال السلام بقبضة اليد ومـــن خـــلال كلمات معينة، أو من خلال الوضع المميز للقدامين في اتجاه بعضهما الـــبعض أو من خلال شارات معينة (مثل شارة الرقبة أو الصدر أو البطن أو شارة الاســـتغاثة أو شارة النجدة الكبرى).

وشارة الرقبة هي شارة التعارف للمتدربين غير أها تصلح كشارة تعـــارف عامة للماسونين أما كيفية أداء هذه الشارة فذلك ليس مجالنا هنـــا. وتـــشير شـــارة الرقبة إلى العقاب الوخيم الذي ينزل بالماسوني إذا ما حنث بواجب الصمت وهـــو قطع الحلق. وتختص شارة الصدر بالزملاء أما شارة البطن أو "ستوماكال" فهـــي للمعلمين. وشارة الصدر تعني انتزاع القلب من الصدر، أما شارة البطن فتشير إلى أن المعلم يضع جسده شخصيًا كرهن لصمته وتتغير كل هذه الـــشارات بـــشكل أو

بآخر مع الانتقال إلى درجات أعلى، حتى أن الضغط باليد يختلف في الدرجات المختلفة. أما شارة "الاندهاش" فهي ليست شارة تعارف، وإنما تتم ممارستها في دائرة الإخوان داخل المحفل نفسه أثناء التمثيل الدرامي لوفاة المعلم "حيرام" ولا داعي هنا لسرد المزيد. وبخصوص **5P.d.v.M.Br** فكل ما يمكن سرده هنا هو أن هذه القبضة المركبة تكتسب معناها عند دخول المعلم، ولكي يفهمها المرء يجب أن يكون قد عايشها أو حتى أحس بها لاحقًا وفكر في معناها.

أما كلمات التعارف والتي هي في معظمها ذات منشأ عبري، فهي إما كلمات دائمة أو كلمات مرور ذات صلاحية زمنية. ويتم بث كلمات التعارف نصف السنوية بواسطة المعلم الأكبر بنفسه همسًا في أذان سلسلة الإخوان. وتم إدخال كلمات المرور تلك عام ١٧٤٦ وكانت صلاحيتها سنة كاملة أو نصف سنة. ولأنها لم تكن موحدة بين المنظومات فقد أدي ذلك لكثير من اللغط وسوء الفهم.

ولا يعني نص هذه الكلمات أو مدلولها أي شيء للفرد "العامي" الذي لا يبحث علميًا في ذلك فهو ليس في حاجة لأن يعرف **M.W** القديمة أو الجديدة، كذلك يستوى أن يعرف ما ورا **M.B** أو راء.. **J....**

غير أنه من المثير للانتباه شارة النجدة أو الاستغاثة الكبرى التي يطلقها الماسونيون في حالة تهديد حياتهم. وهي تسرى عادة في درجات المعلمين لكن يتم تبليغ معناها العملي للمتدربين. وأحيانا ما تروى حكايات مؤثرة في الكتابات الماسونية، فعلى سبيل المثال يدين بعض الماسونيين بحياتهم لهذه الكلمة، وعلى وجه الخصوص في الحروب، حيث أصبح بعض الأعداء اخوانًا. وتروي الصحيفة الماسونية "جلوب" (الجزء ٢، صفحة ٤٩٦) حادثة مشابهة: "شوهد في ميدان القتال متقاتلين أعطيا بعضهما شارة فألقيا السلاح وتعانقا وأصبحا في لمح البصر صديقين وأخوين بعدما كانا عدوين، وذلك بفضل القسم الذي أديانه" كذلك تم إعطاء مثل واضح في المؤتمر الماسوني في "تانسى" (مايو ١٨٩٦): في عام ١٨٠١ تم

إصابة سفينة فرنسية إصابة بالغة من سفينة إنجليزية خلال الحرب، ولم تستطع الذود عن نفسها بسبب ضعف التسليح وعلى الرغم من الكثافة العددية لطاقم السفينة الفرنسية – وهي نصف كتيبة – فإنها كانت ستغرق لا محالة، وتم إنزال العلم الفرنسي ومع ذلك فمازالت المدفعية الإنجليزية تزمجر – وهنا تزاحم الضباط الفرنسيون الذين تلقوا النور على مقدمة السفينة معرضين أنفسهم للنيران، وأعطوا شارة الاستغاثة الماسونية وتصايحوا طلبًا للنجدة، وهنا حدث ما لم تستطع الإنسانية ان تبلغه، فقد فعلته الماسونية، فقد كان يوجد ضباط ماسونيون كذلك ضمن الضباط الإنجليز. فتوقف إطلاق النار فورًا وتم الاتفاق على التسليم وتكررت هذه الأحداث مرارًا. فنرى الأخ: بويلى ١٨٤١ يؤكد في درسه للإخوان: "لا تميزوا في أوقات الحرب بين شعب وآخر أو زى وآخر" انظروا فقط إلى الإخوان وتذكروا إيمانكم!" وهو درس تم تكريسه أيضًا في حرب ١٨٧٠- ١٨٧١ وكذلك بكل تأكيد في الحرب العالمية.

غير أنه من المسموح كذلك استخدام شارة الاستغاثة **(sign de detresse)** في ظروف أخرى، فحين يطلق الماسوني المتورط شارة الاستغاثة فعلى كل الحاضرين من الإخوان أن يهبطوا لنجدته، غير أن تلك المشاعر الأخوية لا تمتد لمن هم غير ماسونيين، فإنسانيتهم لا تنبسط إلا على الذين يضعون أقدامهم في الزاوية القائمة." ويعتب الأخ "هنه أم رين" على ذلك التصور الضيق ويعبر عن انزعاجه الداخلى بهذه الكلمات "إن الذي يهب للمساعدة عقب إطلاق شارة الاستغاثة أو النجدة لن يفعل شيئًا في حالة كون الشخص غير ماسوني، أي أنه بمنتهى البساطة يترك إنسانًا لكي يهلك! هل لهذه أية علاقة بالإنسانية؟ ألا يكون الشخص "العامي" المحتقر الذي يساعد بدون شارة أو بطاقة هوية في موقف اسمى؟" ويعتبر "هنه أم رين" شارة الاستغاثة أو النجدة هي محض خيال لا علاقة له بتاتًا بالإنسانية الحقيقية ويطالب بالتالي بإلغاء هذا الأمر.

وإذا ما سعي أحد الماسونيين للتقرب فإن عليه أن يضع قدميه في الزاوية القائمة مثلما يفعل في حالة شارة الاستغاثة، وفي هذه الحالة لا يصح أن يمتنع أي معلم عن هذا التقرب- حتى وإن كان من أصحاب التيجان. وبذلك يمكن فهم بعض الأحداث الغامضة التي لا يمكن تفسيرها بغير ذلك.

وتعتبر أفرع شجرة الإكازيا (وصحتها: كاسيا) من ضمن شارات التعارف والعلامات الدالة للماسونيين والأكازيا هي شجرة مقدسة بالنسبة للماسونيين. وأحياناً ما يحمل الإخوان على ملابسهم أفرع صغيرة من "الأكازيا" كنوع من الرموز الدالة فهذا ما حدث على سبيل المثال يوم ٤ يونيو عام ١٩٠٨ أثناء مشاركة أعداد غفيرة من الإخوان في نقل جثمان الروائى الأخ ∴ إميل زولا إلى مبنى "البانثيون"

كذلك يتعارف الماسونيون على بعضهم من خلال الطرق على الأبواب فالمعلمون يطرقون بطريقة مختلفة عن المتدربين وعن الزملاء، ولا مجال هنا للكلام عن المعنى الرمزي للطرقات الثلاث (التسع) والتي ترجع أيضًا لأسطورة "حيرام" وعلى كل الأحوال فهنا أيضًا توجد اختلافات كبيرة بين المناهج المختلفة.

وللماسونيين – أو على الأقل جزء منهم – حسابات خاصة بالتاريخ، فمنذ قرار مؤتمر "فيلهلمسباد" لعام ١٧٨٢ وهم يضيفون عدد ٤٠٠٠ إلى رقم العام، فالعام الحالى هو عام ١٩٥٩.

الجزء الثاني

الماسونية والمسيحية

كانت لوائح روابط البنائين القديمة تنص على أن الالتزام الأول للماسوني هو "يتحتم عليك أن تكون مخلصًا للرب وللكنيسة المقدسة، ولا تسمح بولوج ضلالة أو إلحاد"

غير انه تمت صياغة هذا الالتزام الأساسي للماسوني بشكل مختلف تمامًا في كتاب الدستور للواعظ "أندرسون"، فالماسوني يلتزم بتلك الديانة التي يتفق عليها كل البشر" فإذا كان يستوعب الفن (الملكي) بطريقة سليمة فلن يضحى أبدًا ملحدًا أحمق (**Stupid atheist**) أو مخلاً دينيًا (**irreligious Libertine**) وهذه العبارة الأخيرة خادعة بشكل ما وتسببت كذلك في سوء فهم كثير. ويوجد ماسونيون كثر ما يزالون يفترضون أن الاعتقاد في الله هو أساس الماسونية، تأسيسًا على تلك العبارة الأخيرة. وأليست المادة الأولى من دستور الماسونية الفرنسية – التي لا نتوقع منها ذلك– كانت تنص حتى عام ١٨٧٧ على أن "أساس الماسونية هو وجود الله وخلود الروح". ويؤكد لنا الأخ "نورمان" بشكل جاد– وهو كاتب ماسوني معروف– أن أي ملحد صريح– سوف يطرق عبثًا على باب الماسونية راجيًا الدخول، لكن الأخ "فلهلم أور" له رأى آخر: ليس معنى هذه العبارة أنه سيتم منع كل شخص ينكر وجود الله من القبول، فبعض الملحدين دخلوا في المحفل فعلاً وقاموا بتعلم الفن بهمة، وإذا لم يكن قد وجد الإيمان بإله شخصى فإنه بالقطع ليس ملحدًا غبيًا ذلك الذي يستوعب رمز **B.a..W** القادر المهيمن ويتعرف عليه من خلال مدلولاته المتعددة. وإذا ما وجد شخص ما في المحفل تنطبق عليه أوصاف **stupid atheist** و **irreligious libertine** فهو إنسان لا يفهم في الفن"(*).

(*) دكتور "فيلهلم أور" الروح الفرنسية والماسونية، "لايبزج" ١٩١٣ ص ١٩١٣

ما هي إذن حقيقة الأمر؟ هل يعتقد الماسونيون في الله؟ هذا السؤال لا يمكن الإجابة عنه بنعم أو لا صريحة، فالبعض يؤيدون والكثير يعارضون، فمثلاً يتم عرض "النجم الملتهب" على الزميل والذي يلمع في منتصفه حرف "G" ويقال له إن معنى هذا الحرف الغامض هو "الرب" (God) غير أنه يدرك في مناسبة أخرى أن حرف "G" لا يعني "الرب" ولكنه يعنى الهندسة (Geometrie)، وفي مرة ثالثة يقال له إن حرف "G" المشع هذا يعني "Gnosis" أو "المعرفة" وإن له معانى رمزية متعددة.

وعلى جانب آخر قام المحفل الفرنسي "جراند أورينت" يوم العاشر من سبتمبر عام ١٨٧٧ بإزالة كل ما يتعلق بوجود الله من دستوره. وفعل الماسونيون الإيطاليون نفس الشيء وأعلنوا صراحة أنه تم عزل الرب الحاكم. وفي مجلة "أورينت" الماسونية (بودابست ١٨٩٣، العدد ١٠) تم وصف المسيح اختصارًا بأنه "نجار الناصرة الذي أصبح مشهورًا". أما الماسونيون الألمان فإنهم وإن كانوا يستخدمون في مخاطباتهم للمتدربين والزملاء عبارات تشير ظاهريًا إلى الله وأنهم يكررون عبارات مثل "بدون إحساس الرب فكل البناء هو عبث" فإن المراقب المحايد يصل إلى محصلة أن تلك هي مجرد كلمات بدون فحوى وأنه يتم تجنب اصطلاح "الرب" بقدر الإمكان وبدلاً من ذلك يفضلون التحدث عن "معلم البناء الأعلى لكل العالمين" أو "معلم البناء الأعلى للكون ذو ثلاثة أضعاف" أو "معلم بناء العالم الأعلى قدرة" (A.B.d.W).

ويفسر الماسونيون ذلك كالآتي: في الأزمان السالفة كان لكل شعب وكل قبيلة إلهه الخاص به، ولكن إله المسيحيين أصبح إلهًا لكل البشرية ولا يفرق بين الشعوب، ولكنه إله للأرض والتي فضلها عن بقية الأجرام السماوية، حيث يجد فيها أقصى درجات التعبير عن نفسه حتى انه يبعث لها ابنة المولود كمخلص. غير أنه بعد التقدم الهائل في علم الفلك منذ "كوبرنيكوس" فقد هذا التصور صلاحيته، فيوجد ملايين الشموس مع أعداد هائلة من الكواكب قد وجدت وتوجد وسوف توجد

عليها حياة عضوية ترقى لدرجة الفكر. لهذا لا يؤمن الماسونيون بـرب لـلأرض ولكن بمعلم بناء للكون.

وما هو الموقف لأن بالنسبة للمبدأ الأساسى الثاني الماسونية وهو الاعتقـاد بخلود الروح؟

ولم يصرح الأخ .:. د. هنة أم رين، الذي يتطابق قوله دائمًـا مـع فكـره ويسعي باستمرار لصياغة كل أمر في أقصر العبارات، لـم يـصرح أبـدًا بأيـة تفصيلات عن عقيدة الخلود ولكنه أعطي الإخوان وجهات نظر عن هـذا المـدلول (رمزية الماسونية، ص ١٢٥، دار نشر فرانتس فوندر، برلين، ١٩٠٧). امـا الأخ .:. "هوجو فون كوبفر" (محفل دراى فيلت كوجلن) – وهو أحد أشد خطباء المحافل حماسة ومعلم ذو كرسى لمحفل (تسوم فلامندر شيترن) – فهـو علـى قناعـة أن الموت لا يمكن أن يكون هو النهاية المطلقة. (من محاضرة فـي محفـل "تـسوم فلامندر شتيرن"، أورينت، برلين، بتاريخ ٢٣ يناير ١٩١٢): "إنه استدلال للعقـل، ذلك الذي يقول لنا ان الوجود الإنساني سيكون بكل أطواره وظواهره هو شيء بلا معنى إذا لم يوجد شيء ما خارج نطاق القبر، حتى وإن كان مـا يـزال غامـضًا عنا..." ويقول في موضع آخر "..... الخلود، ذلك هو الفكر العظيم الذي يلـزم أن يضيء داخل أرواحنا باعثًا الدفء من خلال الأشعة الساطعة للنجم المتوهج عبـر مذبح الهيكل المعلم". كما يقول "كوبفر" إن الخلود هو المعنى الحقيقـي لأسـطورة "حيرام" (والمقصود هنا هو أسطورة حيرام باني هيكل سليمان والذي تـم اغتيالـه بواسطة زملاء غافلين عن الواجب، ثم تم بعثه ثانية لعالم جديد).

كذلك يقول الأخ .:. "أرنست ديستل"، من المحفل الإقليمي الكبير لألمانيا، إن الروح التي تسكن فينا تطالبنا بأن نتقبل حالة مستقبلية بعد الموت. غيـر أن مهنـة الأخ، ديستل هي واعظ محكمة القصر، لذلك فهـو بالنـسبة للـبعض ذو شـهادة مجروحة. وفي المقابل نجد أن الآخرين الذين يمكن أن نذكر أقـوالهم هنـا يقـف

معظمهم في المعسكر الآخر. فها هو الآخر.. "روفر" (من محفل رويال يورك) يقول: يظل الإنسان الميت حيًا في أعماله حتى وإن كان نصفه الدنيوى ساكنًا في القبر من زمن، كذلك "كارل تراونر" من رابطة الإكلكتيك. ويعمل مديرًا لبنك في "فرانكفورت" فيؤكد حقيقة غير قابلة للجدل "أن جزءًا كبيرًا من الماسونيين – وهم إخوان طيبون وصادقون ورائعون – لا تستقر في أنفسهم عقيدة الإيمان بالله وبالخلود". وعلى الرغم من إنه في أحدي خطبه بمناسبة ترقية معلمين يترك مسألة الخلود معلقة ويقبل بالتفسير الكنسى، فإنه يأتي بأفعال ضد هذا التصور. أما الأخ .·. "أندرياس بلانك"، (المحفل الكبير في "بايرويت") فينوه للماسونيين عن الخلود الذي يستحقونه بأنفسهم، لكنه يدمغ التصورات الكنسية: لا يوجد بعث لحياة جديدة سعيدة"!.

لهذا فإنه يتم عند بعض كتاب المحافل وضع الماسونية في مواجهة المسيحية بشكل عنيف، فمثلاً يعترض الأخ .·. "فردريش فيل" – وهو مدرس خاص في لانجين (إكلكتي) على التصور الخاص الذي ينادي بأن الأرض هي مجرد وادٍ للمناحة وأن الحياة الدنيوية هي مرحلة أولية لحياة أبدية مجهولة، فيقول إنه على عكس ذلك تتطلب الماسونية من الفرد أقصى درجات تأهيل المواهب والقدرات. فيجب أن يملأ العمل الحياة وأن تتم تأديته بتوجيه النظر إلى هدف كبير مشترك. كما أن الماسونية تعلمنا تذوق مباهج الحياة باعتدال وتعقل. وأن اتباع هذا الدرس يجلب بهجة بالحياة وتذوقًا حرًا ونبيلاً لها يجعل تجاوز القبح والأحداث المؤلمة سهلاً.

وإلى هنا يبدو الأمر جميلاً ومقبولاً ويستنتج منه أن الماسونية ترغب في أن تكون نوعًا من الديانة – أي الديانة الإنسانية التي يجب أن تنتشر في كل أنحاء العالم مثل المسيحية.. وبذلك ينشأ بالضرورة موقف مجابهة أو دعوة للحرب. لهذا يلاحظ الأخ .·. "كارلوس فون جاجرن"، الذي كان في زمانه ذا مكانة متميزة في

المحفل: "الدين والماسونية هما مصطلحان لا يتفقان"، وفي موضع آخر: "مع كل اقتحام للهيكل، وكل شك في الثوابت الدينية يتساقط حجر منه ثم يتحتم عليه أن ينهار أخيرًا". وفي مقابل ذلك، وحين نرى الأخ: "ميليم" الذي انتمى للماسونية مدة خمسة وعشرين عامًا يؤكد لنا أن الماسونيين لم يخطر ببالهم أبدًا اتخاذ أي إجراء ضد الدين، فإننا بالتالي لا نشكك في حسن عقيدته ولكن يلزم التنويه على أن الأخ "ميليم" لا ينتمي لفئة العالمين ببواطن الأمور، فهو وكثير من أمثاله مجرد تابعين، حيث يلمون ببعض التفاصيل، والشكليات مثل كيفية أداء شارة الرقبة بشكل صحيح، وكيفية طرق الأبواب وكيفية وضع الأقدام في الزاوية القائمة أما المعنى الأعمق للماسونية وغرضها فيظلان مجهولين لهم طوال حياتهم.

وعلى عكس ذلك فمن الملفت جدًا رؤية الأخ "حيرام" (اسم حركي للأخ: ليموزين فون لاكاسيا) والذي يعلن في إيجاز أن الماسونية هي "الكنيسة المضادة" وذلك منذ عام ١٧٢٣، أي تقريبًا منذ تأسيسها (لاكاسيا في مايو ١٩٠٨، العدد ٦٥).

وكون الماسونية تقف موقفًا عدائيًا من الكنيسة وبالتحديد الكاثوليكية- هو أكثر الأمور وضوحًا في العالم، فهي حرب الوجود والفناء لكل طرف، والكراهية متبادلة ولكن أشكال القتال هي التي تتغير تبعًا للزمان والمكان وقوة الخصم.

وهذا القتال هو أقل وضوحًا في ألمانيا، حيث إنه أولاً الماسونية في ألمانيا محررة تقريبًا من كل القيود، وثانيًا لأنه يوجد في صفوفها عدد كبير من الرهبان البروتستانت الفاعلون في مناصب رائدة، ثم أخيرًا لأن الفرد الألماني ذو طبيعة هادئة، ويتأصل في داخله السعي نحو حق تقرير مصيره بنفسه وتحرير نفسه، فالماسونية في ألمانيا هي بالتأكيد ذات سمة دينية واضحة.

ويقول "فيلهلم أور" إنه على الفن الماسوني، أن يحيط بالحياة الكاملة للروح الإنسانية من المهد إلى اللحد بكل نبضاتها وغرائزها لكي يشق المحيط دروبًا

لخصال أكثر رقيًا، والارتقاء بالإنسان إلى العلا كما يفعل كل فن راق. لــذا فمــن المفهوم أن يشتمل كذلك على الدين.. والدين موجود في كل مكان فــي الرمزيــة، وحين يتم ذكره بشكل محدد من خلال رمز "معلم بناء الكون" بطريقة تتوافق مــع الحياة الروحية، وبالذات فكرة وجود الله، فإن ذلك هو من المــسلمات لكــل مــن يستوعب الفن الماسوني بطريقة صحيحة، وعلى نقيض ذلك فإنه مما لاشــك فيــه وجود تعارض واضح في ألمانيا بين الماسونية والكاثوليكية الموجهة من الفاتيكان، فالصحيفة الماسونية "هيرولد" تذكر حرفيًا (٥ ديــسمبر عــام ١٩٠٩، العــدد ٤٥) "الكاثوليكية الموجهة من الفاتيكان" هي العدو، وتحطيمها هو الهدف الذي يــستحق عرق كل النبلاء".

وأصوات كتلك في ألمانيا ليست مجرد أصوات متفرقة، غير أننا نجد هــذا القتال يدار في البلاد الرومانية بكل همة، لكنه على كل الأحوال لــم يكــن كــذلك دائمًا، فدولة مثل فرنسا كان يشترط فيها في منتصف القرن الثامن عــشر اعتنــاق الكاثوليكية الرومانية لكي يتم القبول في "جراند لوج دو فرانس" غير أن ذلك تبــدل سريعًا جدًا بواسطة العمل التنويري للموسوعيين (**Enzyclopedist**) ولا يسعنا هنــا ذكر أحد سوى "فولتير" الذي تلقى النور في سنوات شبابه ثم دخل ثانية فــي ســن كبيرة في أحد المحافل، فعبارته التي ترددت كثيرًا، "اعــدموا الأشــرار" **Ecrasez L'infame** (الكنيسة الكاثوليكية) قد التهبت في أكبر الدوائر، حيث اشــتعل القتــال على كل الخطوط واتجه نحو الكنيسة ونحو الله والدين.

فمثلاً يقول الأخ .·. سوسك، في المؤتمر الماسوني عام ١٩٠٠– وهو المعلــم الأكبر للشرق البلجيكي الكبير – ما يتحتم علينا تحطيمــه هــو الأداة نفــسها التــي يستخدمها الأكليروس لاستغفال الجماهير ألا وهي الدين نفــسه.. " وتعلــن نــشرة: "**Bullet in de Travaux du Supreme conseil de Belgique**" "القتال بين الكنيــسة والماسونية هو قتال حياة أو موت، بلا راحة ولا رحمة" (العدد ٥١، صفحة ٥٩).

ومن الطبيعي أن يسعي بابوات الكنيسة للذود عن أنفسهم. فهـا هـو البابـا "كليمنـس الثاني عشر" أول من هاجم الماسونية بمنتهى الحدة، وذلك في تجمـع (in emineti) لعام ١٧٣٨، فهو يسميها مجتمعات يتوحد فيها بـشر ذوو ديانـات ومذاهب مختلفة في رباط شديد الانغلاق، كما ينوه عن أنهم يفضلون العمـل فـي السر ويلتزمون الصمت المطبق من خلال أيمان غليظة ذات تهديدات عقابية بشعة. وعلى كل فالمرء لا يستطيع إنكار هذه الاتهامات حتى يومنا هذا. ويتعاقـب آبـاء آخرون، ففي القرن التاسع عشر كان هناك البابوات "بيوس السابع" و"ليـو الثـاني عشر" و"بيوس الثامن" و"جريجور السادس عشر" و"بيوس التاسـع" وليـو الثالـث عشر، الذين جابهوا تلك المجتمعات السرية من خلال نـشرات بابويـة متكـررة، وبالذات الماسونية و"الكاربونارى" الشبيهة بها، حيث صبوا عليهم لعنـات كنـسية كبيرة وقد رد على ذلك الماسونيون الإيطاليون الذين كانوا لهم نصيب كبير جدًا في توحيد إيطاليا مثل "ماتسيني" و"جاريبالدى" بل ومعظم الزعماء السياسيين الإيطاليين الذين كانوا أعضاء في المحافل، ردوا على ذلك بازدراء وسخرية وطالبوا تقريبـا بإحراق البابوية (صفحة **Rivesta della Massoneria Italiana, 1882, 89**) وتمت مناشدة كل محافل العالم للمعاونة في محاربة البابا والكنيسة، كما طالـب المحفـل الكبير لإيطاليا من المحافل الألمانية الكبيرة تحديدًا أن يقوموا بحملة مشتركة ضـد البابا(*). ومن المثير للانتباه انه في الوقت الذي تنوه فيه المحافل الألمانيـة بـشكل متكرر عن أن نشاطها ليس له أدنى علاقة بالسياسة، نجد صحيفة المحافل الإيطالية تقرر أنه تم تحقيق توافق تام مع المحافل الألمانية الكبيرة في الكفـاح ضـد البابـا (صفحة **Rivesta della Massoneria Italiana, 1886, 159**) ومـن الطبيعـي ألا يتخلف الإخوة المجريون الذين هم في أوثق رباط. مع المحفل الإيطـالي الكبيـر، وإنها حقا عبارة لطيفة تلك التي قالها المعلم المجري الأكبر والتي يجدر بنا إثباتهـا

(*) من نشرة دورية للمحفل الإيطالي الكبير مرسلة إلى المحافل الألمانية الكبيرة، مطبوعة في Bauhute، ١٨٨٧، ص ٥

هنا، حينما أبدى الرغبة للإخوة .·. الإيطاليين في أن يقوم "معلم البناء الأكبر للعالمين" بالمسارعة في مساعدتهم في الكفاح ضد الظلام (١٨٩٥) واللطيف في هذه الجملة نراه في أن "رأس الظلامين" المعترف به – أي البابا – قد فتح مقتنيات أرشيف الفاتيكان منذ فترة طويلة لأغراض البحث العلمي، بينما تتوشح المحافل الكبرى في جميع أنحاء العالم في ظلام وصمت متوعدين بالموت كل فرد يتجاسر على إخراج ولونذر يسير من أسرارهم إلى النور. وفي الوقت الذي قام فيه الماسونيون الإيطاليون منذ زمن بتنحية الرب عن العرش ورفعوا "جاريبالدى" إلى مصاف أشباه الآله، بل إلى إله قومي (ص **Rivesta della Massoneria Italiana, 172 ,1886**) وهو نفسه جاريبالدى الذي نعته آخرون بأنه "بطل كلام" مثير للسخرية وأن قدراته العسكرية تساوي صفرًا – فإن الإخوة الفرنسيين قد ذهبوا خطوة أبعد، فقد قاموا بعزل "معلم البناء الأعلى في كل العالمين"! وذلك حدث يوم العاشر من سبتمبر في عام النور "٥٨٧٧ (١٨٧٧) وقد تم شطب عبارة "**Ala gloire du Grand Architecte de L'univers**" التي تبدأ بها كل مشتملات الملفات لمحفل "جراند أورينت دوفرانس" وتسبب في ذلك في انزعاج شديد في كل العالم فقام المحفل الإنجليزى الكبير بقطع كل العلاقات مع "جراند أورينت دوفرانس" ونفس الشيء فعله المحفل الكبير في كل من أسكتلندا وأيرلندا ومحافل أمريكية كبيرة كثر كذلك. (لم يكن ذلك ضروريًا بالنسبة للمحافل الكبرى لألمانيا لأنها قامت بالفعل في عام ١٨٧١ بقطع كل اتصال مع "جراند أورينت" حينما تجرأت عشرة محافل باريسية أثناء الحرب الفرنسية – الألمانية على المطالبة بمحاكمة الإمبراطور "فيلهلم الأول" وولى العهد، وعلاوة على ذلك قامت برصد مبلغ مليون كرونة، لرأسه.

وقد امتنع عشرون محفلاً أمريكيًا كبيرًا عن الاعتراف بالمحفل السويسرى الكبير "ألبينا" لأنه يقيم علاقات مع "الجراند أورينت" الفرنسي الذي لا تعترف به إنجلترا وأمريكا، كذلك أعلن المحفل الكبير "تسو دن دراى فيلت كوجلن" يوم ١٤

مايو عام ١٩٠٥ إنه ليس بإمكانه إقامة علاقات لصيقة مع "جراند لوج دوفرانس" لأن هذا أيضًا، مثل "جراند أورينت دوفرانس" يحرص في طقوسه على تجنب أي تنويه عن معلم البناء الأكبر لكل العالمين ويستبدله بالنداء على العقل والمساواة والحرية والاخوة.

وتلك كانت تبعات خطوة ١٠ سبتمبر ١٨٧٧، وقد ذكرناها بشكل موجز. ولم يشفع للمحفل الكبير "جراند أورينت" إنه دائمًا ما ينادي بالجديد غير أنه يلزم أن ننوه عن أنه ينادي دومًا "بتطبيق فكرة التسامح" وهو لم يشأ أن يقيم جبهات ضد عقيدة الألوهية أو عقيدة خلود الروح "الماسونية الفرنسية ليست بمؤمنة بوجود الله، كما أنها ليست بملحدة، إنما هي تحترم بشكل كامل حرية الضمير، وذلك كمبدأ أساسي وحيد، غير أن أصوات كتلك لم تجد آذانًا صاغية.

وفي اعتقاد "فيلهلم اور" أن تصريحات كتلك " للشرق الكبير" (Grand Orient) غير صحيحة على الرغم من أنها قيلت بنية حسنة: الماسونية الفرنسية "مسيسة بالكامل وضد الأكليروس (الكنيسة)، ومن الحقائق المؤكدة أنه لا يتم قبول الملكيين ولا الأشخاص الذين يثبت تدينهم. ولهذا السبب تكوين أسئلة معلم الكرسي كثيرة جدًا عند قبول باحث مستجد عن النور، ويقول الأخ "رومايسن" أنهم يتطلبون أن يكون الشخص جمهوريًا صالحًا ومفكرًا حرًا" ويوجد هنا بهذا الصدد عدة إثباتات مؤكدة نستخلص منها اثنين: يوجد على قمة الشرق الفرنسي الكبير، مجلس التنظيم (Conseil de L'ordre) الذي يتكون من ثلاثة وثلاثين عضوًا وهو الذي يتولى القيادة الفعلية، ويشترط في عضو المجلس أن يلتزم بألا يمارس بنفسه أو أحد أبنائه شعائر أي ديانة(*). كذلك تقر مجلة "أكاسيا" (فبراير ١٩٠٨، العدد ٦٢، ص ٨١-٩٩) بأنه منذ الجمهورية الثالثة (١٨٧١) والماسونية، وبالذات "جراند أورينت" تأخذ موقفًا معاديًا للأكليروس": تقف الماسونية اليوم في حالة كفاح

(*) منشور في الجريدة الماسونية "أورينت" في "بودابست" عام ١٨٩٣

صريح مع الكنيسة، لكن ما هو التاكتيك الذي يتحتم علينا أن نستعمله؟ هل يجب علينا أن نقتل الكاثوليك! نعذبهم! نحبسهم! نصادر أملاكهم! لا نستطيع أن نحتمل ذلك على قلوبنا!" ولكن سرعان ما احتمل الإخوان ذلك على قلوبهم على الأقل بالقيام بمصادرة أملاك الكنيسة. ومن هذه الأمثلة يتضح لنا أن تلك العبارة الانتخابية للماسونية الأسكتلندية عالية الدرجة: **"Deus Meumque jus"** (الله وحقي) هي اليوم مجرد لافتة خادعة، وأنهم يقومون

بذر الرماد في أعين العامة في العالم ومحاولة تجنب القطيعة بأي ثمن. مع كل من الماسونية الإنجليزية والأمريكية اللتاين تمثلان ثلاثة أرباع الماسونية في العالم.

ومن المفهوم أن الماسونيين يمارسون سياسة دينية كذلك في معظم الدول، فحسب النص الحرفي لبيان للماسونية المجرية عالية الدرجة بتاريخ ١٦مارس عام ١٨٩٠ "واجب الدرجات العليا هو الانتشار الفعال للمبادئ الماسونية الأساسية. وتقوم ورش الدرجات العليا- بالإدارة المعنوية للمحافل بشكل مركزي وتسعى لحل ناجح لتلك المسائل في العالم الخارجي، وأن تجد هذه الأفكار صلاحية تدعم بشكل رئيسي نجاح الشأن الماسوني". ومن هذه الأفكار على سبيل المثال إدخال الزواج المدني والذي نجحت فيه الماسونية المجرية بعد سنين من التحضير له، كذلك من هذه الأفكار إلغاء تدريس الدين في المدارس، وهو تمامًا ما يطالب به الماسونيون المجريون مثل إخوانهم الإيطاليون كذلك. وينادي الأخ.:. "أوليسى باكي" من الدرجة ٣٣ (خطبة في ديسمبر ١٩٠٦ في محفل "رينسي"، أورينت روما).

"لا لتعليم الدين! حرية الضمير! "وتردد صداها في كافل إيطاليا: "لا لتعليم الدين! حرية الضمير!".

وحينما تولى الأخ .:. ٣٣ "أرنستو ناتان، منصب عمدة "روما" (١٩٠٨) بغتة وتحت دهشة الجميع- وهو من كان سابقًا المعلم الأكبر المبجل للشرق الكبير

الإيطالي– كان أول عمل له في كل المؤسسات التعليمية هو إلغـاء تعلـم الـدين (١١يوليو ١٩٠٨).

ولقد تعجب المرء أنه حتى البابا "ليو الثالث عشر" ذلك الدبلوماسي الرقيق لم يوفق في عمل مصالحة بين الملكية والبابوية. ولم يكن ذلك ذنب الملـك ولا ذنـب البابا، ولكنهم كانوا الماسونيين الذين حاربوا هذه المصالحة بشكل عنيف وعطلوها. ولقد تم التأثير على الوزراء، وبالذات "ديبريتيس" الذي كان بدوره ماسـونيا مـن الدرجة ٣٣، وتم تذكيرهم بالقسم وإرغامهم على الطاعة. وقد يبدو في ذلك مبالغـة لمن هو خارج التنظيم، حيث إن الرأى السائد هو أن يكون الوزير مـسئولاً تجـاه الملك فحسب، وفي كل الأحوال تجاه ممثلي الشعب، ألا وهو البرلمـان. غيـر أن الأمر يختلف في تلك البلاد، حيث يوجد للماسونية أيضًا نفوذ. وتنص المـادة ٢٣٥ من "القوانين العامة للمـاسونية" في إيطاليا بالـحرف "عـلى كل ماسوني الالتزام – حين يتقلد مناصب عامة – أن يكون متذكرًا لبرنامج الماسونية". وإذا لـم يفعـل ذلك فإنه يرتكب جرمًا كبيرًا. وتلك أيضًا ليست بمبالغة ولكنها الحقيقـة العاريـة. وتذكر المادة ٩٧ من نفس القوانين، أن "الجرم الكبير" في النقطة الثالثة هـو علـى وجه الخصوص: الانحراف في التعاملات أو المكاتبات عن أوامر وقرارات الشرق الكبير أو المعلم الأكبر!

وليس الوزراء فحسب، ولكن كل الشعب قد تم إعداده وتحريضه من خـلال المحافل لكي يعوق المصالحة بين القوتين ولأي هدف؟! والهدف يبدو جليًا جدًا من عبارة مذكورة في النشرة الماسونية التي جاء ذكرها كثيرًا:

(Rivesta della Massoneria Italiana) ١٨٨٦، ص ١٣٣

"يجب على الشعب أن يمنع الآن مصالحة رهيبة (بين البابا والملـك) تعيـد للبابوية نفوذها السابق. ومن الطبيعي أن يكون هنالك من القراء من يوافـق علـى نشاط كهذا للمحافل، غير أن نية المؤلف لا تتجاوز إلى ممارسـة النقـد، ولكنهـا لإثبات حقائق وإظهار ارتباطات، أما القارئ فمتروك له تكوين حكمه بنفسه.

غير ان الإنسان لن يتوافق مع ظواهر انحطاط معينة للماسونية والتي هي ليست بمجرد تهيؤات جياشة لإنسان ما، ولكنها للأسف حقائق.

وسوف نتقبل استئثار الماسونية الإيطالية بالمسيح لنفسها، كذلك عندما تسميه "ماسوني الناصرة" والماسوني المثالي، أما حين تطلق الماسونية الفرنسية نداءات مثل: "يا أيتها الماسونية المقدسة، والتي تقدست من خلال تكريس ثلاثي " فإن المرء يرى في ذلك فسادًا فجًا للذوق، والذي يشتد استنكاره لأنه ينطلق من "جراند أورينت" نفسه (Bulletin du G.D p.574, 1888-89) ومن الملفت كذلك ما يقوله الأخ .·. زكريا من أن المسيحية هي "سبة بشعة على وجه الله الجميل (Rivesta della Massoneria Italiana 1890 p. 205) وقد يكون تصريح كهذا هو مبالغة من فرد واحد لا يثقل بالضرورة كاهل الرابطة الماسونية، لكن ماذا يقول المرء في تعظيم إبليس كما تتم ممارسته نصًا في الماسونية الإيطالية كلها؟؟ هذا يحدث فعلاً، إنهم يحتفلون بإبليس ويضعونه كشكل رمزي للتعقل في مواجهة رب المسيحيين، ونحن نجد مواضع في الكتابات الماسونية. تتحدث عن "إبليس العظيم" انظر مثلاً (Rivesta della Massoneria Italiana 1896 p. 157) مواضع يتضح منها أن الماسونيين يرون في إبليس زعيمهم الأكبر الفعلي ومعبودهم والذي يؤدي المسيح قبالته دورًا ثانويًا جدًا. وقد يبتسم المرء غير مصدق هذا الأمر، لكن هذا لن يمحي من الوجود حقيقة أن الماسونية الإيطالية لها نشيد خاص عن إبليس تؤديه في المناسبات الاحتفالية بترحاب لايضاهيه شيء ومؤلف هذا النشيد هو الأخ "جيوسوكاربوتشي" وأحب مقاطعة هي:

Salute, O Satana

O Ribellione

O Forza Vindice

Della Ragione!"

(مرحبًا يا إبليس، أيها الثائر، يأيتها القوة المنتقمة للتعقل!) وقد يكون الماسونيون الإيطاليون مدفوعين لتبجيل إبليس لمجرد تنافرهم مع الكنيسة والبابوية، فحينما يكون العقل وتكون نتائج الأبحاث الحرة والعلم مدموغين كأعمال شيطانية، فليس من المستغرب من أولئك الذين يعتبرون أنفسهم حماة العقل والممثلين الحقيقيين للعلم أن يواجهوا هذا الازدراء بخبث شيطانى بأن يرفعوا إبليس لكي يكون ربهم. ومع ذلك فهذا الأمر يظل خاليًا من الذوق.

ونشيد إبليس لمؤلفه "كاربوتشي" هو حقيقة مؤكدة، فقد تم أداؤه يوم ٢٧ أغسطس ١٨٨٧ في مسرح "Teatro Umberto" في روما وكذلك عند رفع الستار عن تمثال "جاريبالدي" (١٨٩٣) غير أن الماسونيين الإيطاليين لم يكتفوا قط بذلك، فهم يرفعون أحيانًا رايات سوداء عليها صورة إبليس عند ترحالهم أو احتفالاتهم. مثلما حدث عند رفع الستار عن تمثال "ماتسيني" (٢٢ يونيو ١٨٨٢) وكذلك في مسيرة كبيرة في "جنوا" والضواحي بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٨٨٣ حتى أنه قيل إنه عندما تحين اللحظة المناسبة سيتم رفع راية إبليس فوق كل كنائس إيطاليا وعلى وجه الخصوص فوق الفاتيكان. ويقدم المونسينور "ديلافوس" في كتاباته: **"Le Probleme de l'heure presente"** الجزء الأول- الباب ٥٤، أمثلة عديدة أخرى، كما يؤمن كذلك بانعقاد " القداسات السوداء" الماسونية. ولن نسترسل هنا في الولوج في محتوى كتاباته فقد تم الاكتفاء باستخراج الوقائع التي يستبين تأكيدها بطريقة أو بأخرى.

والآن، ما هي طبيعة أخلاقيات هؤلاء الرجال الذين يسمحون لأنفسهم بهذه الأمور الخالية من الذوق؟ من الحقائق التاريخية التي يؤكدها الأخ ∴ " ماتسيني" هي أن رئيس الوزراء الأخ ∴ "كريسبى" كان صنع في شبابه قنابل كان المفروض أن ينسف بها ملك "نابولى" فرديناند الثاني" غير أن ذلك حدث في زمن مبكر، وبدون أن نخوض في تفصيلات كثيرة مثل الفضائح البنكية... إلخ سوف نكتفي هنا

بذكر حكم أحد أهم وجهاء الماسونيين الإيطاليين الذي تم نشرة عن العاملين معــه! وهي مقاطع من خطابات للأخ .:. "تيموتيو ريبولي" ذي الدرجــة ٣٣ إلــى الأخ.:. "ألب بايك" في واشنطون وهو المعروف "بابا الماسونيين" يقول ريبولي عن السلطة الماسونية الإيطالية الأعلى "اهتمامات دنيوية تسيطر على هذا الشرق الكبير، أؤكــد لك إنه لواجب ثقيل أن تتم السيطرة على ماســونيين محــدودى الأفــق وجهــلاء (Official Bulletin, charleston 1884 p. 251) وفي خطاب أخر يشكو "ريبــولي" من الإخوان المكابرين والكذابين الذين يؤلبون الدسائس بكل أشكالها في التنظــيم، ويتحدث عن التوحش، وعن الوسائل غير الأخلاقية التي يتبعونها للحصول علــى التعيينات والامتيازات والوظائف والألقاب والمكافآت السرية"

(Official Bulletin, charleston 1884 p. 669) ويقوم زعيم آخر للماسونيين الإيطاليين عالي الدرجة الأخ "ف. ميلبتيس" بتبليغ المستشار الأعلــى للدرجــة ٣٣ (الأخ .:. بالمر في بوسطن) بأن أعضاء كثيرين للشرق الكبير قد ارتكبــوا جرمًــا مما استدعى مساءلتهم أمام قاضي العقوبات (Official Bulletin, charleston 1884 p. 249) ويبدو أن الإخوان.:. الإيطاليين يبذلون فعلاً جهدًا كبيــرًا لتبجيــل إبلــيس سيدهم الأعلى وحاكمهم: **Salute , O Satana, O ribellione!**

الماسونية واليهودية

يقول أحد العارفين بالماسونية بشكل موجز ومختصر: نشأتها في إنجلترا وبناء درجاتها العليا تم في فرنسا وتأهيلها الروحي في ألمانيا، أما مظاهرها الخارجية فقد نشأت في معظمها من اليهودية.

هذا صحيح، غير أنه غير كامل بالنسبة للنقطة الأخيرة وكما هو معروف فإن الماسونية الروحية ترتبط ببناء هيكل سليمان، ويلعب هذا الملك الحكيم دورًا كبيرًا في الماسونية. وتبعًا للمنهج السويدي يتم تبجيل الملك سليمان كراع ومعلم أكبر للتنظيم (الباب الثالث، المادة ٣ من الدستور الأساسي) ويتحتم أن يظل الشرف لمعلمي الأكبر في جنسه. ويوجد على رأس التنظيم كله رئيس أعلى تكون شخصيته معروفة لمعلم التنظيم (Vicarius Salomonis) ولمستشار التنظيم ولكنه غير معروف للإخوان في باقي الدرجات. ويوجد على قمة الأقاليم المختلفة (السويد، النرويج، الدانمرك، ألمانيا) معلم للتنظيم (Vicarius Salomonis) هو الأكثر حكمة، وذلك كوال أعلى يتحتم اتباع أوامره بنفس الانصياع كما لو كانت صادرة من "سليمان" الحي نفسه (الباب الرابع والباب الخامس من الدستور الأساسي، مطبوع في الصحيفة الماسونية "لاتوميا" السنة ٢٨، ص ٢٦) ولا داعي هنا للخوض في مزيد من التفصيلات والنتائج.

ولم يكن هيكل سليمان والذي يتم اتخاذه رمزًا في كل العمل الماسوني لبناء "هيكل الإنسانية" لم يكن بأى حال من الأحوال بتلك العظمة التي يمكن أن يفترضها المرء بناء على الأوصاف التوراتية له، فلا يمكن مقارنته بأي شكل من الأشكال بكاتدرائية "كولونيا" أو كنيسة "سان بول" " بلندن" أو حتى بكاتدرائية "سان بيتر"

"بروما" وقد تمت المناداة بالملك "سليمان" معلمًا أكبر للماسونية الحرة بأثر رجعي عام ١٧٣٠ فحسب، أما الماسونية (البنائية) الحرفية فليست لها أدنى علاقة بذلك.

والآن فإن كل ما يتعلق بهيكل سليمان تم اقتباسه في الماسونية، فاسم "الهيكل" نفسه أخذ يزاحم الاسم القديم "محفل" أو " كوخ" شيئًا فشيء (محفل أو كوخ أو ورشة هي اسماء تجمع الإخوان لأداء نشاطات احتفالية، وأهم غرفة هي "بهو المحفل" أو " المحفل" بشكل محدد، أو "هيكل")، كذلك هنالك "المحراب" والذي يتم أداء القسم أمامه ركوعًا وتؤخذ البركة – تبعا لطقوس المحفل الإقليمي الكبير لألمانيا على الأقل– كذلك فهناك العمودان بالإسمين العبريين "ياخين" و"بواس" والشمعدان ذو الأفرع السبعة، وحتى "تابوت العهد" موجود أيضًا. ويرتبط "تابوت العهد" هذا بقصة لطيفة نسمح لنفسنا بذكرها، حين كان الإمبراطور "فريدريش الثالث" وليًا للعهد كان معلمًا أكبر للمحفل الإقليمي الأكبر لألمانيا وكان يحاول جاهدًا سبر أغوار شتى الأمور وملاحقة كل الأشياء الغيبية وباعتبار كونه معلمًا أكبر فقد أعطى لنفسه الحق في الاطلاع على الأسرار ومن ثم فقد أبدى رغبته يومًا ما في رؤية محتوى "تابوت العهد" وفوجيء بذلك مستشار التنظيم وعارضه بقدر المستطاع، ولكن المعلم الأكبر لم يستسلم، وهكذا اضطر الإخوان للانصياع ورفع ستائر الغموض عن قدسهم المعظم، وبتثاقل شديد تم فتح التابوت في حضور الأمير الماسوني، فماذا كان بداخله؟ لا شيء! لا شيء إطلاقًا! (باوهوتة ١٨٨٨، ص ١٥٨) فهل كان فعلاً لا يوجد شيء بداخله، أو إن الإخوان قد قاموا قبل ذلك بإخفاء محتوايته؟ إننا لن نعرف ذلك أبدا.

وبخلاف تابوت العهد هذا، ترتبط أمور أخرى كثيرة بهيكل سليمان وبتقاليد ومنشآت يهودية، مثل البساط الذي تجري عليه تغييرات مختلفة حسب ما يكون بساطًا للمتدربين أو الزملاء أو المعلمين والذي يتم اعتباره من أبسطة مظلة الهيكل الفسيفسائية (2.Mos.26) ثم الممشى الفسيفسائي الذي يرمز إلى مدخل البهو لهيكل

"سليمان" (1.Kon.6.36)، كما تشير عصا يعقوب المنقوشة علـــى البـــساط – تبعًـــا للمنهج الإنجليزي – إلى دائرة التعريف اليهودية، كذلك يستعير المـــنهج التعليمـــي الإنجليزى أيضًا السلالم المروحية من هيكل سليمان، كذلك يرجع صعود الدرجات السبع، والذي يعبر عن الطريق إلى الكمال الروحي الأعلى، إلـــى نفـــس الـــدائرة الفكرية – ويوجد كذلك فوق باب المحراب القدسي والذي تفضي إليـــه الـــدرجات السبع رمزًا يرتبط بشكل وثيق جدًا باليهودية، ألا وهو النجم المشتعل وهنـــا يلـــزم التنويه الآتي: بالنسبة للمتدرب فيضيء له مجرد نجمة خماسية تتكون مـــن خـــط واحد في شكل خماسى، أما بالنسبة للزميل فيظهر له ضوء آخر. حيث يبـــدأ معـــه من الآن إشراق النور الحقيقي للماسونية ويكون له رفيق عبر التنظيم كله وحتـــى الختام ألا وهو: نجمة "داود" السداسية...!

ونجمة "داود" هي للماسوني بمثابة "رمز لفاعلية الكلمة الإلهيـــة ولانطـــلاق القوى الربانية" وتوجد هذه النجمة المشتعلة بصفة دائمة فوق باب التنظيم في شرق قاعة المحفل(*).

وبذلك نكون قد بينا قليلاً من بعض الارتباطات بين الماســـونية واليهوديـــة، غير أنه يوجد في الحقيقة كثير من هذه الارتباطات، فمثلاً يظهر عرش "ســـليمان" في كتاب الدستور "لاندرسون" في صيغة كرسي المعلم الأكبر، كمـــا يلعـــب خـــتم "سليمان" دورًا في المحافل مثل خاتم الختم. وقبل كل شيء هنالك أسطورة "حيـــرم" و"حيرم" أو " أدون حيرام" هو الباني الاسطورى لهيكل سليمان والذي تـــم اغتيالـــه

(*) قاعة المحفل عبارة عن مستطيل قائم الزوايا تتجه أضلاعه نحو الاتجاهات الأصلية الأربعة، فالضلعان القصيران يسميان المشرق (أورينت) والمغرب، والطويلان الجنوب والشمال والـــشرق أو المـــشرق يعني الماسوني أهم الاتجاهات السماوية فمن الشرق تشرق الشمس (Ex oriente Lux) ومن المشرق يأتي (كما يزعمون) كل التمدين! وعلاوة على ذلك فإن كل مدينة بها محفل تسمى "أوريـــنت" مثـــل " أورينت كيل"

بواسطة الزملاء الثلاثة الذين أرادوا انتزاع معارف الاتقان منه سواء بالــدهاء أو بالقوة. وحيرم هذا الذي كان قد ورد ذكره في كتاب الدستور "لاندرسون" (١٧٢٣) والذي يسمى فيه بالبناء الأكمل على وجه الأرض، يتم تعظيمــه فــي الماســونية كنموذج مثالي، كما يتم تقديمه لكل البنائين كقدوة بسبب التفاني فــي أداء الواجــب وثبات الخلق. ولا يعلم الدور الذي تلعبه هذه الأسطورة في الدرجة الثالثة لماسونية "يوهانس" وأي التقاليد تحيط بها سوى المعلمين. وسيبقى السر مــصونًا طالمــا أن الغرض من هذا الكتاب ليس مجرد اشباع الفضول. وترتبط بأسطورة "حيرم" كذلك أمور أخرى ذات منشأ يهودي، فمثلاً هناك قبل أي شيء شارة الطوارئ والاستغاثة والتي تشمل كلمات: "**Z..m..j..K.....d…W....**"(*) حيث يلزم أن يضع المنــادي قدميه في زاوية قائمة ليس هذا فحسب، بل معظم كلمات المرور وحل الشفرة هــي ذات أصل عبرى، سواء أكانت كلمة الحل الخاصــة بالمتــدرب..... **T** أو تلــك الخاصة بالزميل **Sch..........th** والتي هي معروفة بشكل عــام وتعنــي تقريبــا "سنبلة" (أو تعنى أيضًا "طريق ريفى").

والمعلم "اليوهانسى" يسمى نفسه **G....n**، لماذا؟ لأن أرقى الهياكــل وكــذا تابوت العهد كانا محفوظين في **G....n** قبل بناء المعبد. أي أنه هنا كما فــي كــل مكان توجد ارتباطات وتنويهات عن العهد القديم. وبعد كل ما تقدم فإنه من الصعب أن نندهش لأن كلمات المعلمين أيضًا هي عبرية، سواء الكلمة الجديدة وهي **m...B** أو الكلمة القديمة "المفقودة" والتي هي " يهوفا (**Jehova**)!

وعلى قدر ضعف ارتباط الماسونية بالمسيحية، فإنها شديدة التأثر بــالتوراة والعقيدة التوراتية، وكمثال على ذلك يذكرنا السؤال السابع عشر والثامن عشر فــي

(*) كان حيرم ابنا لأرملة من نسل "نافتالى" لذا فإن اتباعه – أي الماسونيين – يفضلون تسميتهم بأبنــاء أو أطفال الأرملة، فحسب أحد المناهج الفرنسية القديمة احتضن الماسونيون أرملة "حيــرم" بعــد موتــه ورسموا أنفسهم أبناءها.

الحوار التعليمي للمتدربين، فالسؤال السابع عشر يقول: ما هي الأنوار الثلاثة العظيمة للماسونية؟ والجواب: التوراة والمنقلة والفرجار! والسؤال الثامن عشر: كيف تفسر ذلك؟ الإجابة: التوراة تنظم وتوجه عقيدتنا والمنقلة لتعاملاتنا والفرجار يحدد علاقتنا بكل الناس، وبالذات إخواننا! كيف يتفق ذلك إذن مع الدرس المنوه عنه دائمًا من أن الديانة المطلوبة من الماسونيين هي فقط تلك التي يتفق فيها كل البشر والتي تهيمن عليها أقصى درجات حرية العقيدة وحرية الضمير؟ ويبدو أنه لا توافق هناك! وهذا ما يراه أيضًا عقلاء الماسونيين والذين لا يرون في التوراة الا مجرد رمز للورع الحقيقي. وتبعا لذلك توجد محافل لا يتم فيها القسم على التوراة. أما في "المحفل الإقليمي الكبير لألمانيا" فإن التوراة على النقيض ليست مجرد صورة رمزية ولكنها نوع من "كتابات الأحكام" (من الملفت أن المحفل الإقليمي الكبير لألمانيا لا يقبل غير المسيحيين- أي اليهود- في عضويته وهذه أحد المتناقضات الكثيرة التي يصادفها المرء في كل موقع في الماسونية).

بعد ذلك كله يكاد المرء أن يصل إلى مظنة أن الماسونية قد تم تأسيسها بواسطة اليهود. غير أن هذا التصور غير ثابت تاريخيًا، فمؤسسو الرابطة كانوا جميعًا مسيحيين محافظين ممن كانوا تبعًا للمنهج الإنجليزي يكونون هوى خاصًا للعهد القديم. ومنهم الواعظ الإنجليزي الذي تم ذكره مرارًا وهو "جاكوب أندرسون" الذي ألف الكتاب الشهير "كتاب الدستور للبنائين الأحرار والمقبولين" كذلك هناك الباحث الطبيعي "ثتوفيل داساجوبليرس" والباحث التاريخي "جورج باين" أما بقية الأسماء فمذكورة في التراث اللاحق وغالبًا لا يوجد بينها اسم يهودي.

دور اليهود في الماسونية

ما إن تم تأسيس الماسونية حتى حاول اليهود تثبيت أقدامهم فيها. غير أن ذلك لم يكن سهلاً. ففي البدء كان ممنوعًا على اليهود دخولها، غير أنه تم تأسيس محفلين يهوديين عام ١٧٨٠ في مدينة "فرانكفورت" على أنه لم يتم الاعتراف بهما من باقي المحافل. وفي المقابل تكاثرت الأصوات التي تؤيد انضمام اليهود. ففي عام ١٧٨٦ ايد "فون كورتوم" علنًا انضمامهم. وقد قامت الرابطة الماسونية الأكليكتيكية في "فرانكفورت" – والتي تأسست عام ١٧٨٣- بقبول اليهود في بادئ الأمر، لكنها قامت، ولأسباب غير مفهومة، في عام ١٨١١ بإصدار الأمر بطرد كل من هم "غير مسيحيين" غير أنها عادت في عام ١٨٤٤ للمبدأ الأساسي، ألا وهو التصريح بقبول اليهود ثانية، واليوم يشغل اليهود معظم المناصب الهامة والمرموقة في الرابطة " الأكليكتيكية ". ونذكر هنا بعض الأسماء التي تؤكد ذلك. الكاتب الأكبر هو المحاسب" ف. هرتز" وكنواب لمحافل أخرى ومعلمين ذوي كرسي نجد هنا الإخوان "موريتس لوفنهار" والدكتور "فيلي ليفين" والدكتور "ماكس ليفي" والمحاسب "هوركهايمر" و"أ.روزنبرج" و"كارل كون" و"ماكس فيرتهايمر" و"برنارد سيليجمان" والدكتور "أورباخ" و"ماكس اوبنهايمر" بخلاف كثيرين آخرين. ولاشك أن أكثر العاملين نشاطًا ودأبًا للمحفل هم الماسونيون اليهود، كما أنهم بذلوا أقصى جهودهم لكي يتمكنوا من الانضمام، فلقد قام الأخ: إبراهام جليسن، من الرابطة الأكليكتيكية عام ١٨٨٦ بلوم المحافل البروسية بشدة بسبب تمسكهم "بالمبدأ المسيحي" وامتناعهم عن قبول اليهود، وقد امتدح المحافل التي صرحت بدخول اليهود.

وكانت تمت في "المجر" إعادة تأسيس المحافل منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر، وفي منتصف السبعينيات تمكن الماسونيون اليهود من تولي القيادة في الوقت الذي تخلى فيه المسيحيون عن المحفل دون أية مقاومة واليوم يشغل اليهود في الماسونية المجرية أغلبية حاسمة كما يوجد في معظم قياداتها يهود، وهذا ما يذكره لنا ماسوني سابق دخل المحفل عام ١٨٧١ وأصبح معلمًا عام ١٨٧٤ ثم سكرتيرًا للمحفل. ثم عضوًا نيابيًّا في المحفل الكبير، غير أنه خرج عام ١٨٧٦ بعدما اتخذ قراره المبني على تجاربه الشخصية بالخروج والحصول على "تغطية شرفية" وهذا هو "كارل كولر" والذي أصبح فيما بعد رئيسًا لتحرير مجلة "فاترلاند" الصادرة في فيينا. وبعدما أصبح اليهود هم سادة المحفل تحولوا سريعًا لمهاجمة أولئك الذين سعوا للوقوف في وجه صعودهم السريع والمرتب، فانطلقت حملة من المحفل المجري "اليوهانسي" الكبير (الماسونية الزرقاء) ضد معاداة السامية، حيث رأى الأخ: يوليوس جولدنبرج" – وهو أحد المتصايحين في المعركة – أن أشد واجبات الماسونية إلحاحا هو مقاومة العداء للسامية! كذلك إصدر الشرق المجري الكبير بصفته وكيلا للماسونية رفيعة الدرجة، منشورًا دوريًا ضد عداء السامية! (١٨٨٢) وفي نفس هذه الفترة أيضًا جرت قضية "تيزا– اسلارر" المعروفة. وقد اعتبرت الماسونية المجرية أنه من الواجب والمناسب أن يتم إرسال خطاب شكر لممثل النائب العام "إدوارد سايفرت" لدفاعه عن الحق " (١٨٨٣).

"لا محافل بدون اليهود!" تلك الصيحة التي أطلقتها مجلة "أكاسيا" الماسونية بخصوص المحافل الماسونية الفرنسية تفوق أضعاف مثيلتها في المحافل المجرية. ولكي يمكن تجنب سوء الفهم فإنه يلزم أن ننوه مقدما عن أن مجلة "أكاسيا" (١٩٠٨، العدد ٦٢) لم تستعمل تلك العبارة بنية التحقير، إطلاقا فعلى عكس ذلك هي ترى في ذلك مكسبًا، وتخصص فيما بعد بضعة سطور لمديح اليهودية لأن الكنيسة اليهودية لا تعرف أحكامًا ثابتة (Dogma) وإنما رموز "تمامًا مثلما هو الحال عند الماسونيين" وتستأنف "أكاسيا" قائلة "لذلك فإن الكنيسة الإسرائيلية هي

حليفنا الطبيعي، ولذا فهي تؤيدنا، ولذلك يوجد في صفوفنا كمية من اليهود" فهل ذلك التأييد المتبادل هو لتلك الأسباب -أم لأسباب أخرى أكثر عمقًا، فتلك المساءلة مطروحة جانبًا في الوقت الحالي. والشيء المؤكد هو أن اليهودية تستحوذ على القيادة في المحافل مثلما تؤكده نظرة في تقويم "دالنس" الماسوني (١٩١٤).

ونحن نجد من ضمن المعلمين الأكابر الشرفيين الإخوان "فريدريش جلوك" والدكتور "سيمون مدجيس" و"موريتس ميتساي" كذلك من ضمن وكلاء المحافل الأخرى: "هاينريش جلوكمان" و"كارل دورشنيتسي" و"فريدريش أرتز" و"جيتسا فينتر" ومن ضمن المعلمين ذي الكرسي الإخوان: "دكتور مارسل جلازر (محفل هومبلت)" و"أليكس فلايسنر" (محفل جاليليو) والدكتور "إيلس بولاك" (محفل كونيفس كالمان) والدكتور "س. إيسلر" (محفل فرانتسي ديت) والدكتور "رودلف تيمسفاري" (محفل ديموكراتيا) والدكتور "س. براون" (محفل مينرفا) والدكتور "يوليونس فرانكل"(محفل بروجريسيو)، وكلهم في "بودابست" ونفس الظروف تسيطر في الأقاليم. كما أنه توجد أغلبية ساحقة من المعلمين اليهود ذوى الكرسي في محافل "فيينا" الثلاثة عشر والتي تضطر لممارسة نشاطها من "برسبورج" حيث إن الماسونية كانت ممنوعة في النمسا، وهؤلاء هم: دكتور "م.س. رومبلر" (محفل هومانيتاس) و"فيكتور فاينرت" (محفل تسور فرشفيجنهايت) ودكتور "الكسندر هولاندر" (محفل تسوكونفت) ودكتور "كارل أورنشتاين" (محفل سقراط) ودكتور "إميل فرانكل (محفل سقراط ١٩١٦) و"ن.ب. شيك" (محفل اينتراخت) ودكتور "ك.جومبرش" (محفل شيلر) ودكتور "البرت انجل" (محفل فرويندشانت) ودكتور "يو. هيلر" (محفل تروبى) و"ريتشارد شافت" (محفل بيونير) و"الفريد كيرش" (محفل كوزموس) و" فريدريش أرتنز" (محفل تسورفارهايت) و"برنارد شيلر" (محفل جلايشهايت). تلك وقائع يمكن لأي إنسان التأكد منها من خلال تقويم "دالن" ١٩١٤ (كذلك ١٩١٦).

وكذلك الحال في ألمانيا في محافل برلين التي تخضع لمحفل هامبورج الكبير، فمثلاً يوجد على رأس محفل "فيكتوريا" في "برلين" المعلم ذو الكرسي "ساللى شي"، كذلك يوجد به كمعلم معين أول الدكتور "روزنبرج" وكمعلم معين ثالث الدكتور "ماركوز". ولا تختلف الظروف كثيرًا في قائمة كاملة من المحافل التابعة لمحفل هامبورج الكبير، أليس ذلك أمرًا مدهشًا أن يكون محفل "هامبورج الكبير" مفضلاً بشكل خاص من اليهود؟ ولكي يمكن تقييم هذه الحقيقة بشكل صحيح يكون ضروريًا إثبات أن المحافل " البروسية" القديمة الثلاثة (محفل بروسيا الكبير والمسمى تسور فرويندشافت" و"المحفل الإقليمي الكبير لماسوني ألمانيا " والمحفل الوطني الام تسودان دراى فلتكوجلن" تعمل على إقصاء اليهود بقدر الإمكان، حيث يتم قبولهم على أقصى تقدير في الدرجات الثلاث الدنيا، ولكن ليس في "الشرق الداخلي" ولا في محافل أندرياس أو المحافل الأسكتلندية. وهكذا رأى اليهود أنفسهم محرومين من البداية من الحصول على الدرجات العليا في المحافل البروسية القديمة. ويزيد من أهمية هذا الأمر أنه يتم في المحفل الإقليمي الكبير لألمانيا على سبيل المثال اضطهاد الدرجات الثلاث الدنيا إلى حد التهميش وإخضاعهم للدرجات العليا. لهذا أسس المحفل الكبير في هامبورج (١٩٠٠) محفلاً قرويًا في "برلين" مراعاة لإخوانهم اليهود مما استدعى مقاومة بائسة من المحافل البروسية القديمة، حيث تمسكوا بالحق الأول القائم منذ عام ١٧٩٨ من أنه لا يسمح بممارسة النشاط الماسوني إلا على أرض بروسية فقط بدون استثناء غير أنه تم إسقاط هذا الحق بفضل مجهودات الأخوين "سيتجاست" و"كاتس" وتم في عام ١٩٠٠ تحقيق رغبة اليهود في مساواتهم الكاملة بالآريين.

وفي هذا الشأن أيضًا تم تأسيس المحفل الكبير " الإمبراطور فريدريش تسور بوندس ترويه" والذي كان بمثابة نقطة تجمع للباحثين عن النور من اليهود، ومؤسسه هو "هرمان سيتجاست" والذي قام المستشار القانوني "ألكسندر كاتسي" بتشجيعه بشكل مميز في مقاصده. ولقد واجهت هذه المنشأة الجديدة (١٨٩٢)

عداوات كثيرة وتم وصمها بشكل صريح "كمحفل يهودي كبير" وقد اندثر ثانية بعد نشأته بثمان سنوات وتم تحويل معظم أعضائه ومحافله إلى "هـامبورج" وكونـوا هناك حجر الأساس للمحفل القروي الكبير"لهامبورج" والسابق ذكره آنفًا.

ويسيطر على المحافل البروسية القديمة- والتي يبلغ أعضاؤها نحو ٤٢٠٠٠ ماسوني التوجه القومي بشكل حاسـم وعلـى النقـيض فـإن المحافـل الكبـرى "لهامبورج" و"فرانكفورت" (الأكليكتيكية) وبفضل التأثير اليهودي القوى هـي ذات توجه دولي. وقد ظهر ذلك على سبيل المثال في المؤتمر الرابع والثلاثين للمحافـل الكبرى في "برلين" (١٩٠٩)، حيث تمت الموافقة علـى طلـب المحفـل الكبيـر "لفرانكفورت" بإعادة العلاقات الودية "بالجراند أورينت" في باريس وذلك بأغلبيـة خمسة أصوات ضد ثلاثة للمحافل البروسية القديمة. وحين نأخذ في اعتبارنا أن كل من المحفلين "هامبورج" و"فرانكفورت" يشتملان (حاليا) على ٩٣٥٠ عـضوًا وأن المحافل الثلاثة الكبرى الأخرى ("ل.ل. فـون سـاكس" و"تـسورسونة" و"تـسور آينتراخت") هم أيضًا يشتملون على ١٠٦٥٠ عضوًا فقط، أي إجمالاً نحو ٢٠٠٠٠ أخ، فإن ذلك يعنى انتصار الثلث الضعيف على الثلثين الأقوى لإجمالي الماسونيين الألمان. والذنب في ذلك يرجع للهيكل التنظيمي لرابطة المحافـل الكبيـرة والتـي تصرح بممثل لكل محفل كبير حتى الضعيف منها دونما مراعاة لعـدد أعـضائه. كذلك يرجع الذنب بطبيعة الحال للفاعلية والإقدام لذلك الجناح للماسونية الألمانيـة والذي يضم تحت لوائه أكثر الماسونيين "نشاطًا ودأبًا"، ألا وهم اليهود.

وليس في ألمانيا والمجر والنمسا فحسب، لا، بل في كل الدنيا. فاليهود هـم أخف الماسونيين حركة وأكثرهم فاعلية ويعرفون كيف ينفثون في المحفل روحهـم وكيف يسخرونه لأغراضهم الشخصية. ولقد ظهروا في بولنـدا لأول مـرة عـام ١٨١٥م، ففي قائمة محفل "بوكلير دى نورد" في "وارسو" يوجد فعلاً ثمانية إخوان يهود وكلهم تجار. ونجد حتى وقت قريب (١٩٠٩) من ضمن كبار موظفي "الشرق

التركي الكبير" اليهودي "رافاييلوريتشى" و"دافيد كوهين" كما أن المعلم ذي الكرسي للمحفل التركي الإيطالي "ماسيدونيا" في "سالونيكي"، "إيمانويل كاراسو".

هو أيضًا يهودي و"كاراسو" كان كذلك عضوًا في التنظيم الذي أبلغ السلطان المهزوم "عبد الحميد" بعزله وتنازل هذا السلطان عن العرش كان من صنيعة حزب "تركيا الفتاة" غير أن حزب "تركيا الفتاة" هذا يتكون كلية من ماسونيين وذلك كما تؤكده المجلة الماسونية "أكاسيا"(*). وكان مقره الرئيسى في "سالونيكي" وبطبيعة الحال فإن "سالونيكي" هي "مكان مناسب جدًا للمؤامرات لأنه يوجد بها ضمن مائة وعشرة آلاف ساكن سبعون ألف يهودي" وهذا ما تذكرنا به "أكاسيا" وهي هنا على حق.

والآن لنلقي نظرة سريعة على إيطاليا ونلتقط من مجموع الظواهر أهم ماسوني فيها "أرنستو ناثان" فمن هو "أرنستو ناثان"؟! تؤكد صحيفة" فرانكفورتر تسايتونج" جيدة الاطلاع أن ناثان هو من أبوين إنجليزيين وأنه حتى الآن لا يتقن الإيطالية بشكل مقبول نوعًا(**). من أبوين إنجليزيين؟ لماذا إنجليزيان بالذات؟ يخبرنا الراهب الجيزوتيى "هرمان جروبر" الأوسع اطلاعًا والذي يعترف له الماسونيون الحقيقيون أنفسهم بخصوص معارفه المتجذرة في الشأن الماسوني، يخبرنا أن "أرنستو ناثان" هو ابن غير شرعي "لماتسيني" من امرأة يهودية وهو يستند في ذلك على صحيفة "كولنيشة فولكس تسايتونج" بتاريخ ٢ أبريل عام ١٩٠٠ العدد ٣٠٩.

وهكذا أصبح "أرنستو ناثان" ماسونيًا وصعد من درجة إلى درجة حتى بلغ في النهاية أعلى شرف ماسوني. فأصبح "المعلم الكبير الأعلى شرفًا" للشرق الكبير

(*) أكاسيا، ١٩٠٧، العدد ٥٧، صفحة ١٤٨

(**) ("فرانكفورت تسايتونج" ٢٨ نوفمبر ١٩١٤) الكلمة القبيحة التي تحب أن ترددها "الفرانكفورتر تسايتونج" – انه م.... لا يصح التفوه بها من شفاه ورعة.

لإيطاليا (٣١ مايو ١٨٩٦) رغم أنه يهودي. وبعد خمس سنوات أسكن "الشرق الكبير" في "بالاتسو جيوستنياني" وهو من أروع الأبنية التاريخية في روما. ثم أصبح بعد ذلك في مفاجأة مذهلة عمدة لروما، حيث تولى بهذه الصفة إلغاء مادة الدين من التعليم في كل مؤسسات المدينة التعليمية. وعند بداية الحرب العالمية تحول "ناثان" لواحد من أكبر محرضي الحرب، حيث كان يخطب في التجمعات العامة مؤيدًا الحرب بحرارة ضد النمسا وألمانيا.

وحين نذكر "أرنستو ناثان" فلا يصح أن نغفل بطبيعة الحال عن ذكر الأخ.: "بيرتسل" من "تريستا" فهو يهودى أيضًا مثل "ناثان" ووصولي سياسي مثل "ناثان" وأيضًا ماسوني مثل "ناثان" ولقد نجح في الوصول لدرجة كبير خطباء الشرق الإيطالي الكبير. وسوف يتسلق بالتأكيد يومًا ما لأعلى درجة. ولقد أصبح وزيرًا بعد اندلاع الحرب بقليل وذلك للمناطق التي سيتم تحريرها، والتي تحررت فعلاً بفضل الخيانة المهولة التي تمت في المؤخرة، ولا يصح أن يندهش أحد لأن "بيرتسل" أصبح يفضل تسميته "بارتسيلاى" وذلك بسبب قدرات هؤلاء السادة على مواءمة أنفسهم. فلقد أصبح "صمويل فيتكوفسكي" هو "ماكسميليان هاردن" وحث واحد مثل "سالومون كوزمانوفسكي" أصبح هو الآخر "كورت إيزنر"!

واختصار القول: كل من له نفوذ في إيطاليا فهو ماسوني، ويلعب اليهود تحت لوائهم دورًا هائلاً. وتقول الصحيفة الماسونية الفرنسية " ريفيو ماسونيك" إنه يوجد لهذا العنصر نواب عديدون في البرلمان الإيطالي (يناير ١٩٠٨، العدد ٣٣٤، الصفحة الأولى)، وتقول أيضًا "بلغت الروح اليهودية غرضها في إيطاليا بشكل افضل كثيرا من أي مكان آخر" (نفسه، صفحة ٣).

وليكن ما حدث من "الروح العبرية" في إيطاليا صحيحًا، لكنه لن يختلف أيضًا عنه في أمكان أخرى. ففي فرنسا مثلاً نجد يهودًا مؤسسين أيضًا ووكلاء نشيطين لتنظيمات ماسونية، فها هو اليهودي الباريسي "إتيان موران" أهم مروج لما

يسمى "النظام الإسكتلندى" الذي ليست له علاقة طبعًا بإسكتلندا. وقد تقلد أعلى التابعين لهذا المنهج أكثر الألقاب بريقًا وسموا أنفسهم جميعًا. "أباطرة الشرق والغرب". وقد تسلم "أمير الماسون" موران من "أباطرة الشرق والغرب" هؤلاء براءة اختراع يتسمى فيها "المعلم المنتخب والمكتمل والقادر وأمير كل التنظيمات" وهكذا.. يتم تكليفه فيها بنشر الماسونية في أمريكا. وقد فعل "موران" المطلوب منه وأدخل المنهج الأسكتلندى في سان دومنجو وجمايكا وشارلستون في جنوب كارولينا. ومن شارلستون تم إرجاع هذا المنهج إلى فرنسا ثانية بعد الثورة الفرنسية حيث تم عام ١٨٠٤ تأسيس "سوبريم كونسيل" (المجلس الأعلى) الموجود حاليا ذى الدرجات الثلاث والثلاثين. والى أي مدى يرتبط هذا النظام عالى الدرجات بالتاريخ التوراتي وكيف يتشبع بالروح اليهودية، فذلك ما تظهره لنا نظرة عابرة على الألقاب المعطاة هناك: فهنا نجد "درجة الثأر للأمير كادوش" (الدرجة ٣٠) ثم أمير لبنان ثم أمير المظلة وحتى الأمير العظيم للقدس!

والآن؟ لقد تم إلغاء الجنس الملكي وتم عزل الأمراء وتم نزول الأباطرة عن عروشهم، ولن يمر وقت طويل حتى يتم احتلال أماكنهم ثانية. لقد مات الأباطرة ويحيا أباطرة. الشرق والغرب! والطريق ممهد لكل الماهرين "لهازه و"أيزنر" و"ليبكنخت" و"أدلر" و"كون"!

وهناك مؤسس تنظيم آخر، "ميخيل بيداريديه" وهو متعهد يهودي لتوريدات الجيوش والذي استقدم مع أخويه مذهب "مصراييم" (مصر) في فرنسا وتولى نشره. ويشتمل تنظيم "مصراييم" على تسعين درجة (!) وله في فرنسا عشرة محافل عام ١٨٩٨ كما تم غرسه في ألمانيا كذلك عام ١٩٠٢ بواسطة الصيدلى "رويس" حيث شهد عام ١٩٠٧ نهاية غير سعيدة.

أما المذهب المشابه له جدًا والمسمى "ممفيس" فصاحب الفضل في تأسيسه هو شخص اسمه "صمويل هونيس" من القاهرة والذي أدخله عام ١٨١٤ إلى

فرنسا، وتم الاعتراف به عام ١٨٦٢ من الجراند أورينت الفرنسي، كذلك تم ادخاله ألمانيا بواسطة "رويس" المذكور سابقًا دون أن يكون متجذرًا هناك وكانت "أسراره" موزعة على ما لا يقل عن ٩٥ درجة ومن غير الممكن الحصول عليها إلا في مقابل عطية كبيرة.

غير أنه يمكن الزعم أن تلك هي مجرد كيانات لتنظيمات تحسب على الماسونية دون وجه حق، ولم تعترف بها أبدًا "الرابطة الألمانية للمحافل الكبرى" وبالتالي فهي كائنة بلا شرعية. وليكن ذلك إنما "الجراند أورينت دو فرانسي" وحده اعترف بها وهذا يكفي جدًا حتى وإن كان يتم دمغها من الجانب الألماني بأنها كيانات للنصب بغرض مص دماء الباحثين عن النور وضعاف المؤمنين، وعلى كل الأحوال فالمسألة هنا ليست مجرد مسألة الاعتراف من عدمه، ولكن لمجرد إثبات أن اليهود يلعبون دورًا فاعلاً في كل مكان في الماسونية، في فرنسا مثلما في إيطاليا والمجر وكذلك في النمسا كذلك بكل تأكيد في ألمانيا. وهل ينكر أحد أن اليهودي "كريميو" – وهو أحد زعماء المنهج الأسكتلندي – قد لعب دورا قياديا في فرنسا؟ ألم ينتم إلى الحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير (١٨٤٨) إلى جانب ماسونيين آخرين؟ وماذا عن اليهودي الأعور "جامبتا"؟ هل يجادل أحد في أن الماسوني "جامبتا" ذا الدرجة العالية هو من ضمَّن فصل الكنيسة عن الدولة في "برنامج بلفيل" المهم؟ وهل ينكر أحد أن أحد الأهداف السياسية للماسونية هو إتمام فصل الكنيسة عن الدولة في كل مكان؟ وان ذلك، أينما تم هذا الفصل، هو من فعل الماسونية؟ وأنه في داخل الماسونية هو من فعل اليهود؟ ولنرى الآن كيف هو الحال في إنجلترا.

يوجد في إنجلترا بما فيها المحافل الأسكتلندية ٢٢٥٠٠٠ ماسوني منهم ٤٣٠٠٠ يهودي، وهو ما يمثل الخمس تقريبًا، ومع ذلك فهناك محافل يكاد يكون كل أعضائها يهودًا، مثل محفل "شيلى" الذي يتكون ثلاثة أرباعه من اليهود، بل

هناك محافل يهودية صرفة مثل محفل "حيرام" وهذا الأخير تسبب في فضائح كثيرة مما دعا المعلم الأكبر للتنظيم، الأمير "إدوارد البرت" الذي أصبح فيما بعد "إدوارد السابع"، إلى أن يقرر حله. ومن المثير للانتباه كذلك أسماء المحافل التالية: "الملك سليمان" و"الملك داود" و"الملك صاول" و"البارون هيرش" و"اللورد روتشيلد" و"هنري برنشتاين" و"سير ألبرت جاسون" وآخرين. ويؤكد لنا الكاتب الفرنسي "ثيو ديدالوس" (اسم مستعار) في كتاب **L'Angleterr Juive**(*) أن هناك أمورًا مثيرة سوف تنكشف لنا إذا ما تهور "الأرشى بيرث" الذي تخضع هذه المحافل لهيمنته وأراد أن يتكلم. وتحديدا منذ الحرب الفرنسية الألمانية واليهود يتدفقون على المحافل فاتحين لها، في الوقت الذي أخذ فيه الإخوان المسيحيون في إفساح الميدان لهم بلا قتال.

في ذلك الوقت تم تأسيس العديد من المحافل لهدف واضح هو تمييز اليهود، مثل محفل الممثل المسرحي "فون دورى لاين" الذي يدعم صعود الممثلين اليهود ومثل محفل "سافاج كلوب" والذي يدعم "الصحافة الصفراء" ويرتقي بالنشء من الصحفيين **(News paper man)**. هؤلاء اليهود الذين لم تكن لهم أدنى علاقة بعالم المحافل في زمن الماسونية البنائية والذين تم السماح لهم في القرن الثامن عشر فقط بالانضمام تدريجيًا هم الذين يهللون منتصرين اليوم وإذا ما صح أن الماسونية الإنجليزية تمثل الأساس لإمبريالية "شامبرلين" – وهذا أكيد – فلا يصح أن نغفل – عن أن قيادة الماسونية هي يهودية بشكل بارز. ولا يغير من هذه الحقيقة أن "دوق كونفت" شقيق الملك "إدوارد السابع" يقف على القمة كمعلم أكبر. كما وأن نائب المعلم الأكبر **(Pro Grand Master)** هو "لورد إمبثيل".

بخصوص إنجلترا فلا يصح أن نسأل الآن: من يكون ماسونيًا هناك؟ ولكن يجب أن يكون السؤال معكوسًا. من يكون غير ماسوني هناك؟ إن كل من له اسم

(*) صفحة ٣٢٣، L.Angleterre Juive, Israel Chez John Bull

أو حيثية، كأفراد الأسـرة المالكـة والـوزراء واللـوردات وأعـضاء البرلمـان والصحفيين وكبار التجار. ومدراء البنوك.. إلخ ينتمون تقريبًا بلا استثناء لرابطـة الماسونيين، وكذلك بالطبع كبار الحاخامات. كما أن الصحيفة المعروفـة "التـايمز" تحمل على مدخلها علامة الماسونيين علنًا وبشكل واضح لكل فـرد فـي نقـوش فسيفسائية. والماسونية واليهودية هناك تتشابكان في نسيج واحد للدرجة التي تجعل كاتبًا إنجليزيا يعلن بكل جدية أن الماسوني ما هو إلا يهودي اصطناعي.

ويقول كاتب مجهول في الـصحيفة الإنجليزيـة **"The Eye Wittness"** أن الوضع الحالى لليهود في إنجلترا يتسم بشكل جلي في أنهم حازوا على الهيمنة فـي التجمعات السرية، أو بمعنى أصح في الماسونية(*)!.

ويؤكد إدوارد ديمارش(**) في كتابه المتميز عن عائلة روتشيلد، أنهم ينتمون للتنظيم الماسوني منذ عام ١٨٠٩، سواء في المحافـل الألمانيـة أو الفرنـسية أو الإنجليزية وهذا هو السبب في أنه لم يمكن فعل أي شيء ضد هذه العائلة القويـة، حيث يتم التبليغ عن أي اعتداء في نفس اللحظة وإفشاله بواسطة الإخوان. ويبـدو ذلك منطقيًا حين نتذكر أن كل ماسوني مكلف بلفت انتباه كـل أخ لأيـة مخـاطر تتهدده، وفي هذا تكمن القيمة الأساسية للماسونية بالنسبة لليهودية، على الأقل حين تضع غير اليهود في خدمة منظمتها الخاصة والضيقة. وهـذه المنظمـة الخاصـة لليهوديـة هـي كمـا هـو معـروف: "الحلـف الإسـرائيلي" "**Alliance Israelite**" وممثلهـا المعـروف هـو: "مـوزيس مونتيفيـورى" والأخ .:."مونتيفيورى" هو من مدينة "ليفورنو" (إيطاليا) غير أنه أقام فيما بعد بصفة دائمة في إنجلترا، حيث جاز على رضاء الملكة وحصل على لقب "فارس" ثم رقي إلى "بارونت" فيما بعد وقد حقق مونتيفيوري خدمات غير عادية لليهودية في كـل

(*) أعداد مختلفة من " The Eye Witness "The Jewish Question سبتمبر ١٩١١

(**) إدوارد ديماشي Les Rothschild باريس ١٨٩٦، ناشر شخصي

أنحاء العالم وقام برحلات عديدة حول العالم لاقتناص مزايا من كل نـوع لرفقـاء جنسه حيث أسدى له انتماؤه للماسونية منفعة هائلة. والأخ.·. (مونتيفيورى) لـيس بغريب عنا، فحين تم إعلان دستور ١٨٦٧ في المجر تشفع بنفسه عنـد "فـرانتس ديك" والبارون "يوزيف جوتفوس" والأخ "جراف أندرافى" – وكان رئيسًا للـوزراء في ذلك الوقت" – لكي يتم تحقيق المساواة لليهود. وقد قام قبـل ذلـك بالاتـصال بالإخوان .·. "أجناتس هيرشلر" و"مورتيس فارمان" في بودابست وتـم بواسـطتهم إنشاء اتحاد فرعي "للحلف الإسـرائيلي" **Alliance Israelite** فـي المجـر وقـام بالزيارات المذكورة في اللحظة الحاسمة، لكنه لم يتلق موافقة مؤكدة مـن رجلـي الدولة هذين، فالمسألة لم تكن بعد ناضجة لحسمها، غير أن مونتيفيـوري تمـسك بموقفه استنادًا على "الخدمات الوطنية" لليهود، ومن ثم ذهب إليـه وزيـر الثقافـة "بارون جوتفوس" في اليوم التـالي بمـشروع مـادتين يتـساوى فيهمـا اليهـود بالمسيحيين، في الحقوق الوطنية والسياسية ويتم من خلالها إلغاء كـل الترتيبـات والإجراءات المتناقضة(*).

ويتبين لنا بشكل كاف من خلال تلك التفصيلات التي يمكن تأكيدها بإضـافة المزيد منها أن اليهود بلغوا من قوة التمثيل في الماسـونية بمـا لا يتناسـب مـع أعدادهم. ومعنى ذلك أن الماسونيين اليهود في كل مكان هم أكثر العاملين نـشاطًا ودأبًا ويعرفون كيف يحصلون على صلاحيات لهم كذلك يتبين لنا أنهـم يـسعون للزعامة في الماسونية في كل البلاد، بل إنهم انتزعوها فعلاً في دور كثيرة وإنهـم يسعون لاستغلالها لصالح جنسهم، كذلك يظهر لنا أيضًا على وجه الخـصوص أن اليهود بالذات هم الذين أدخلوا السياسة داخل المحافل وأنهم يضغطون علـى بقيـة الإخوان لسلوك نفس الاتجاه.

(*) انظر المجلة الماسونية "هاينال" ١٨٨٥ صفحة ١٠١

والآن، إذا ما كانت الأمور هي فعلاً كذلك. فإن السؤال يكون حتميًا عما إذا كان لا يوجد أحد في كل المملكة الألمانية قد فطن لهذه اللعبة فينهض ويتصدى لليهودية المتعطشة للسيطرة؟ والإجابة هي: آلاف كثيرة ترى ولا تتكلم، فالبعض يرى نفسه مكبلاً من خلال قسم المحفل أو العهد، أما الذي ينهض أخيرًا لمجابهة هذا الأمر فإنه يواجه بغضب المحفل فيتم فضحه اجتماعيًا واتهامه زورًا بدوافع وضيعة لحركته ويتلو ذلك تشويه سمعته التجارية والقضاء عليه اقتصاديًّا ويشعر فجأة وقد توجهت أسنة سيوف الإخوان نحو صدره وهكذا تصبح الصورة الرمزية السالف ذكرها هي حقيقة فجة ويستطيع الأخ .·. "فيندل" • وهو من أكثر الماسونيين تجردًا ونبلاً – أن ينشد لنا شعرًا في هذا الشأن. لقد كان أحد المعارضين عن اقتناع لما يمسى "بالمبدأ المسيحي" وقاوم بالكلمة وبالكتابة تلك التعليمات. التي يتم من خلالها منع اليهود من دخول المحافل، وبمرور الوقت غير الأخ " فيندل" من رؤاه بشكل أساسي، فهو يقول "تتوجه الماسونية بشكل متوازن نحو كل البشر كبشر وذلك من منطلق أن مريديها يتحيدون كبشر في رباطة أخوية، بينما اليهودي يظل يهوديًا يعتبر كل الشعوب الغريبة عنه هي مجرد مادة للاستغلال(*). والآن كيف نفسر هذا التغيير في الرؤا؟ يقول الأخ.·. "فيندل" نفسه "كنت في السابق متحمسًا لليهود لأنني كنت أعتبرهم مقهورين، لكن حين تبين أنهم هم الذين يقهروننا قررت مكافحتهم(**) وينوه عن أنه قد سيطر عليه انطباع هائل بأن اليهود يتدخلون بشكل مؤكد في شئون القضاء من خلال الرشاوى، كذلك ينوه عن مواضع متعددة في التوراة يوعد فيها اليهود بالسيادة على كل الشعوب، ثم يخلص أخيرًا إلى محصلة وجوب أن يؤخذ من الباحثين عن النور من اليهود إقرار خاص قبل قبولهم ينص تقريبًا على التالي:

(*) ى. ج. فيندل، كتابات متنوعة، الجزء الثاني، صفحة ٩٢ لاينزج ١٩٠٢

(**) ما قبله، صفحة ٢١٢

"إننى أنبذ التعاليم التي تنادي بأن اليهود هم شعب الله المختار باعتبارها رؤية متقادمة وخرقاء ومدعية".

"أننى أنبذ كل ما في كتب موسى، كذلك كل ما في العهد القديم والتلمود من تعاليم لا إنسانية وغير أخلاقية عن السيادة على الشعوب واستنزافها بواسطة اليهود، واعتبار ذلك غير ملزم لي".

"إننى أنضم لمتقفى الغرب كافة في نبذ ومحاربة كل اليهود الذين يدينون أنفسهم من خلال غش وخداع واستغلال والكسب بالنصب من الآخرين. وأرفض أية رابطة روحية مع هؤلاء المسيئين اليهود. وأذكر بالشرف والضمير أننى لست عضوًا في منظمة قتالية يهودية مثل اتحاد المواطنين الألمان ذوي العقيدة اليهودية أو تنظيم "بناى بريث" أو اتحاد اليهود الألمان".

"لن أتتبع بعد انضمامي للرابطة الماسونية أية اهتمامات يهودية خاصة ولا أسئ استغلال المحفل في أغراض تجارية".

"أعتبر نفسي ملتزمًا بتفعيل المباديء العليا للماسونية بكل قواي من حيث الحب الأخوى والمساعدة والإخلاص وأقر بأن الأخلاقيات المسيحية التي تتأسس عليها الدولة الألمانية والماسونية هي ملزمة لي".

"أنبذ خدمة السحت وكنز الثروة غير المنتجة كوباء فاسد".

"ولن أدعم بشكل مباشر أو غير مباشر أمرًا يهدف إلى سيطرة اليهود على الشعب الألماني والمحافل".

وهذا الإعلان يشتمل من حيث المبدأ على مجرد بديهيات غير أنه رغمًا عن الوضع المتميز والمرموق الذي يتقلده الأخ "فيندل" في الماسونية – إنه ناشر "باوهوتة" وهو عضو شرف في أكثر من ثلاثين محفل "يوهانس" وبعض الجراند أورينت – فإن النجاح تخلى عنه في هذه المسألة التي هي من أهم المسائل.

غير أنه ربما لا يكون الأمر بهذا السوء في ألمانيا مثل ما هو في أماكن أخرى، وربما لا يكون لليهودية نفوذ في الماسونية الألمانية مثل ما هي في بلاد أخرى كإنجلترا أو فرنسا أو إيطاليا أو المجر! ولنختبر هذا الزعم من حيث صحته. ويكفي جدًا مثل وحيد من الزمن القريب يجعل الأعمى بصيرًا. .

كما هو معروف يوجد على قمة الماسونية الألمانية "الرابطة الألمانية للمحافل الكبيرة" كهيئة عليا والتي تتكون من الثمانية محافل الكبرى لألمانيا. وكان المدير القائم بالأعمال إبان اندلاع الحرب هو المعلم الأكبر لرابطة الماسونيين الأكليكتيكين في فرانكفورت. إلى هنا وكل شيء على ما يرام لكن حين نتساءل عن اسم هذا المعلم الأكبر الذي أدار أعمال رابطة المحافل الكبرى في هذا الوقت الحرج لا نتلقى معلومات واضحة، وحتى "قائمة دالن" الماسونية تصمت في هذا الشأن ولا تذكر إلا اسم نائب مدير الأعمال، وهو الأخ "جوتهولد". والأستاذ الدكتور "كريستيان جوتهولد" كان على كل حال معلمًا أكبر " للرابطة الإكلينيكية" عام ١٩١٣/١٩١٤، وتكرر ذلك عام ١٩١٥/١٩١٦، لكنه لم يكن كذلك عام ١٩١٤/١٩١٥، فمن كان في ذلك الوقت عند اندلاع الحرب معلمًا أكبر للأكليكتيكين وبالتالي أيضًا مدير أعمال "رابطة المحافل الألمانية الكبرى"؟ ويبدو أن ذلك سر ليس من الضروري أن يعرفه الماسوني الألماني، ومن لا يضع قدميه في الزاوية القائمة فهو ليس بحاجة بالتالي لمعرفته. ويبدو أن سبب هذا الكتمان المتحرج هو أن مدير أعمال "رابطة المحافل الألمانية الكبرى" كان بالمصادفة يهوديًا. على كل الأحوال فقد انتقل بعد اندلاع الحرب مباشرة- غالبًا في سبتمبر ١٩١٤- إلى الشرق الأبدي.

غير ان ذلك لا يمكن أن يكون سببًا لكتمان الاسم، فهو لا يظهر في "استعراض الموتى" ولا يظهر في قائمة دالن لأعوام ١٩١٥ولا ١٩١٦ ولا ١٩١٧ ولا ١٩١٨. فلا يبدو إن ما تم إخفاؤه أو وجب إخفاؤه بواسطة. المحفل هو قابل

للكشف حاليًا. ولم يحدث أبدًا في دوائر الماسونيين أن تم السكوت عن خبـــر وفـــاة أحد إخوان المحافل الرائعين، بل والمعلم الأكبر الذي أدار علاوة على ذلك شـــئون الرابطة بأجمعها في أشد الأوقات أهمية، وإخفاء ذلك حتى عن المحافل المشاركة. ولا مجال هنا في الوقت الحالي لتقييم ما يمكن أن يكون قد جرى في أعلى دوائـــر المحافل في ألمانيا بواسطة غير المختصين، غير أنه ربما يكمن حل ذلك اللغز في مجرد اسم ذلك الأخ الراحل إلى الشرق الأبدي: المعلـــم الأكبـــر الأعظـــم شـــرفًا للأكليكتيكين ومدير أعمال جميع الماسونية الألمانية إبان بداية الحرب العالمية هو: "كون" وهذا الاسم يملأ مجلدات، فهو حقًا برنامج!

الماسونية وأعمال الخير والسياسة

يتباين بشدة في الماسونية اتجاهان، الأول يحصر مهمتها في ترقية الأعضاء لذواتهم، والآخر يعتبر أن المهمة التي لا غنى عنها للمحافل الماسونية هي امتهان السياسة كي يمكن بواسطتها خدمة رفاهية الإنسانية.

وترتكن الماسونية الألمانية بصفة عامة على وجهة النظر الأولى، فتبعًا لرؤية الفن الملكي "يكون هدف البنّاء الحر هو أن يكون طيبًا ومكتملاً دون ما مساعدة من خوف أو رجاء"، وهذا ما يقوله الأخ.:. "ف.هـ.سايدل" من المحفل الكبير "لساكونيا". لذلك فهم يعملون سويًا في المؤسسات الخيرية ويحاربون المساعي الربوية وما يسمى "الدولاريسم"، ويؤكدون على أن لب الحياة الاجتماعية الحقيقية هي الاستعداد للتضحية والمحفل بالنسبة لهم هو مدرسة لزرع ورعاية الحب لخير الإنسانية كلها.

لذا فإن المحافل والمحافل الكبيرة تقوم بتأسيس دور إيواء تربوية وملاجئ ومؤسسات تعليمية وصناديق إقراض وصناديق وفيات ودور ولادة... وهكذا. وقد قامت بعض المحافل الكبيرة بتأسيس مئات عديدة من المدارس الابتدائية تقوم بإدارتها، مثل "المحفل الكبير تسودن دراى فلت كوجلن" والذي قام بمفرده بتأسيس ٤٥٧ (١٩١٨) " والمحفل الإقليمي الكبير لألمانيا" ٤٤٤، أما "الرابطة الإكليكتيكية" فلم تؤسس الا ٧٤ فقط ولو أن عدد أعضائها أيضًا ليس بكثير، حيث أنها ومنذ حكايتها الغامضة مع "المعلم الأكبر صاحب الشرف الأعظم" "كون" فقدت نحو خمسمائة عضو ولا تضم الآن سوى ٣٤٢٩ أخًا يتوزعون على خمسة وعشرين محفلاً. غير أن "الرابطة الإكليكتيكية" هي تلك المنظمة الأكثر ممارسة للعلاقات مع الخارج وتوظف لذلك الغرض نحو ثلاثين ممثلاً وتميل بشكل كبير نحو التوجه

السياسي في الماسونية، ومن اللافت للنظر أنها تبنت بشكل كبير إعادة ربط العلاقات مع "جراند أورينت دوفرانس" ومع "جراند لوج دوفرانس". ومن ضمن المحافل المحسوبة على الجناح اليساري كذلك المحفل الكبير لهامبورج، فنجده قد طالب مثلاً بالاعتراف "بالسوبريم كونسيل" لصربيا. وهو الطلب الذي تم قبوله أيضًا من مؤتمر المحافل الكبرى الألمانية قبل اندلاع الحرب العالمية مباشرة، أي يوم ٣١ مايو ١٩١٤.

ولاداعي تقريبًا للتدليل على أن الفرنسيين لا يتعاطفون مع المساعي المثالية للماسونية الألمانية. ويذكر الأخ .·. "فيلهلم أور" في كتابه القيم "الروح الفرنسية والماسونية" أدلة على ذلك في كل صفحة، كما تعلن "نشرة الشرق الكبير لفرنسا" لعام ١٨٦٤ تقريبًا: "لا تدخل أعمال الخير في مشمول الماسونية" وهذا واضح بما فيه الكافية.

وما الموقف الآن في المجر والنمسا؟ في المجر أنشأ الماسونيون في البداية بعض المؤسسات الخيرية، وحصلوا بذلك على تسامح وصلاحية، غير أنهم في نفس الوقت تدفقوا على كل المناصب ذات النفوذ وسعوا بشكل خاص إلى وضع الصحافة في خدمتهم، ثم حصلوا على جزء كبير من معلمي الابتدائي وكل مؤسسة التعليم المتوسط. ثم سعت المحافل الحمراء (محافل سكوت لاند) تبعًا للنموذج الفرنسي في السيطرة على تعليم الكبار أيضًا.

وتؤكد النشرة الشهيرة الماسونية "كيليت" والتي ندين لها بهذه المعلومات، أن ماسونيين يهودًا قاموا بإعطاء "تعليم أخلاقي" في السجون(*)، غير أن "كيليت" تخبرنا أيضًا بأشياء مختلفة تمامًا، فهي تنفي بشكل حاسم أن تكون المحافل الماسونية هي اتحادات للأعمال الخيرية مثل آلاف غيرها، وهذا واضح فعلاً، فلكي يمارس المرء أعمال الخير لا يحتاج لأن ينغلق على نفسه ويرتدي مئزرًا جلديًا

(*) "كيليت"، ١٨٩٦، النشرة العاشرة.

ويعلق حمالات. ماذا يهدفون إذن بخلاف ذلك؟ تقول "كيليت":" نحن نـضع أسـس نظام اجتماعي جديد"(*)، " نحن نحتاج الغموض لأن هذا السحر يقـوي وحـدتنا"، "…. نحن متآمرون؛ نحن نتآمر يوميًا بعقيدة مقدسة وبمرارة ضد نظـام المجتمـع الحالي"(**).

إذن أعمال الخير هي غطاء يتخلى عنه المرء حالمًا لا يحتاج إليـه، وهـذا أيضًا في الأساس مجرد أمر بديهي لأن قسم السرية يصبح بلا معنى عقلاني إذا ما كان الأمر مجرد اتحادات لأعمال الخير، ناهيك عن القـسم البـشع فـي النظـام السويدي. وهنا نمسك بذلك الاعتراف العلني لنشرة "كيليت" وهي النشرة الماسونية المعترف بها "للمحفل الرمزي الكبير للمجر".

أن الماسونية المجرية تمثل نظام دولة، وما هي طبيعة هذا النظام، ذلك مـا يصرح به الأخ .·. "بيلاباس" بلا حياء في محفل "ديل" (لوجـوس):"اسـعوا لكـي تتوقف سطوة الحكام الذين لا يعملون". الهدف إذن بلا شك هو الجمهورية(***).

ممارسة السياسة إذن هي الهدف الأساسي للماسونيين المجريين، بـل هـو الهدف الوحيد حيث يتم تقريبًا، عملية تأهيل للسياسيين فـي المحفـل. وفـي كـل انتخابات يتم توجيه الماسونيين في المجر إلى كيفية التصرف. ويوجـد فـي كـل الأحزاب البرلمانية ماسونيون، كذلك أهم المناصـب يحتلهـا ماسـونيون، حتـى الوزراء، وهذا ما يؤكده لنا الأخ.·. السابق "كارل كولر"(****) – وهو مطلع جيد – وفي واقع الأمر أن "الدوق أندرساي" كان ماسونيًا بجانب كثيرين، كـذلك "الـدوق بانفس" أما "البارون فكرلي" فقد تم تذكيره بالقسم حينما تقلد وزارة المالية في حينـه

(*) "كيليت"، سبتمبر ١٩١١

(**) "كيليت" يوليو ١٩١١.

(***) هذا النص تمت كتابته في مايو ١٩١٨!

(****) ماسونية المجر النمسا، صفحة ٣٠٠، فيينا ١٨٩٧، مطبعة "هردر".

(١٨٨٩)(*) وهو ينتمي إلى المحفل الكبير عالي الدرجة "كولومان العــالم بالكتــب" (كالمان كونيفس). ويمكن سياق براهين كثيرة على الممارسة السياسية للإخوان في المحافل المجرية. وطالب الأخ.: "صمويل باكوني" (سابقا: "صمويل بروير") فــي صحيفة المحفل الرسمية بالاستيلاء على ممتلكات الكنيسة وبإلغاء مزايــا النــبلاء. وعلى المرء أن يتفكر في هذا الأمر كيفما يشاء، على أنه ينبغي علينـــا أن نــسمي مثل تلك المطالب بمطالب سياسية لا تمت بصلة للماسونية الروحية الخالصة.

ويصدر الماسونيون المجريون كذلك صحيفة يومية خاصـــة هـــي "بـــيلاج" ("العالم") وقد تم تأسيسها بدعم مالي من الحكومة، غير أنها مـــا لبثــت أن تولــت مكافحة "النزعة العسكرية". وتعبر العبارات التالية عن روح تلك الجريدة: "نادرًا ما يحنث الجنود بقسمهم مثل الملوك" ("بيلاج" في ١٦ أبريل ١٩١٠).

كذلك فإن المثل الأعلى "لبيلاج" هي الجمهورية الملحدة، أي: "عصر خـــال من التيجان والهياكل"(**)، وهذا ما تؤكده الصحيفة الماســـونية الفرنـــسية "أكاســـيا" والتي تنوه بشكل خاص عن أن الماسونية المجرية شديدة الشبه بالماسونية الفرنسية من حيث فعالياتها، فتقول: "حيث إن الماسونية في المجـــر أيـــضًا هـــي الكنيـــسة المضادة والشريحة المتقدمة فعلاً من الـــرأي العـــام"(***). كمـــا تنـــوه صـــحيفة "نكلنبورجشه لوجين بلات" عن أن النشاط الحالي للمحافل المجرية ينحرف تمامًـــا عن ذلك الذي يفهمونه (الماسونيون الألمان) تحت كلمة ماسونية.

"حين نقرأ صحيفة "أورنيت"(****) يعترينا شعور بأننا ندخل في عالم مختلف تمامًا. ويتناول المجلس الاتحادي للمحفل الكبير في اجتماع رسمي صحيفة يوميـــة

(*) ما قبله، صفحة ٣٣٠.

(**) منقولة عن "الماسونية والسياسة" للدكتور "بيتر جرهارد فيينا ١٩٧١، صفحة ٧٠.

(***) "أكاسيا" يونيو ١٩٠٨ان العدد ٦٦، صفحة ٤٢٠.

(****) "أورينت"، النشرة الألمانية الرسمية "للمحفل الرمزي الكبير للمجر" بودابست ٦.

سياسية تم تأسيسها من ماسونيين (غالبًا المقصود هي "بيلاج") ويضمن لهـا دعـم وتأييد المحفل الكبير. ويلقي المعلم الأكبر في محفلة خطبة سياسية تحريـضية.... تأتي في مقدمة المشاركة في المحافل مجالات العمل: الكفـاح ضـد الأكليـروس والاستيلاء على أملاك الكنيسة ومدارس ابتدائية حرة لا دينية وحق انتخاب سـري ومباشر. وبخلاف تلك الموضوعات يتم أيضًا التفاوض مـن خـلال محاضـرات ومناقشات بخصوص اتحاد الرعاية الإسرائيلي وتعاليم "فيرر" والمسألة الـصربية ومواضيع كثيرة أخرى من هذا القبيل، كذلك يتم جمع أموال كثيرة لتلك الأغراض المذكورة" كذلك: "إذن المحافل المجرية هي روابط سياسية تبارك بـشكل رئيـسي المساعي الاجتماعية الراديكالية". وتقول صحيفة "مكلنبورجشة تاج بلات":"إننـا لا نقرأ شيئًا في "أورينت" عما نسميه ماسونية(*). وبذلك يكون قد جاءنا دليل من فـم ماسوني شخصيًا على صحة مزاعمنا وكون كل من الإخوان.·. "كوسوت" و"كلابكا" و"مارتينوفتش" وآخرين كانوا أعضاء في المحفل، فذلك شيء بديهي بعـدما سـبق ذكره.

والآن ما هو الوضع في النمسا؟ إن الماسونية في النمسا ممنوعة منذ عـام ١٧٩٤، كذلك عام ١٨٠١، غير أنه وتبعًا لعبارة هزلية فإن كل مـا هـو ممنـوع عندنا مباح، كذلك الحال في الماسونية، فيوجد حاليًا في "فيينا" ثلاثة عـشر محفـلاً يتبعون جميعًا المحفل المجري الكبير ويمارسون طقوسهم في مدينـة "برسـبورج" ونذكر هنا اسماءهم وتـواريخ تأسيـسهم:" هومانيتـاس" (١٨٧١) "تـسوكونفت" (١٨٧٤)، "سقراط" (١٨٧٤)، "آينتراخت" (١٨٧٥)، "شيلر".

(١٨٧٥)، "فرويند شافت" (١٨٧٧)، "ترويـه" (١٨٨)، "جوتـه" (١٨٩٢)، "لسنج تسودن دراي رينجن" (١٨٩٧)، "بيونير" (١٨٩٨)، "كوزمـوس" (١٩٠٧)،

(*) منقولة من "هيرولد" الصحيفة الأسبوعية للماسونيين (رئيس التحرير الحـالي، دكتـور كيلولـه فـون سترادونتس"، برلين ١٩١٠، العدد ١٨، صفحة ٩ و١٠.

(تسودفارهايت) (١٩١٣) "جلايشهايت" (١٩١٣). وجدير بالذكر أن أربعة محافل من هذه المحافل الثلاثة عشر توجد في "فيينا" تحت اسماء مختلفة لكنهم يعملون تحت قيادة نفس المعلمين ذوي الكرسي، فمحفل "سقراط" يسمى هنا "هومانيتيرر فرآين آينجكايت" ومحفل "شيلر" يسمى نفسه هنا أمام الشرطة: "بيلدونج" ومحفل "تسوكونفت" يتخفى تحت اسم "ليترارشه جزليجكايتس كلوب" ومحفل "آينتراخت" يستتر تحت "اتحاد التوحد اللاسياسي على الدانوب". ومكان اجتماع معظم تلك المحافل هو "فيينا"، الحي الأول، شارع "دوروتيار جاسه" رقم ١٢. وتوجد محافل ومنتديات صغيرة خارج "فيينا" في كل من: "أتش"، "برون"، "فرانستزباد"، "هايدا"، "كارلسباد"، "مارين باد"، "بلس"، "براج"، "رايشنبرج"، "ساتز"، "تبليتز-شوناو"، "وتتش على نهر الألب". أما المحافل الموجودة في كل من "أباتسيا" "ولينتز على الدانوب" و"سالزبورج" فهي إما إندثرت أثناء الحرب أو تم "اخفاؤها" من باب الاحتياط. وتلك المحافل جاء ذكرها لآخر مرة في تقويم "سي. فان دالن" للماسونيين عام ١٩١٥، لكنها ستنهض سريعًا لحياة جديدة، لاسيما أنها لم تعد بحاجة بعد لإخفاء طموحها السياسي "تحت البساط الغامض للمحفل" ويقدر العدد الإجمالي للأعضاء بنحو ١١٠٠ عضو، غير أنه يفهم من هذا الرقم أن ذلك هو عدد الأعضاء العاملين فعلاً حاليًا. وأقوى المحافل هو "هومانيتاس" ويشتمل على ٢٣٧ أخًا ويتكفل بالصرف على ملجأين للأطفال في "كالبنرجردورف" و"ساورزدورف" وتبعًا للتقرير الحسابي لعام ١٩٠٩ يتم هناك تنشئة ٧٧ طفلاً على مبادئ "الفن الملكي" وتبلغ التكاليف الإجمالية لإعالة المؤسستين عام ١٩٠٩ نحو سبعة عشر ألف "كرونة" التي يأتي معظمها من إخوان محافل يهود وأقاربهم. وللأسف لا يظهر من التقرير ما إذا كان الأطفال هم أبناء شرعيون لأباء مسيحيين أو أطفال غير شرعيين لأباء ماسونيين غير شرعيين.

وتبلغ أصول الملجأين يوم ٣١ ديسمبر ١٩٠٩ تبعًا لتحقيق مراجعي الحسابات "سي. ن. شيجر" و"ت.دويتشلاند" و"سي. أوسترايخر" أكثر من

٢٦١٠٠٠ "كرونة" وتم من خلال المحافل الفييناوية أو من خلال أعضاء منفـــردين فيها تأسيس "الاتحاد الفيلانتروبي" و"مأوى العائلات المشردة" و"اتحاد أطعام أطفال المدارس الجوعي وآخرين"(*).

أما "الاتحاد ضد الفقر والتسول" – فهو من صنيعة محفل "شـــيلر" وكـــذلك "مأوى اللقطاء" وحين يدرك المرء أن محفل "جوته" يقوم بدعم طفلين وناشئين فقط وأن محفل "ليسنج" يكفل رجلاً واحدًا وامرأتين (١٩٠٢)، حينئذ يجـــدر بـــالمرء أن يتروى في حكمه بالذات حين نرى أن الاتحادات الخيرية "الدينوية" تظهر لنا أرقامًا مختلفة تمامًا.

غير أنه – وكما يرى الأخ .·. "ناتان جروندمان" بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٠٥ في محفل "هومانيتاس" – من غير المسموح بتاتًا أن ينزلق المحفل لمستوى رابطة خيرية، فهو يقول: "يلزم إبهاج الروح في المحفل بواسطة خطب جميلة، كذلك يلزم دعم أعمال الخير، غير أننا لا نحتاج الماسونية لهـــذا الغـــرض" إذن لأي شـــيء نحتاجها؟ "نحتاجها من أجل محفل يعلم لكي نتحمس للتاريخ" وغالبًا ما يفكـــر الأخ .·. "ناتان جروندمان" هنا في تاريخ الثورة الفرنسية وتاريخ الثورات علـــى وجـــه العموم في جميع أنحاء العالم والتي كانت في مجملها من أفعال الماسونية كما سيتم إيضاحه فيما بعد. وبالمناسبة فإن "المدرسة الحرة" هي من تأسيس الماسونيين. ولقد أسس محفل "بيونر" – والذي كان معلمه القائد هو النائب البرلماني لاحقًـــا: "أ.ب. تسينكر" – أسس "اتحاد المحافظة على مدرسة حرة" ثم اتحـــاد "المدرســـة الحـــرة نفسه"(**) والأخ .·. "تسينكر" والذي يمارس في كلا الاتحادين، كانت بدايتـــه مـــن محفل "هومانيتاس". كذلك النائب البرلماني "فراي هرفون هوك" والذي يرتبط اسمه

(*) تعطي "باوهوته" إحصاء بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٠٩، العدد ٩٨.

(**) انظر "الفرجار" فيينا ١٩٠٣، ٢٠ سبتمبر، صحيفة ماسونية أسبوعية.

باستمرار مع "المدرسة الحرة" هو أيضًا ماسوني. ونفس الشيء بالنسبة للدكتور "ف. ليشت" والبروفسور "ريدليس" وآخرين كثيرين.

وإذا كانت الأمور لا تبدو براقة بما فيها الكفاية بالنسبة لأعمال الخير، فإن الأمر لا يبدو أفضل بالنسبة للسياسة. ولقد استمر الحظر على الماسونية قائمًا في النمسا بسبب الاشتباه في ممارستهم للسياسة، حيث تم السماح لهم فقط في شكل اتحادات إنسانية على الرغم من أنه من المعروف أنهم يمارسون فعلاً "أعمال المحفل"(*) وذلك في المجر، (في "تويدروف" أولاً ثم الآن في "بريسبورج") وهناك اعتراف حرفي في تاريخ (محفل) "هومانيتاس" بأن كلاً من المحافل والاتحادات (الإنسانية) متطابقان وأنهم يتكونون من نفس المنظمات الماسونية ونفس الأعضاء ونفس الإدارة. وكانت الليبرالية هي قالب التعبير السياسي للماسونية في ذلك الوقت، وبعد تمزقها سعت الماسونية شيئًا فشيئًا لاكتساب نفوذ على الديمقراطية الاشتراكية ولم يكن من الصعب التجاوز عن التناقضات بينهما، وساعدهما على ذلك الشعار الانتخابي المشترك: "الحرية، المساواة، الإخاء". وهذا الشعار كان في الأصل خاصًا بالماسونيين ثم أصبح نداء المعركة للثورة الفرنسية وانتقل أخيرًا إلى كل الأحزاب الجمهورية أي إلى الديمقراطيين الاشتراكيين أيضًا.

وكان الوفاق مع الديمقراطيين الاشتراكيين مأمولاً ومرغوبًا ومطلوبًا من ماسونيين يهود بالاسم، فالأخ.:. "رايموند ماوتنر" يسمى الاشتراكية بالماسونية المجسمة "لذا يجب أن ننضم لها" ("تسيركل"، العدد ٤، السنة ٣٧، صفحة ٦١) فالكفاح مشترك بينهما ضد الإكليركية وضد كل النبتات القومية. ويلزم هنا أولاً أن نلحظ أنه يتم استعمال اصطلاح الإكليركية: في لغة الماسونيين بمعنى متطابق دائمًا مع المسيحية، وثانيًا أن النبتات القومية يتم اكتشافها ومحاربتها في الألمان فقط،

(*) نفهم من "أعمال المحفل" الأفعال الطقسية التي لا تؤدي إلا في "محفل حقيقي وعادل" مثل انضمام الباحثين عن النور والترقيات والقبول والفصل... وهكذا.

وذلك لم يكن الحال أبدًا عند السلافيين، فأي عقيدة ألمانية هي في حد ذاتها "نبتة "للقومية" بينما العقيدة التشيكية هي بالنسبة للتشيك شيء بديهي في كل الأزمان.

ويصل الأخ ∴ "ألكسندر هولاندر" (محفل "تسوكونفت") إلى نتيجة أن الهدف النهائي للماسونيين هو في مجمله نفس الهدف للاشتراكيين الديمقراطيين (خطبة احتفالية في "التجمع الكبير للمحفل الرمزي الكبير للمجر"، بوادبست في ١٦ أبريل ١٩٠٥، مأخوذة عن "تسيركل" السنة ٣٥، صفحة ٤٤٧).

ونفس الرؤية عند الأخ∴ "إيمريش سيكيلي": برنامج الاشتراكيين الديمقراطيين هو نفسه في الأساس برنامجهم، وهو يطالب بأن يعمل المرء بجد لإنشاء الدولة الاشتراكية المقبلة. لكنه يلزم أن تشارك الماسونية بهمة في المنظمة الاشتراكية(*).

ويطالب الأخ "تسيكيلي" بشكل مباشر بأنه على الماسونية أن تنحاز كلية للديموقراطية الراديكالية وأن تنضم للفئة العمالية، وأن ذلك هو طريقها الوحيد، حيث إن الليبرالية البورجوازية قد تفسخت تمامًا في كل أوروبا مثل بلجيكا والنمسا والمجر. وهكذا نرى: في البداية مع الليبرالية ثم بعد ذلك، وحين تتعثر الأمور، مع ألد أعدائها وهي الاشتراكية! وهذا نموذج في الماسونية للإخلاص للعقيدة وثبات الأخلاق!.

على أنه حين يقول الأخ ∴ "تسيكيلي" إنه على الماسونية أن تنضم للعمالية الأقوى عدديًا ككتيبة معاونة، فإنه يعني عكس ذلك تمامًا، بمعنى أنه على الماسونيين أن يتقدموا كزعماء على قمة العمالية وأن يكون هؤلاء العمال هم الكتيبة التي تحميها(**).

(*) حدث هذا فعلاً فيما قبل، فكثير من قادة الاشتراكيين الديمقراطيين ينتمون لمحافل ماسونية، مثل الأخ∴"برنرشتورفر" والأخ∴ "شوماير" والأخ∴ دكتور "فيكتور أدلر" والأخ∴ "إلينبوجن" والأخ∴ "كارل سارتز" وكثيرين أخرين.

(**) تجمع "المحفل الرمزي الكبير للمجر"، ٨ أبريل ١٩٠٦.

أما الأخ.·. الدكتور "ألكسندر هولاندر" فيعبر عن ذلك بشكل أكثر تحديدًا وشمولية، فهو يشبه الماسونيين بشخص جوال يفرد ذراعية باشتياق نحو جزيرة السعداء، "حينئذ يقترب منه قارب يقوده رجل لفحت الشمس بشرته، متورم اليدين، معروق الجسد ومكدودة من الجهد والفاقة، ويأخذ هذا الشاخص باشتياق من على الشاطيء على قاربه ويصل به بسلام إلى جزيرة السعداء. والماسونية هي ذلك الجوال، أما المراكبي فهي الاشتراكية الديمقراطية "ياللعظمة!·حقيقة تشبيه ثاقب عميق المعنى: فعلى جزيرة السعداء يبقي الجوال وحده، الذي هو الماسوني، أما المراكبي الاشتراكي الديمقراطي فقد أدى واجبه وتم تجهيزه سريعًا ويمكنه الإياب ثانية.

وتعبر المجلة الماسونية الفييناوية "تسيركل" عن هذه الأفكار الأساسية بشكل مباشر جدًا، فنقرأ في العدد رقم ٢٩ لسنة ١٩٠٦ كلمات بليغة: "تتطلب روح الزمن منا (الماسونيين) أن نأخذ في أيدينا قيادة الاشتراكية وفي هذا الشأن وجدت بعض المحافل الطريق الصحيح والوسائل الصحيحة"وهذا مثلا الأخ.·. "شوماير" والذي كان عضوًا نشطًا في المحفل الفييناوي "سقراط" حتى أنه قام في مرة بأداء العمل الطقوسي للمحفل(*) أمام آلاف العمال، ثم ألقى في الختام الموعظة المتسلسلة.

ولقد تحولت نصيحة الأخ.·. تسكيلي بأنه يتحتم على المرء على وجه السرعة أن يلجأ إلى الديمقراطية الراديكالية، تحولت تلك النصيحة إلى فعل كما حدث من الماسونية النمساوية، فقد أسس المحفل الفييناوي "بيونر"، أو بمعنى أصح معلمه القائد ذو الكرسي الأخ.·. "س.ب. تسينكر"، أسس الحزب الراديكالي (الديمقراطي) واستطاع أن يحصل على عضوية البرلمان بمساعدة ألمان قوميين لا يعلمون شيئًا (١٩١١).

(*) الاصطلاح الماسوني للاجتماع.

والآن، كيف تقبلت الاشتراكية الديمقراطية النمساوية هذه القيادة الماسـونية؟ والإجابة بسيطة: لقد سلمت القيادة بمحض إرادتها للإخوان.·. "أدلـر" و"الينبـوجن" وهكذا، فهي لا تدري شيئًا ولا تعلم شيئًا عن العلاقات السرية بين الأخ .·. "أدلـر" والأخ.·. "بارون روتشيلد". وغالبًا ما لن تري شيئًا مهمًا في ذلـك حـين تعلـم أن ممثلي رأس المال الكبير يتعانقون أخويًا بين الحين والآخر مع البروليتاريا بطريقة فنية حرفية.

وليس في كل مكان يسمح العمال لأنفسهم بأن يتم سـحبهم هكـذا بواسـطة المحفل ففي شمال إيطاليا على سبيل المثال أعلن العمال هنـاك حرفيًـا أنـه مـن الواجب المحتم على الاشتراكيين أن يظلوا بعيدًا كلية عن هذه المنظمات الـسرية، حيث قرروا في تجمع كبير في "ميلانو" يوم ٢٤ فبراير عام ١٩٠٧ أنه من خـلال الانتماء للتنظيم الماسوني ينشأ تناقض دائم بين الطاعـة العميـاء التـي يطلبهـا الماسونيون وبين الالتزامات التي يخضع لها الرفيق العضو في منظمـة عماليـة. وعلى أي حال فإن المقولة الحادة التـي تقـول: " بـصرف النظـر عـن أننـا البروليتاريون لا نأمل شيئًا من الماسونيين، غير أننا نتخوف من كل شيء...." هي بمثابة استثناء، حيث إن القاعدة في إيطاليا أيضًا أن كلاً مـن القـادة الماسـونيين والاشتراكيين الديمقراطيين يحتفظون فيما بينهم بعلاقات حميمة.

وينتج عن كل تلك الاستشهادات أن أعمال الخير هي مجرد غطاء للماسونية والتي يمكن اعتبارها في واقع الأمر رابطة سياسية سرية، ليس عندنا فقط ولكـن في كل أرجاء العالم، وبالذات في إيطاليا، حيث إنها قامت منذ ١٨٢١ بتدبير كـل الأعمال الثورية وإدارتها وذلك تبعًا لاعترافات ذاتية. ولقد تم تحريك كل الحـزب الجمهوري بواسطة معلمية الأكبرين "ماتسيني" و"جاريبالدي"(*). وإرغام الحكومـة

(*) انظر محاضرة الأخ .·. "شيوسون" مطبوعة في "ريفيو ماسونيك"ـ يونيو ١٩٠٧، صفحة ٨٩-٩٥.

الإيطالية عام ١٨٧٠ على احتلال "روما"(*). كذلك قام الأخ ∴ "أوليسه باكشي"، ∴ ٣٣ بتطوير برنامج سياسي عالي المستوى وذلك أمام تجمع احتفائي لمحفل "ريسنتس" (أورينت روما) والذي اشتمل على مبالغات عديدة إلى جوار بعض الأفكار الجيدة. والماسونيون هم أيضًا الذين قاموا بدعم انتخاب معلمهم الأكبر "إرنستو ناتان" كعمدة "لروما" كما كان عدد كبير من رؤساء الوزارات الإيطاليين ماسونيين، مثل الأخ∴ "ديريتس" والأخ∴ "كريسبي" والأخ∴ "تسانرديللي" غير أنهم جميعًا قد هوجموا بشدة من المحافل المسماه "غير سياسية" لأنهم تمسكوا بالرابطة الثلاثية. وبذلك لا يمكن أن يتطرق شك في النشاط السياسي للماسونية الإيطالية، فهي لا تحارب البابا فقط، ولكنها تحارب العقيدة المسيحية على وجه العموم والشكل الملكي للحكومة على وجه الخصوص. ويتهم الماسوني المحافظ جدًا الأخ∴ "لودفيج موسيلمان" الماسونية الإيطالية بالوصولية وينوه من خلال وثائق رسمية للشرق الكبير لروما عن دورها الهائل في مشاركة إيطاليا في الحرب. مما سيتم تناوله عن قرب فيما بعد.

ويعلن ماسوني آخر وبشكل مباشر وهو الأخ ∴ "ف.، ميليتس" من "تورينو" أن الشرق الكبير "لروما" لا يعمل إلا لأغراض سياسية وأن أعضاء كثيرين في "سوبريم كونسيل" (المجلس الأعلى) هم مجرمون مكانهم في المحاكم.

وماذا عن فرنسا؟ إنها نفس الصورة تمامًا، ويقول الأخ∴ "فراي هر ف. رايتسن شتاين" بالنص: " كل رجال الحياة السياسية في فرنسا تقريبًا كانوا، أوهم أعضاء في الرابطة الماسونية"(**) والمحاقل هناك أيضًا هي مدارس للسياسة. وليس الأعضاء فقط ولكن المحاقل نفسها تمارس السياسة ويعترف الأخ "حيرم" (ليموزين) في "أكاسيا" وبشكل مباشر بأن الماسونية انتقلت بنفسها منذ ١٨٧١

(*) انظر: هرمان جروبر: "النواة المسممة إلخ" ١٨٩٩، صفحة ٣٠٣.

(**) "ألبين فرايهر ف.، رايتس شتاين": "الماسونية في فرنسا"، برلين١٩٠٦، صفحة ٧٢.

كمنظمة إلى السياسة "لقد تعارض ذلك مع دستورها وقواعدها ومصالحها غير أن مصالح فرنسا والجمهورية تطلبت ذلك سياديًا"(*) وهذا بالتأكيد ليس شططًا من جانب هذه النشرة الماسونية حيث إنه قد تأكد سابقًا حقيقة أن "الماسونية في فرنسا هي حاليًا مجموعة سياسية ذات نفوذ"(**). ويلزم هنا أن نستخرج من طي النسيان مقطوعة سياسية، من حيث إنه من الملائم أن نذكر بمثل تلك التجاوزات للماسونيين: في نوفمبر ١٨٧٠ طالب محفل "هنري الرابع" وتسعة محافل باريسية أخرى بتشكيل محكمة "محايدة" لكي يمثل أمامها كل من ملك "بروسيا" "فيلهلم" وابنه لأنهم أدانوا أنفسهم بارتكاب "الجرم الأكبر" وتعديهم علاوة على ذلك على قوانين الماسونية: "بناء عليه فإن "فيلهلم فون هوهن تسولرن" وابنه متهمان بحنث اليمين والخيانة، إن الماسونية في أنحاء العالم تستدعيهم للمثول أمام محكمتها في خلال زمن قدره ثلاثة أشهر".

"إذا لم يمتثل كل من "فيلهلم فون هوهن تسولرن" وابنه لهذا الاستدعاء فسيتم إدانتهم كحانثي يمين وخائنين وخارجين على القانون الماسوني. وسيتم معاقبتهما بالعقوبات المنصوص عليها في قانوننا وسيتم لعنهما دائمًا وترك ذكراهما لاحتقار الأجيال المقبلة" إذن اليوم أيضًا مطلوب مثول اثنين من آل "هوهن تسولرن" أمام محكمة "محايدة" وقد توصل المحفل الفرنسي "لافان جارد" إلى صياغة قرار يطالب بتشكيل محكمة للحكم على المتسبب والباديء في الجرائم التي نشأت من جراء الاحتياج النمساوي – الألماني لبلجيكا وفرنسا. ومن ضمن ما جاء في هذه الصياغة المهمة: "حيث إن معظم تلك الجرائم قد تم إثباتها فعلاً من خلال التحقيقات الرسمية، لذا يلزم للمحكمة أن تصدر حكمها على الإمبراطور الألماني "فيلهلم الثاني" وإمبراطور النمسا "فرانتس يوسف" وكذا ولي عهد "بروسيا" "فيلهلم"

(*) "أكاسيا"، يونيو ١٩٠٨، العدد ٦٦، صفحة ٤٠٦.

(**) "أكاسيا" ١٩٠٨، العدد ٦٢، صفحة ٨١.

وأولياء العهد لكل من "فيرتمبورج" و"بافاريا" و"سكسونيا" وكذا ملوك "بافاريا" و"فير تمبورج" و"سكسونيا" والجنرالات القادة والقوات التي أدانت نفسها بهذا الجرم" أليس ذلك جنونا؟ ولكنه جنون منظم! على كل الأحوال فذلك مجرد إعلان من محفل واحد. غير أن المجلس الأعلى للشرق الكبير لفرنسا قد اتخذ موقفا حيال "السطو" الألماني ودمغ في تصريحه كل الماسونيين الألمان كحانثي يمين وعصاه خالفوا المبادئ المقدسة للماسونية العامة، وفي نفس السياق تمت إدانة كل الألمان سواء ماسونيين أوغير ماسونيين بالجملة. وترجع هذه الوثيقة الثقافية الغريبة للمجلس الأعلى للشرق الفرنسي الكبير إلى الفترة الأولى للحرب العالمية أي منذ الرابع عشر من ديسمبر عام ١٩١٤، وهي مطبوعة بالكامل في كتاب الأخ.·. "موسيلمان"(*) عن التحريض المنتظم للحرب بواسطة الماسونيين الإيطاليين.

هل يلزم مزيد من الأدلة على نشاطهم السياسي؟ هل نتذكر أزمة الورقة (L'Affaire des Fiches) لوزير الحرب الفرنسي الأخ.·. "أندري" الذي استغل علاقاته بالمحافل لكي يجمع معلومات بشكل شامل عن العقيدة السياسية والدينية للضباط؟ هل ننوه عن أن الفصل بين الكنيسة والدولة في فرنسا في مضمونة هو من صيغة الماسونيين؟ هل نبرهن بشكل مفصل عن أي البؤرة الأساسية لكراهية الألمان والتحريض ضد الألمان تكمن في المحافل الفرنسية؟ أن "الفكر الثأري": تمت تغذيته صناعيًا وتنشئته هناك، ويكفي هنا ما يعترف به الماسونيون الفرنسيون ويؤكده الإخوان الألمان " ويسمى الأخ.·. "بولي" ٣٣.·. عن حق الشرق الفرنسي الكبير (Grand Orient) "سلطة تاريخية تمارس نفوذها على كل العالم منذ نحو قرنين، والتي يختلف الحكم على دورها ونشاطها، لكن لا أحد يمكنه أن يظل لا

(*) دكتور"لودفيج موسيلمان": "الماسونية الايطالية وتأثيرها في مشاركة إيطاليا في الحرب" برلين ١٩١٥، مطبعة "أ.أونجر".

مباليًا(*). وكان "بولي" نائبًا لرئيس مجلس التنظيم للشرق الكبير لباريس. أما الخطبة فقد تم إلقاؤها يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٠٧ في محفل "كولونيا" فرايموت أوند فارهايت" وتسببت هناك في مظاهرات تأييد عاصفة للإخوان الفرنسيين. ومن الملفت أن محفل "فرايموت أوند فارهايت" يتبع المحفل البروسي القديم "المحفل الإقليمي الكبير لماسوني ألمانيا" والذي يصنف على أنه ملكي وموال للدولة! ويؤكد الأخ.·. "أور" نفسه أن الشرق الكبير لفرنسا يتمسك بتحقيق الديمقراطية الثورية وأن المحفل قد هبط لكي يصبح مدرسة لتعليم السياسة، ولذا أصبح الشرق الكبير بهذه السطوة.

والآن علينا أن نبرهن على أن الماسونيين ناشطون سياسيًا في كل مكان أيضًا. أنهم كذلك، وإن كان أسلوب العمل السياسي ليس واحدًا دائمًا. إنهم كذلك في بلجيكا مثلاً، فالشرق الكبير البلجيكي كان هو الأول الذي قام عام ١٨٤٠. بتوسيع رقعة أعمال المحفل لتشمل دراسة المسائل السياسية ولقد تم تأييد هذا الموقف حرفيًا عام ١٨٥٤ تحت رئاسة المعلم الأكبر في حينه الأخ.·. "فيرهجن" واستمرت المداومة عليه بلا تغيير حتى وقتنا الحالي. وهدف الماسونيين البلجيك هو صراحة تأسيس الجمهورية البلجيكية. كذلك فإن الماسونية الإنجليزية هي أيضًا ناشطة سياسيًا، وإن كان ذلك بمفهوم مختلف تمامًا، فهي تمارس سياسة عالمية واسعة المدى، ومع ذلك فهي لا تترفع عن الجرائم الوضيعة والرشاوي والاغتيالات وسوف يتم شرح التفصيلات فيما بعد.

كذلك فإن الماسونيين الأمريكيين مرتبطون بالسياسة بشكل حميم جدًا، ويكفي التنويه عن أنه يوجد ضمن أعضاء مجلس النواب ٢١٣ ماسونيًا أي نحو الثلثين بينما يشتمل مجلس الشيوخ على ٤٨ ماسونيًا، وهذا العدد هو أكبر من النصف. وفي "واشنطون" نفسها يمارس الإخوان في نظام الدرجات العليا الإسكتلندي نفوذًا

(*) خطبة الأخ.·. "بولي" في "كولونيا"، أكتوبر ١٩٠٧، انظر أيضا الأخ.·. "فيلهلم أور" "الروح الفرنسية والماسونية" صفحة ٤٤.

كبيرًا، وقد ترأس زعمـيهم الـسابق الأخ:. "ريتـشاردسون" لجنـة الانتخابـات الديمقراطية، وقد تم التنويه كثيرًا في مطبوعات المحافل الإنجليزية عن أنه يتم دعم العلاقات الجيدة بين إنجلترا وأمريكا من خلال علاقـة الـصداقة الأخويـة بـين الماسونيين الإنجليز والأمريكيين(*). والنتيجة أمامنا وهي أن دخول أمريكا الحرب العالمية هو في مجمله من فعل الماسونيين، لا سيما أن هنالـك مليـونى ماسـوني ضمن ٢١٧٢٠٠٠ عضو في الماسونية العالمية لا يقفون بالتأكيـد فـي الجانـب الألماني، كما أنه تم احتساب ٦٢٠٠٠ ألماني بدون خصم وعلاوة على ذلك فقد تم احتساب ١١٠٠٠٠ أخ في الخارج على أنهم ألمان أو على الأقل أصدقاء للألمـان، وهو ما يعد بالتأكيد رقمًا مبالغًا فيه لأن كثيرًا من هؤلاء الإخوان تم سحب الجنسية منهم وكثير منهم يدعون أنهم ألمان دون أن يكونوا كذلك، فعلى سبيل المثال نجـد من ضمن المعلمين ذوي الكرسي والسكرتيرن في المحافل الألمانية فـي أمريكـا الشمالية اسماء مثل: "برنارد هرتزبـاخ" "ويليـام سـونتاج" "جـون" (!) مـولتر" "تشازماتيـسون" "أدولـف أرمبروسـت" "شـارل شـميل" "و.ر.توتلمونـد" ي. ميلندر" "أدام ليشت" "فالدمار كاسيا" "جـون سـالاندي"، "تـشاز.ي. كوينـسل" "فريتس بروت" "هنري ج. شـرايبر" "تـشاز ج. تـوكين"، "جـون برايدنـشتاين" "ل.أرمبروستر" "يوجين زون" "من المحفل الألماني "الملك سليمان في نيويورك!)، "جون ف.ماير" (من المحفل الألماني "يونايتد براذرس"!)، "م.جولد شميث" "جون د. بلومة" ("جوته"، نيويورك)، "هاري ماير" "هنري ميلر"، "شارل جلبرت".....إلـخ. وقد تم عن قصد ذكر اسماء كثيرة لكي يتمكن القاريء المحايد من أخـذ الـصورة عن مصداقية الهوية الألمانية للماسونيين "الألمان" في الخارج، وليكن واحد أو آخر من هؤلاء المذكورين هو ألماني أصيل ولكن الأكيد أن معظم هذه الأسـماء مـن الممكن جدًا أن توجد في محافل إنجليزية أو فرنسية وهو الحاصل فعلاً.

(*) "ذي فري ميسونز كرونيكل"، ١٩٠١، ٢، ١٣٥، منقولة من كتاب جروبر "الماسونية والحرب العالمية والسلام العالمي" فيينا ١٩١٧.

كان الحديث حتى الآن عن الممارسة السياسة للماسونيين، أما فيما يخص العقيدة السياسية، وبالذات للماسونيين الألمان، فإنه عادة ما يتم التأكيد على أن أعضاء المحافل الثلاثة البروسية القديمة الكبيرة هم ملكيون وموالون للدولة، أما الإخوان المنتمون لكل من المحفل الكبير في "هامبورج" و"فرانكفورت" فإنهم يميلون نحو التوجه الدولي، وعما إذا كان ذلك صحيحًا تمامًا فليس ذلك مجال بحث. واما بخصوص الماسونيين من الدرجات العليا، فسوف يتضح لنا ذلك حالاً، وهنا يمكن أن يكون هنالك مفاجآت للأخوة غير المكرسين من الدرجات السفلى. وقد يتوق المرء بشكل خاص لمعرفة موقف "المحفل الإقليمي الكبير للماسونيين في ألمانيا" والذي سبق الحديث عن قسمه المميز وموقفه المتصلب.

ومما يبعث على التفكير أنه تم تجديد العلاقات مع كل من "جراند أورينت" في باريس و"جراند لوج دوفرانس" وأنه تم تبادل العلاقات فعلاً قبل سنوات مع "المحفل الرمزي الكبير للمجر" أما "سوبريم كونسيل" في "صربيا" فلم يتم وصل العلاقات معه إلا قبل بدء الحرب ببضعة أسابيع. غير أنه إذا كانت العلاقات قد تم قطعها أثناء الحرب مع بعض المحافل الكبيرة تحت ضغط الظروف فإنه لا يصح أن يغفل المرء عن أن ذلك كان مع محافل إيطاليا وفرنسا فقط، بينما العلاقات مع محافل كبرى أخرى هي "نائمة" فحسب في الوقت الحالي؛ وذلك أيضًا مما يدفعنا للتفكير. وحين يؤكد الأخ:. "جارتس" المعلم الأكبر "للمحفل الإقليمي الكبير للماسونيين في ألمانيا" في احتفالية الشرق الكبير البلجيكي (١٩٠٧ "بروكسل") أنه "على الرغم من تباين الأشكال فإن الماسونية هي نفسها في ألمانيا كما في بلجيكا"[*] فذلك مما يبعث حقًا على التفكير لأن الماسونية البلجيكية تقف على نفس الدرجة من الإدراك والممارسة مع الماسونية الفرنسية ولكن ليستوى هذا الأمر، ولندع الماسونية الألمانية خارج اللعبة ولننتظر توارد الأحداث!.

(*) نشرة "جراند أورينت دوبلجيك"، ٥٩٠٧، الكراسة الأولى صفحة ٦٣، بروكسل.

أما فيما يتعلق بالماسونيين في البلاد الأخرى بما فيها النمسا والمجر، فإن المرء يمكنه القول بضمير مستريح إن نشاطهم الرئيسي يكمن في المجال السياسي، وأن هدفهم الرئيسي كان ويظل هو الانهيار التام لنظام الدولة والمجتمع في البلاد الملكية، حيث يلزم تعليم وتربية السياسيين ورجال الدولة وحتى الأحزاب بأكملها بشكل تدريجي على التفكير الجمهوري(*).

ومن هذا المنظور تكون الحرب العالمية قد قدمت نفسها على أنها اختبار القوة للماسونية العالمية التي تم التحضير لها من المحفل منذ زمن وأن رئاسة أركانها السياسية تتخذ من "لندن" مركزًا" وأن إدارتها الروحية في "باريس"(**).

(*) هذه الفقرة تمت كتابتها نهاية أغسطس ١٩١٨!.

(**) نذكر هنا مجرد بعض من الماسونيين الفرنسيين الذين لعبوا دوراً سياسياً قبل الحرب مباشرة وأثناءها رئيس الجمهورية الأخ.·. "بوانكارية"، الأخ.·. "موريس باريه" وهو كاتب المقال الرئيسي في "أكو دي باريس" والذي توعد ألمانيا نهاية أبريل ١٩١٨ بحرب اقتصادية بشعة، النائب الاشتراكي الديمقراطي السابق ورئيس الوزراء لاحقا الأخ.·. "أرستيد بريان" الاشتراكي الديمقراطي والوزير الأخ.·. "ساشان" رئيس مجلس التنظيم الأخ .·. "ديبر" والأخ "ديزمون"، وزير الحربية الأخ.·. "دوميه" رئيس الوزراء السابق الأخ .·. "دوبي" الوكيل المالي الأخ.·. مالية، وزير الحرب الاشتراكي الديمقراطي الأخ.·. ميلران، رئيس الوزراء السابق الأخ .·. "بانليفية" وزير الخارجية والإعلام الأخ.·. "ستيفان بيشو" الاشتراكي الديمقراطي الأخ .·. "كويد" الاشتراكي الديمقراطي والخطيب المحرض على ألمانيا الأخ .·. "رينوديل" رئيس بعثة الجيش في الغرفة الأخ .·. "رينيه رينو" الوزير الاشتراكي الديمقراطي الأخ .·. "مارسيل سيمبات" الاشتراكي ووزير الذخيرة الأخ.·. "ألبرت توماس"، رئيس الوزراء الأسبق الأخ .·. "بيفياني"، رئيس الوزراء الحالي الأخ.·. "كليمنصوه" السفير الفرنسي في "روما" الأخ.·. "باير" الفوضوي السابق والمتعصب الحالي الأخ .·. "جوستان هرفيه"، كما كان أيضًا من ضمن الماسونيين كل من الأخ.·. "بولوباشا" الذي تم اعدامه بسبب الخيانة العظمى ورئيس الوزراء الأسبق الأخ.·. "تايلوه" والصحفي الأخ .·. "تلميريدا" (مات بطريقة غامضة).

الجزء الثالث

الماسونية الثورية عمومًا وفي فرنسا
على وجه الخصوص

ما هي الحكمة من توجيه طعنات خنجر لتاج ملكي في درجة "الفارس كادوش"؟

ودرجة "الفارس كادوش" هي الدرجة ٣٠ للمنهج الأسكتلندي وهي أهم درجة في كل النظام. وعلى من يتم منحه هذه الدرجة أن يقوم بتنفيذ طعنات خنجر حقيقية ضد تاج بابوي وتاج ملكي أثناء الاحتفال بالقبول، وبذلك يتم التذكير رمزيًا بإعدام المعلم الأكبر المعبدي "جاكوب رولاي" الذي تم حرقه على نار هادئة يوم الحادي عشر من مارس عام ١٣١٤ كضحية بريئة للبطش البابوي والملكي حسبما قيل. وهذه الاحتفالية يقر بها الماسونيون وهي معروفة عامة في الدوائر المطلعة كذلك. وما تزال روح الانتقام التي تنطق من هذه الاحتفالية نابضة بالحياة حتى الآن مثلما كانت فيما قبل. ويقوم الأخ المبجل "ألبرت بايك" الرئيس الأعلى للماسونيين الأمريكيين ذوي الدرجات العليا، يقوم بتبليغ التعليمات التالية في منشور دوري لكل الماسونيين، وهو منشور ينبض بنفس روح الثأر من كل "الطغاة".

"بالكلمة والكتابة وبتفعيل كل نفوذنا العلني والسري وبأموالنا وعند الضرورة بسيوفنا أيضًا، بكل ذلك نريد أن نعمل على دفع التقدم الإنساني، كذلك على تحرير الروح الإنسانية. وحيثما يوجد شعب ينهض للحصول على حريته أو على استعادتها، وحينما تقوم الروح الإنسانية بالكفاح لاستقلالها وأن يقوم الشعب بالمطالبة باسترجاع حقوقه التي لا يتنازل عنها، هنالك وإلى هذه الوجهة يجب أن تتحول أحر عواطفنا"(*).

(*) The book of the Holy House.Part IV, The inner Sanktuary
واشنطن – شارلستون (جنوب كاليفورنيا) – ١٨٦٧ .'. M .'. A، صفحة ٥٤٧، منقول عن "هرمان جروب".

وهنا يتم الاعتراف حرفيًا "بالحق في الترويع" وترغب الماسونية العالمية في مساعدة كل تلك الشعوب التي تسعى لتحريرها وفي دعم الثورات التي تتوجه ضد "الطغاة المكروهين"(*).

إذن الأخ ∴ "أ.بايك" يزدري الطغاة، أي الملوك ويرى في توجهه الفكري أن الماسونية هي المسيطرة "يمكن للماسوني المتدثر بمبادئ عليها أن ينفذ بجسارة ضربةً ضد الطغيان وأن يتحد مع آخرين (في مؤامرة) لكي يتمكن من إيجاد مخرج من الظروف البائسة غير المحتملة، وذلك بواسطة وسائل قد تبدو مستهجنة(**). والوسائل المستهجنة تلك التي يمكن للماسونيين أن يستخدموها في أحيان معينة هي الرشوة والاغتيالات والمؤامرات... إلخ. لذلك يقول "هرمان جروبر" عن حق: "تبدو الماسونية نفسها كجمعية متآمرين متشعبة فوق العالم كله"(***) وهو بهذا لا يقول شيئًا جديدًا. وتقر بذلك علانية النشرة الماسونية المجرية "كيليت": " نحن متآمرون، نحن نتآمر على النظام الحالي للمجتمع ونعمل على تدميره، و"نظام المجتمع" هو اصطلاح متعدد المعاني أو المعنى في الدرجة الأولى هو الشكل الملكي للدولة.

ويعترف كاتب المحافل المعروف والناشر السابق لجريدة "باوهوتـه" "ي.ج.فيندل" بذلك بشكل غير مباشر: "تتغلغل روح هذه الثورة (الفرنسية) من حولنا في جموع الشعب في قوته المتجددة. ولقد انهارت سلطات غاشمة (يعني ملكيات) كثيرة بفضل الاحتكاك بها، وآخرون ينحنون في المعارك المميتة

(*) حين تم ذكر كلمة "الطغاة" في الكتابات الماسونية فإنها دائماً ما تعني بالنص "الملوك" و"فيلهلم الثاني" هو في أعينهم "طاغية" كذلك مثل الإمبراطور الكريم جداً "فرانتس يوسف الأول"، كذلك ملك أسبانيا وملك اليونان. والاستثناء الوحيد هم الملوك الماسونيون أو الذيم يتركون أنفسهم بإرادتهم تحت سيطرة الماسونيين مثل "بيتر" ملك الصرب.

(**) "The freemasons chronicle" ، لندن ١٨٨٩، ١، ١٧٨، منقولة عن "هـ.جروبر".

(***) "هرمان جروبر" ماتسيف، الماسونية إلخ، صفحة ٦٢.

للتغيير"(*) ويسمى الأخ.·. "سيكار دو بلوزول" من "الجراند أورينت" الماسونية "بأم الثورة"(**).

وهو ما يعد صحيحًا من حيث أن افكار الثورة انطلقت على نطاق واسع من الماسونية وكانت دائمًا ما تتغذى عليها وتتوسع بها. ويرى الأخ.·. "بيرا" من الدرجة ٣٣ العليا عضو مجلس التنظيم الفرنسي أن الشرق الكبير لفرنسا هو المحافظ على الفكر الثوري(***).

كما يعترف الأخ.·.أ.ج. ماكاي صراحة بأن الإجرام والترويع ليسا بمخالفات ماسونية وبالتالي فهما غير مهددين بعقوبة ماسونية(****)، بل على العكس فإن الثورة ليست مجرد حق للماسونيين ولكنها "في بعض الأحوال واجب مقدس"(*****).

وتتوصل لهذه النتيجة الصحيفة الماسونية الإنجليزية الرائدة في معرض تفسيرها "لواجبات" الماسوني. وحين تنجح المؤامرة يتم تشريف الماسوني كبطل مكلل بالمجد، مثل الأخ.·. "ماجاليس ليما" مثلاً بعد الثورة الناجمة في البرتغال، وإذا لم تنجح فإنه يتم على الأقل بذل الدعم والمعاونة له بكل الهمة، ويتم قبوله كشهيد محبةً له، وكذلك حمايته بواسطة المحفل مثلما حدث مع الإخوان .·. "كوسوت" و"كلابكا" و"شير" وأخرون كثر. ولهذا نجد الماسوني "شتارك" يصرح في حينه وبصدق: "بدون جميعات سرية كان من غير الممكن أن يكون للمرء لجان سياسية

(*) ي.ج. فيندل: مباديء الماسونية في حياة الشعوب، صفحة ١٦٥.

(**) عن "فيلهلم أور": "الروح الفرنسية والماسونية"، صفحة ١٢٨.

(***) ما قبله، صفحة ١٥١.

(****) Masonic Juris Prudence, A.G.mackay، نيويورك ١٨٦٧، صفحة ٥١٠ عن نص "جروبر".

(*****) "the freemasons Chronicle"، لندن ١٨٧٥، I، ٨١.

سرية وكان من المستحيل أن تتحقق الثورة". وتلك جملة ذات صلاحية عامة حتى يومنا هذا، واليوم أكثر من أي وقت قبل ذلك. لهذا فإنه مما لا يدعو للدهشة أنه حينما يوجد ثورات واغتيالات سياسية وانقلابات في القرنين الأخيرين، فإن يد الماسونيين تكون ضالعة في اللعبة.

لقد كانت المؤامرة التي تمت عام ١٧٧٦ والتي حصلت من خلالها أمريكا على الاستقلال هي بدرجة كبيرة من صنيعة الماسونيين. فالماسونيون الأمريكان هم من يومهم رجال عمليون، فهكذا كان الأخ.·. "جيفرسون" الذي أدخل "إعلان الحقوق في دستور الولايات المتحدة" كما لعب الأخ.·. "لافاييت" دورًا بارزًا في كل من حرب الاستقلال الأمريكية والثورة الفرنسية اللاحقة.

كذلك الأخ.·. "جورج واشنطن" البطل القومي للأمريكيين كان ماسونيًا كما كان رجل الدولة الأمريكي "بنيامين فرانكلين" ماسونيًا، وهو الذي لا يعرفه الكثيرون منا إلا كمجرد مخترع لمانعة الصواعق. وكان معلمًا ذا كرسي في عمر الثلاثين. وبعدها بقليل معلمًا أكبر. ولقد كان هو أيضًا الذي أقام احتفالية بقبول "فولتير" في المحفل.

ولم يكن التحضير للثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ فحسب هو من فعل الماسونيين، لكنها كانت تعتبر بالنسبة لهم شخصيًا هي من أخص أفعالهم.

ويوجد على ذلك أدلة كثيرة، غير أن الإعداد الروحي قد تم بواسطة من يسمون بالموسوعيين وهنا يجدر الملاحظة على أن الأدب الموسوعي قد نشأ تحت الحاح المحفل الفرنسي الكبير وعلى حسابة(*)، وعلاوة على ذلك كان أكثر الموسوعيين تميزًا، مثل الأخ.·. "مونتسكيو" والأخ.·. "كوندورسيه" والأخ.·. "ديدريه" والأخ .·. "هلفتيوس" والأخ "دالمبر" وقبل كل هؤلاء الأخ .·. فولتير" نفسه ماسونيين.

(*) "أورينت"، بودابست، ١٨٩٢، العدد ١٢، صفحة ٨٨.

ولقد حصل فولتير على النور بين عامي ١٧٢٣، ١٧٣٠ وذلك في محفل إنجليزي وتم قبوله في المحفل الباريسي المشهور "Les neuf soeurs" وسط احتفائيات غير عادية.

ولقد كان الهدف التالي للثورة الفرنسية هو تنحيه سلالة "البوربون" والمناداة بـ"لوي فيليب" دوق أورلينز – وهو المعلم الأكبر للماسونية الفرنسية – ملكًا على فرنسا، غير أنه وبسبب الاستعانة بالرعاع كأداة تنفيذ قد حدثت سيطرة للرعاع على الأمور مما أدى إلى ابتلاع كل التنظيم الماسوني في النهاية، كذلك يتحمل الماسونيون وزرًا في اندلاع سيطرة الترويع الذي كان يتعامل بالقتل العلني في الشوارع، حيث تم الإقرار باستخدام نظام "Systeme de la terreur" في أحد اجتماعاتهم والإعلان عن أسماء الأشخاص الذين يلزم في بادئ الأمر سقوطهم ضحية لهذه السياسة، وهم أنفسهم الذين تم شنقهم أو قتلهم بوسيلة أخرى في الأسابيع الأولى "للثورة الفرنسية المجيدة" في ميدان البلدية بباريس، والذين تم التجول برؤوسهم المحمولة على أسنة الرماح في شوارع المدينة (كان المرجع لذلك هو الأخ.·. "ميرابو"(*)).

كذلك كان كل من "دانتون" و"روبسبير" وأخرون كثر ماسونيين وهم من أعدوا الخطط التي قام بتنفيذها متآمرون من درجات أدنى كذلك إعدام الملك "لويس السادس عشر" تم بواسطة الماسونيين، حيث كانوا يعقدون اجتماعاتهم السرية في قصر معلمهم الأكبر "فيليب" دوق "أورلينز" حسبما يروي لنا الماسوني "ل.ر.كارت – جاسيفور".

ومسألة أن إعدام "لويس السادس عشر" كانت أمرًا مفروغًا منه من قبل الماسونيين منذ عام ١٧٨٦، هو أمر تأكد لنا فوق ذلك بكل التفصيلات من عدة

(*) انظر مجموعة المحاضرات:"الماسونية النمساوية – المجرية" صفحة ١٨٢-١٨٣، مطبعة هردر، ١٨٩٧.

مصادر مطلعة كانت تابعة للتنظيم لمدد طويلة. ومن ضمن المحافل التي انبثق منها أهم رجال الثورة الفرنسية كان محفل **"Les Amis reunis"**(*) في باريس، فبخلاف من تم ذكرهم، مثل الأخوة ∴ "كوندوية" و"ميرابو" و"روبسبيير" نجد هناك أيضًا الأعضاء "أبيه سييز" و"مارات" بينما كان الأخ ∴ "بريسوه" والأخ ∴ "كميل ديموليو" والأخ∴ "دانتون" ينتمون لمحفل **"Les Neuf Soeurs"**.

ولذا يقول الأخ∴ "فيلكس بورتال" عن حق "أخذت الثورة الفرنسية انطلاقتها من عمل المحفل". ويستأثر الماسونيون الفرنسيون عن حق كامل بثورة ١٧٨٩ حتى يومنا هذا كصنيعة لهم، وهذا يفسر لنا كذلك المهرجان الصاخب والاعتداد الفخور بالنفس الذي يحى به ماسونيا العالم كله "الثورة المجيدة" "من معابدنا انطلقت الشرارات الأولى للنار المقدسة – كما قيل في خطبة جاءت لنا من الأيام الخالية – مهيمنة بأحبال ممتدة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب مشعلة قلوب كل المواطنين" (خطبة تم القاؤها في المحفل الباريسي **"Parfait Union"** بتاريخ ٢٣ يوليو ١٧٨٩ بمناسبة اقتحام "الباستيل". وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن عدد المحافل الفرنسية في ذلك الوقت قد تجاوز ٧٠٠- يزيد بمقدار مائة على كل من "جراند أورينت دو فرانس" و"جراند لوج دو فرانس" مجتمعين في الوقت الحالي – فإنه يمكن للمرء من واقع الأرقام فقط أن يلم بالنشاط غير العادي للماسونيين في ذلك الوقت. على أن الثورة المجيدة عام ١٧٨٩ قد توجهت بنفسها فيما بعد ضد الماسونيين أنفسهم، فتم إعدام رؤسائهم بواسطة الغوغاء وتراجع عدد المحافل عام ١٧٩٤ إلى ١٢، وفي "باريس" احتفظ محفل واحد فقط بالنار المقدسة في الوقت الذي كان فيه المعلم الأكبر نفسه في السجن: لذلك ولهذا السبب فقط يتم دائمًا الإعلان عن أن الماسونيين أعدوا للثورة وقادوها، حيث إنهم أنقسموا فيما بعد إلى جمهورية وأورليانيين، ثم قاموا بدعم الأخ ∴: نابليون بونابارت" بإرادتهم والذي تسلم النور في "بونيناسيو" بجزيرة "كورسيكا". وهو نفسه " نابليون الأول"

(*) نفس المرجع، صفحة ١٨٥.

الذي قام فيما بعد بمحو الفتوحات الماسونية ووضع نهاية سريعة للجمهورية! وهذا طبعًا مما لا يتم التنويه عنه أبدا، أو على الأقل في تصريحات "الجراند أورينت" نفسه، وفي أحد هذه التصريحات الرسمية لتلك السلطة الماسونية العليا في مطلع هذا القرن يتم التنويه مجددًا عن أن الماسونية. قد مهدت فعلاً لثورة ١٧٨٩(*) وأعطتها الصيغة التي تحولت مبادئها بواسطتها لكائن حي: الحرية! المساواة! الإخاء!.

وكما هو معروف فإن شعار الحرية والمساواة والإخاء كان وما يزال هو الشعار الانتخابي للماسونيين والذي يمكن اقتفاء أثره في المحافل الفرنسية رجوعًا إلى عام ١٧٤٠. ويرتبط هذا بإعلام حقوق الإنسان والمواطنة والذي يتم وضعه على رأس الدستور الفرنسي بناء على تعليمات الأخ:. "لافايت"، كذلك تقر النشرة الماسونية الفرنسية "أكاسيا" (أبريل ١٩٠٣، العدد ٥، صفحة ٣٥١) أن الثورة ١٧٨٩ كانت محاولة لتطبيق التعاليم الماسونية، على أن مؤرخينا لا يدرون شيئًا عن ذلك فيغمون أبصارهم ولا يرغبون في رؤية الحقائق.

فمثلاً يعلن كل من الباحثين "هـ. تاين "و "أ. أولارد" أنهما في معرض أبحاثهما عن أسباب ومقدمات الثورة الفرنسية لم يتقابلا أبدا بالماسونيين لكن بماذا يخبرنا الأخ:. "حيرام" في "الأكاسيا"؟ ان عددًا كبيرًا من أعضاء الجمعية الوطنية التشريعية هم أعضاء في المحافل "كان أعضاء الجمعية الوطنية الماسونيون هم الذين أسسوا في البداية النادي البريتوني ثم جمعية أصدقاء الدستور وفيما بعد النادي الجاكوبي حيث احتذوا نموذج الماسونية. وقد عقدت تلك الجمعية المرموقة والتي توسعت في جميع أنحاء فرنسا من خلال أفرعها، عقدت اجتماعات عامة وسرية حيث لم يسمح بالمشاركة في الأخيرة إلا للذين استقبلوا النور(**).

(*) (نص فرنسي، انظر الأصل، المترجم).

(**) "أكاسيا"، مايو ١٩٠٨، العدد ٦٥، صفحة ٣٣٤، ٣٣٦.

وهذا واضح بما فيه الكفاية. ويقول الدوق "هاوجفيتس" الـوزير البروسـي والماسوني السابق بل والمعلم الأكبر في مذكرته المشهورة لمؤتمر الأمـراء فـي "فيرونا" (١٨٢٢): يتملكني الاقتناع الراسخ أن الدراما التي بـدأت عـامي ١٧٨٨ و١٧٨٩، أي الثورة الفرنسية، ومقتل الملك، بكل بشاعتها لم يـتم تقريرهـا (مـن الإدارة العليا للتنظيم الماسوني) فحسب ولكنهـا أيـضًا النتيجـة الفعليـة لنـشاط الاتحادات. وللأيمان التي تم تأديتها فيها" أما "ماري أنطوانيت" البائسة والتي ألقـت نظرة متعمقة من قصر "فرساي" على الأمور السائدة، فقد كتبت لأخيها الإمبراطور "ليوبولد الثاني": احترس هناك جيدًا من أي رابطة ماسونية، ولعله تم إبلاغك بذلك أن البشاعات التي تحدث هنا تجري حساباتها على أن تصل إلى نفس الهدف فـي كل أنحاء البلاد بنفس الطريقة. يا إلهي!! إحم وطني ونفسك من هـذا الـشقاء!(*). ولقد نطقت الملكة المأسوف عليها بالحقيقة قبلما تنتهي حياتها على المقصلة.

ويلزم تناول الثورة الفرنسية بشيء من التفصيل لكي يتم تنحية أية شـكوك بخصوص محرضيها الأصليين. ولمن لا يكتفي بما تم ذكره فعليه أن يلجأ للكتابات المتخصصة في هذا الشأن ولسوف يمكنه استكمال الأدلة المساقة هنا بمئات أخرى.

والآن كيف تصرف الماسونيون تحت حكم نابليون الأول وخـلال التقلبـات اللاحقة في فرنسا؟ لقد كان "نابليون" الأول نفسه ماسونيًا وعرف كيـف يـستغلهم ويبقيهم بذكاء تحت السيطرة، أما الإمبراطورة "جوزفين" فأصبحت السيدة الحاميـة للماسونيين وتم ضم النساء في بلاطها للتنظيم، وأما شقيق "نابليون" "جوزيف" ملـك أسبانيا فأصبح معلمًا أكبر وشقيقه "لويس نابليون" أصبح معلماً أكبر مشارك وزوج شقيقته "مورات" ملك "نابولي" فأصبح كذلك معلمًـا أكبـر، وكـان "يـوجين ف. بوهارنيه" نائب ملك "نابولي" معلم كرسي. كذلك تقلد جنرالاته مناصب مرموقة في التنظيم كمعلمين ومعلمي كرسي، مثل: "ماسينا" و"كيلرمان" و"مارشال برنـادوت"

(*) انظر: "فرايماورر تسايتونج"، ٣ نوفمبر ١٨٨٦.

وآخرين. ولقد تم تمييز الأسرى الماسونيين عن الآخرين بواسطة "نابليون". وهـذا ما حدث في محادثات السلام الأولية في "ليون".

ويمكن إيجاز موقف "نابليون" من الماسونيين بأنه استخدمهم بذكاء كأداة في خططه التوسعية وعرف كيف يضع النفوذ المتغلغل العريق للتنظـيم فـي خدمـة سياسته العالمية.

وبسقوط "نابليون" "تنفست الماسونية الصعداء" ("أكاسيا"، يونيو ١٩٠٨، العدد ٦٦، صفحة ٤٠٣). وانقلب الإخوان بسرعة، حيث بايعوا "لويس الثامن عشر" من عائلة "البوربون" لكنه حالما عاد نابليون من جزيرة "البا" هرولـوا إليـه وخـانوا البوربونيين. وبعد معركة "واترلو" خذلوه مرة أخرى لكي يتمرغوا في التراب أمام "لويس الثامن عشر" وتم تجريد المعلمين الأكبرين "جوزيف بونابارت" و"مـورات" بواسطة الشرق الكبير من وظيفتيهما.

وبخلاف ذلك ظلت الأمور كما هي، حيث لم يفكر "لويس" في معاقبة قتلـة أخيه، وبالمناسبة فلقد كان "لويس الثامن عشر" نفسه ماسونيًا، حيث تسلم النور عام ١٧٧٦ مثل أخيه "شارل العاشر" الذي تلاه في الحكم عام ١٨٢٤. غير أن "شـارل العاشر" وعلى الرغم من انتمائه للماسونيين كان مكروهًا بسبب معتقداتـه. ولقـد توهجت مرة أخرى نيران المبادئ الثورية بشدة عام ١٨٣٠ والتي تم تغذيتها بذكاء بواسطة الأخ.·. "لويس فيليب" أين الأخ.·."إجاليتيـه" (دوق أورلينـز)، حيـث تـم مطاردة "شارل العاشر" والمناداة بالأخ.·. "لويس فيليب" من الحكومة الحالية ملكًـا (ملك شعبي) بعدما قدم كل التنازلات الممكنة. ولم يكن هنالـك تفكيـر بعـد فـي الجمهورية، حيث كان الإخوان .·. قانعين بذلك مؤقتًا، فكما كتبـت "أكاسـيا" فـإن الماسونية لا تخشى شيئًا تحت قيادة ملكية يوليو، فملكهم وأخوهم.·. هو حاميهم(*).

(*) انظر "أكاسيا"، فبراير ١٩٠٨، العدد ٦٢، صفحة ٨٦.

غير أن المحفل لم يرض عن هذا الوضع على المـــدى الطويـــل، لقــد أراد الجمهورية، فاستمر في حالة فوران حتى نجح الانقـــلاب المرجـــو عـــام ١٨٤٨، واشتملت الحكومة الجمهورية الجديدة على عدة ماسونيين ومنهم اليهودي "كريميو". ولقد حاولوا تطبيق أنظمة اشتراكية متعددة ولكنها فشلت وحـــدث قتـــال شـــوارع عنيف، ومن ثم دكتاتورية عسكرية ثم رئاسة "لويس نابليون" والذي قام عام ١٨٥٢ باعتلاء العرش "كنابليون الثالث". وحسبما تؤكد "أكاسيا" بإصرار – وهي قطعًا تعلم بذلك – فلقد كان نابليون الثالث ماسونيًا وأنه تسلم النور في محـــفل سويـــسري[*]، بل إنه كان عضوًا في جمعية سرية لمتآمرين إيطاليين – "الكاربوناري" – وعرف بالتالي المنظمات السرية من خبرتـــه الشخـــصية، كـــذلك تعـــرف علـــى "قنابـــل الأورسيني" والذين ذكروه بالقسم الذي أداه في شبابه، غير أنه رأى نفسه مضطرًا أن يظهر بمظهر المعادي للماسونيين باعتباره إمبراطورا، وبواسطة السلطة الفائقة له أعطاهم معلمًا كبيرًا وهو المارشال "مانيان" والذي لم يكن حتى ماسونيًا. وفـــي يوم واحد تسلم النور وكل الدرجات الثلاث والثلاثين! ولقد كان ذلك انجازًا ضخمًا. وفوق ذلك فقد افسد العلاقة بعد ذلك مع المعلمين الأكبرين الإيطـــاليين "ماتـــسيني" و"جاريبالدي" حتى أنه في سنوات حكمه الأخيرة وحد كل الماسونيين ضـــده. لـــذا رحبوا بشدة بسقوطه (الرابع من سبتمبر عام ١٨٧٠).

بناء على ذلك فلم يكن للماسونيين الفرنسيين في القرن التاسع عـــشر قـــوة أخلاقية متميزة ولا إخلاص قوي للعقيدة، فلقد تلونوا حيثما كانوا، فكانوا بالتـــالي – ظاهريًا على الأقل – أتباع "نابليون" ثم "لويس الثامن عشر" ثم "نابليون" ثانية ومرة أخرى "لويس الثامن عشر" ثم أورليانيين ثم جمهوريين، ومرة أخرى إمبراطوريين ثم عادوا ثانيه لنقطة انطلاقهم الجمهورية. غير أنهم كانوا دائمًـــا ومـــن داخلهـــم ثوريين، حيث كانت أياديهم في كل من ثورة ١٨٣٠ وثورة ١٨٤٨، فإذا ما غابـــت

(*) انظر "أكاسيا"، يونيو ١٩٠٨، العدد ٦٦ صفحة ٤٠٥.

فرص النجاح عن أمانيهم "فإنهم يدثروا طموحاتهم السياسية تحت البساط الغـامض للمحفل".

ومع عام ١٨٧٠ ومنذ الجمهورية الثالثة أصبح "الشرق الفرنسي الكبير" في حالة من الانشراح لأنه لم يعد مضطرًا لبث أحاسيس غريبة عليه، حيث إن الجمهورية الثالثة كانت واقعة تحت تأثير الماسونية للدرجة التي يمكن تسميتها الجمهورية الماسونية فالرئيسان "جريفي" و"كارنوه" كانا تابعين للتنظيم الماسوني، كذلك الأخ.·. "فليكس فوريه" (محفل "أمينيته"). وكذلك رئيسا الوزارة "بورجيوه" و"دوميه" كانا ماسونيين، كذلك وزير الحرب "أندريه" الذي اشتهر بسبب فضيحة المنشورات، كذلك الوزير الأخ.·. "ملين" (محفل "ترافاي") وكثيرون آخرون سقطوا من الذاكرة(*). ومن المعروف ان "بوإنكاريه" هو أيضًا من إخوان المحافل، كذلك "كليمنصوه"و "فيفياني" و"ميليران". وكذلك الأخ.·. "دلكاسيه" الذي لا يصح إغفاله. فأهم المناصب هي في أيدي أعضاء التنظيم، لذا فإن أمام الماسونيين الفرنسيين في الوقت الحالي الواجب الكبير والوحيد. الانشغال بتثبيت سيطرتهم، غير أن ذلك لم يكن ليكفيهم في اندفاعهم. لذا فقد بدأوا منذ نصف قرن في توسيع نشاطهم نحو الخارج لكي يتمكنوا من إسقاط العروش في دول أخرى كذلك.

(*) انظر أيضًا الملحوظة على صفحة ٨٠.

الماسونية الثورية في إيطاليا

قال الأخ: "كيوسينى" في محاضرة ألقاها عام ١٩٠٧ في المحفل الباريسي "سوليدرايتيه"(*). "إن العمليات الثورية التي وقعت (في إيطاليا) منذ عام ١٨٢١ هي من صنيعة الماسونية " وأنه وإن كان ذلك صحيحا فإنه لا يعنى أبدًا أنهم لم يشاركوا قبل ١٨٢١ في قلاقل معادية للدولة. غير أنه يمكن التغاضى عن تلك الفترة حيث إنهم دائمًا ما يلجأون إلى الاقتضاب.

ولقد تغيرت الصورة بشكل فجائى إثر ظهور "ماتسيني" كزعيم لحركة التحرر. ويمكن تسميه هذا الرجل الذي ولد في جنوا عام ١٨٠٥ بحق رأس وروح كل الثورات في أوروبا منذ عام ١٨٢١. ولقد انشغل بالسياسة والأفكار الثورية منذ السنوات الأولى. وفي عام ١٨٢٧ انضم إلى رابطة "الكاربونارى" وباعتباره وكيلاً لها أسس في "ليفورنو" بنتا"، ولقد تم اعتقاله واتهامه، لكن ما لبث أن تم الإفراج عنه لعدم كفاية الأدلة. وتوجه بعد ذلك للخارج. وفي عام ١٨٣١ أعلن عن قيام رابطة "إيطاليا الفتاة" (**Giovine Italia**) والتي يتحتم على أعضائها أن يقسموا على تكريس أنفسهم لواجب لم شمل إيطاليا كشعب متحد وحر وجمهوري. وانتشرت هذه الرابطة السرية سريعًا في كل أنحاء إيطاليا. حيث كان أعضاؤها ملتزمين بأقصى درجات السرية ومسلحين وليسوا بالضرورة مخيرين في وسائلهم. وفي عام ١٨٣٤ انشأ ماتسيني مع رفقاء فكرة من الألمان والبولنديين والإيطاليين رابطة "أوروبا الفتاة" والتي ضمت في البداية الاتحادات الوطنية "ألمانيا الفتاة" و"بولندا الفتاة" و"إيطاليا الفتاة".

(*) مطبوعة في "Revue Maconnique"، يونيو ١٩٠٧، العدد ٣٢٧، صفحة ٨٩-٩٥

وكانت أهداف "ماتسيني" الرئيسية هي القضاء على النمسا وتوحيد إيطاليا وتجنب السلطة البابوية وقيام الجمهوريات في كل أنحاء الأرض. وقد كان على اتصال بكل الرجال الثوريين في جميع أنحاء العالم، مثل "كوسوت" والثوري البولندي "ستانيسلاوى فورسل" والروسي اليهودي "ألكسندر هرتش" وكانوا كلهم ماسونيين وكان يلزم إعادة تشكيل أوروبا بالكامل، لذا لم يكن عبثًا أن تقول "ريفيستا دللا ماسونيريا إيطاليانا" عنه وعن أنصاره بعد ٢٢ عامًا من وفاته: "وسوف يقوم كل من ماتسيني وجاريبالدي وكوسوت مكللين ببريق مجد لا يدانيه مجد بإطفاء بريق الرؤوس المتوجه"(*). ولم يكل "ماتسيني" من التحريض ضد النمسا والاندفاع في اتجاه الحرب. وقد لاقت مساعية كل التفهم والدعم المالي في إنجلترا. وعلى الرغم من أن "ماتسيني" كل من أنصار السلام العالمي فإنه كان على اقتناع أنه لا يمكن تحقيق هذا السلام بدون ثورة وحرب. ولقد دعم ودفع بكل قواه العمليات الحربية "لجاريبالدى" مثل حملته إلى نابولي والحملة التي تفرعت عنها إلى روما. ولقد كان "جيوزيبي جاريبالدي" ماسونيًا بالتأكيد، بل إنه تم تصعيده فيما بعد إلى معلم أكبر مدى الحياة.

والآن، هل كان "ماتسيني" ماسونيًا كذلك؟ على أية حال فلقد عبر عن رأيه الحاد في بعض الأحيان من خلال أعماله واصفًا إياها بالرمزية الجوفاء التي تنزلق في أحيان كثيرة إلى "آراء هزلية نابية"(**).

كذلك لام عليها أنها لا تمتلك برنامجًا سياسيًا موحدًا وأنها تبارك مواطنة عالمية غير ذات ملامح. وبصرف النظر عن ذلك فإنه لا يتطرق أدنى شك أن "ماتسيني" كان ماسونيًا مثل "جاريبالدي". حتى وإن كان يعتمد في عملياته السياسية في الدرجة الأولى على المنظمات السرية التي أسسها بنفسه وكذلك على رباطة

(*) Rivista Della Massoneria Italian، ١٩٨٤، صفحة ١٥١

(**) ج، ماتسيني، opera di، الجزء الأول، صفحة ١٢٠، ٢٩

"الكاربونارى" ولقد ظل طوال حياته على أوثق الصلات مع أشهر زعماء الماسونية، مثل "أوريليو جانى" الناشر اللاحق لأعماله المتأخرة، وكذلك مع "أدريانو ليمى" المجدد المجتهد جدًا للماسونية الإيطالية، حيث أعاد تشكيلها تمامًا في اتجاه فكر ماتسيني. ولقد حدث سالفًا، وفي الستينات، أن قام المحفل الكبير للماسونيين في جنوب إيطاليا بمواءمة نفسه تمامًا حسب رغبات "ماتسيني" وهذا مما يفترض معه أن "ماتسيني" نفسه كان أخا للمحفل. ويتم تقدير "ماتسيني" ومعه "جاريبالدى" بشكل مغالى فيه. وتطلق عليهما النشرة الرسمية للمحفل أنهما "أعظم النجوم في الماسونية الإيطالية"(*) وبطلا القرن والمثل الأعلى للماسونيين(**). وإذا كان "ماتسيني" لا يعتمد كثيرًا على الماسونية. في مساعيه السياسية، فإن ذلك يرجع إلى أن المحافل كانت في ذلك الوقت غير متفقة ومفتقدة لقيادة واعية للهدف وتضم أعضاء كثيرين غير ذوى شأن. وبعد وفاة "ماتسيني" تولى القيادة أحسن تلاميذه وأكثرهم إخلاصا في ذلك الحين تم تشكيل مجلس التنظيم الأول من ٣٣ عضوًا. وفي عام ١٨٨٧ تدعمت الماسونية الإيطالية تحت قيادة المعلم الأكبر "أدريانو ليمى" صديق ماتسيني الشخصى. وشهد عام ١٨٧٢ الوحدة الماسونية لإيطاليا. ومنذ ذلك التاريخ وهي تدار في واقع الأمر تبعًا للفكر "الماتسيني" كلية- ولا يوجد دليل على ذلك أحسن ولا أوقع من اشتراك إيطاليا في الحرب العالمية التي تقع كلية في حساب النشاط الماسوني، وهو ما سوف يتم الحديث عنه بالتفصيل لاحقًا.

وبصرف النظر كلية عن هذا الحدث العالمي، فإن الماسونية الإيطالية لم تكن أبدًا غير ثورية. ولقد كانت الماسونية هي التي طلبت من الحكومة الإيطالية أن يتم احتلال روما وأن يتم التخلص من السلطة الدنيوية للبابا (١٨٧٠) (الأمر يتعلق هنا بمجرد إثبات تاريخ بصرف النظر عن موقف المرء من ذلك).

(*) Rivista Della Massoneria Italian، ١٨٩١ ، صفحة ١٤٩

(**) ما قبله، ١٨٩١، صفحة ٩٦

كذلك فإنه كان هناك ماسونيون كثيرون من ضمن أعضاء الحركات "الأيردنيتية" (التي تدعو لتوحد إيطاليا، المترجم) يتم مساندتهم ودعمهم علانية من المحافل ومن الصحافة الماسونية(*). وفي هذا الشأن يجدر بالذكر أن الماسونية المجرية- النمساوية كانت تحتفظ بأحسن العلاقات مع الشرق الإيطالي الكبير، كما كانت تنظم رحلات حج شكلية للاخ ∴ "كوسوت" الذي وجد في مدينة تورينو ملجأ له، كذلك لم تجد أدنى غرابة في كراهية الماسونيين الإيطاليين "لبيت هابسبورج الشرس"، وبالمثل لم تجد أدنى تحفظ أو استهجان في الاحتفاء بفيلهلم أوبردانك" كصديق وشهيد وذلك بعلم وموافقة الشرق الكبير، وهو ذلك الشاب من " تريستا" الذي حاول اغتيال الإمبراطور "فرانتس جوزيف الأول" بقنبلة ودفع حياته ثمنًا لذلك. وظواهر كتلك لا تدهش أبدًا من يلم بروؤا "ماتسيني" عن قتل الطغاة، فهو يقول "القتل للثأر هو جريمة في كل الأحوال، أما القضاء على أحد الطغاة الذين يرتبط بموتهم صالح الشعب، فهو عمل حربي وفضيلة!(**) ويتوافق ذلك تمامًا مع ما فعله "ماتسيني" حسبما يعترف هو نفسه بذلك(***)- حينما وضع خنجرًا في يد أحد المتآمرين لكي ينفذ اغتيال "الخائن" و"الطاغية" الملك "كارل ألبرت فون بيمونت" (لم يتم تنفيذ الاغتيال لمجرد أن القاتل المعين اعتنق فكرًا مغايرًا فيما بعد)

وبعد تلك الاعترافات لن يفاجأ أحد بأن "ماتسيني" كان يرسل مبعوثيه لطعن الجنود النمساويين في شوارع ميلانو (١٨٥٣) لكي يحدث اضطرابات، وأنه تم اغتيال دوق بارما عام ١٨٥٤، وأن القضاة الذين أدانوا المتآمرين تعرضوا للموت غير الطبيعي واحدا بعد الآخر "سيستم دو لاتيرور" **(System De la Terreur)** ومن اللافت للنظر أنه فيما يتعلق بالروح التي كانت سائدة بشكل عام في ذلك

(*) انظر مثلاً "ريفيستا ديللا ماسونريا إيطاليانا"، ١٨٩١، صفحة ٦٥

(**) انظر "ج. "ماتسيني" أوبيرى دى، ١٠، صفحة ٤٨.

(***) ما قبله، الباب الثالث، ٣٤٠- ٣٤٢

الوقت في المحافل وفي الروابط السرية الإيطالية، إن الأخ "كريسبى" وهو "فرانشسكو كريسبى"(*) رئيس وزراء إيطاليا فيما بعد، قد ساعد في شبابه شخصيًا "كاربونارو أوسينى" المعروف في تصنيع قنابل لتمزيق جسد ملك نابولي "فرديناند الثاني" أربا(**)! بل أكثر من ذلك: اللجنة الماتسينية والتي كان الأخ:. "كريسبي" أحد أعضائها، كانت أصدرت حكمًا بالإعدام على الملك "فرديناند الثاني" وقد تم توزيع المنشورات في كل أنحاء إيطاليا يتم فيها الترويج لإباحة الاغتيال السياسي وقد تم رصد جائزة مقدارها مائة ألف "دوكات" لمن يقوم بالتخلص من "الطاغية" فرديناند الثاني". وقد تلا ذلك محاولة اغتيال بواسطة الجندي "أجسيلاس ميلانو" (١٨٥٦) لكن تم القبض عليه وإعدامه. وعندما دخل الأخ: "جاريبالدي" نابولي بعد أربع سنوات خصص معاشًا لأم "ميلانو" من أموال الدولة، كما امتدح الأخ "فرانشسكو كريسبي" عمل "ميلانو" في البرلمان الإيطالي بالكلمات التالية:

"لن يدمغ أي فرد وطني "ميلانو" بالاتهام على هذا العمل الشجاع!" وتم التنويه عن هذه الاحداث بواسطة الصحف الإيطالية بمناسبة اغتيال الملك "هومبرت الثاني" في "مونتسا" (١٩٠٠)، لذلك فصحتها لا تقبل الشك، وهي من المؤشرات الدالة بشدة على الروح التي كانت سائدة في إيطاليا والتي ربما تكون ما تزال مسيطرة للآن.

وربما يزعم المرء أن تلك مجرد رؤى لفرد واحد وأنه لا علاقة لغالبية الماسونيين الإيطاليين بهذا الشأن.

ومن الممكن أيضًا أن ننوه عن خطاب المعلم الأكبر "أرنستو ناتان" والذي يدين فيه حرفيًا الاغتيالات بواسطة الفوضويين، وذلك بمناسبة اغتيال الملك "هومبرت" غير أنه يلزم دائمًا أن نتقبل مثل تلك التصريحات بالحذر. ولقد شاهدنا

(*) ج. ماتسيني، أو بيري دي، الجزء الحادي عشر، صفحة ٤٦، ملحوظة

(**) ج. ماتسيني، أو بيري دي، الجزء الحادي عشر، صفحة ٣٦، ملحوظة

في النمسا منذ فترة قصيرة جدًا كيف أن حزب أحد القتلة السياسيين قد دمغــه فــي البداية بالجنون وأدانه بشدة، لكن بعد أقل من عامين قام نفس هذا الحــزب بتعيــين هذا القاتل المعفى عنه في رئاسة الحزب وسط حفاوة بالغة.

وهذا يكفي وقد ظل كل من ماتسيني وجاريبالدي حتى نهاية عمرهم ثــوارًا وجمهوريين، حيث أبدى الملوك الإيطاليون خضوعهم لهم(*). ولقــد تــم اقتبــاس برنامجهم الثوري بشكل دؤوب بواسطة الماســونيين الإيطــاليين، والــذين كــانوا يتربصون الوقت الملائم لتحويل مطلبهم الأخير إلى حقيقة، ألا وهو إلغاء الملكيــة، وطبقة النبلاء.

(*) نرى مثلاً أن الملك هومبرت تبرع بمبلغ مائة ألف ليرا لتمثال ماتسيني والذي هو من ألد أعداء والــده. انظر نوبى فراية برسه بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٠٠

الماسونية الثورية في إسبانيا والبرتغال

يضم الشرق الكبير لأسبانيا حاليًا ١٢٠ محفلاً بهم نحو ٥٢٠٠ أخ، وقد زادت أثناء فترة الحرب العالمية بمقدار ٢٠ مما يدل على نشاط إدارتها. أما معلمه الأكبر ورئيس مجلس التنظيم فما يزال هو د. "ميجيل مورايتا" الذي يجلس على قمة التنظيم منذ أكثر من عشرين عامًا. ومورايتا هو جمهوري صريح ولم يخف أبدًا معتقداته. غير أن الماسونيين لا يمكنهم دائمًا التعامل بصراحة مثلما يحدث تحت حكم "ألفونس الثامن" فهنالك أوقات اضطروا فيها لإخفاء طموحهم السياسي تحت البساط الغامض للمحفل- كما يحلو اللباهوته"(*) – أن تعبر عن ذلك.

وكما حدث في أماكن أخرى فلقد تم زرع الماسونية في أسبانيا من إنجلترا (١٧٢٨)، غير أنه تم منعها بعد ذلك بقليل (١٧٥١) بسبب قلاقل سياسية، غير أنه وبسبب عدم تنفيذ قرار المنع بصرامة فلقد أخذت تنشأ محافل جديدة والتي انفصلت عن المحافل الإنجليزية الكبرى (١٧٦٧) وأسست شرقًا كبيرًا خاصًا بهم (١٧٨٠) وفي أسبانيا كذلك تم استقبال انهيار "البوربون" بترحاب شديد من الإخوان وأثناء حكم الفرنسيين كان "جوزيف بونابارت" على قمة الشرق الكبير، وبعد عودة البوربون (١٨١٤) عانى الماسونيون من المطاردات، وليس من الواضح إن كانوا شاركوا في ثورات من عدمه، حيث إن المصادر الأسبانية عن النشاط الماسوني كانت شحيحة في ذلك الوقت. أما في العصور الأحدث فإنه من الثابت مشاركتهم في كل العمليات الثورية ودأبهم بشكل صريح على إدخال النظام الجمهوري للدولة. وأشهر الرجال هو بدون شك "انريكو فيرير" الذي وقع في أيدي السلطات بعد

(*) العدد ٤ بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٠٩

التمرد الدموي الذي اشعله في برشلونه وتم إعدامه رميًا بالرصـــاص. ويبـــدو أن "فيرير" قد بالغ في تقدير نفوذ أنصاره الكثيرين، مما جعله يعتقد أنـــه لا يمكـــن أن يصبه شيء. فلقد سبق أن تم فعلاً إيقاف قضية سابقة ضده وذلك بـــسبب الـــضغط الذي مارسته كل الماسونية وحركة "الفكر الحر" القريبـــة منهـــا علـــى الحكومـــة الأسبانية.

ومن اللافت أن الأخ " فيرير" كان أيضًا على علاقة نشطة مـــع الفوضـــوي "مورال" الذي ألقى قنبلة على موكب الزفاف الملكي بمناسبة زواج "ألفونس الثامن" من "إنا فون باتنبرج" (٣١ مايو ١٩٠٥) وعن مدى مشاعر الماسونيين تجاه هـــذا العدوان تعطينا النشرة الماسونية "ريفيو ماسونيك" بتـــاريخ يوليـــو ١٩٠٥ (العـــدد ٣١٦، صفحة ١١٥) إيضاحات جديرة بالذكر: "بتاريخ ٣١ مايو انفجرت في مدريد قنبلة فوضوية بشعة ألقاها "مورال" على موكب الزفاف الملكي ممـــا أســـفر عـــن ضحايا كثيرين في الوقت الذي أخطأت الذين كان يجب أن تصبهم. يجـــب علـــى الملك الشاب أن يسيطر على غروره وأن يتخلى عن اللمعان في الاحتفالات التـــي تتحول بالضرورة إلى كوارث للمواطنين البسطاء" إذن، ليس هناك كلمة واحدة عن حقارة هذا الفعل، وإنما اتهامات في غير محلها ضد الملك الشاب، والأســـف بـــين السطور على أن القنبلة أخطأت من كان يجب أن تـــصبهم. وتـــم تقـــديم "مـــوال" للمحاكمة- وصدق أولا تصدق- تمت تبرءته – فمن كان ذلك المحامي الذي عرف كيف يقوم بكياسة شديدة بتحويل الحق إلى باطل والباطل إلى حق بحيث لا يخـــرج من المحكمة منطوق أدانه على الرغم من الفعل الواضح جدًا؟ لقد كان هـــو الأخ.:. "بولوت" وهو بالطبع ماسوني كما تخبرنا نشرة "ريفيو ماســـونيك" (ينـــاير ١٩٠٦، العدد ٣١٠، صفحة ١٣) بغبطة شديدة. وإذا جاز لنا أن نـــستعمل كلمـــات المعلـــم الأكبر د. "مورايتا" أمام المؤتمر الماسوني العالمي في "انتويرب" "فاسبانيا هي بلـــد ليبرالي جدًا لكنها لم تكن ليبرالية لدرجة أن تعفو مرة أخرى عـــن "انريكـــوفيرير" صديق "مورال" عندما تم ضبطه ثانية متلبسًا بفعلته. لكن هذه الليبرالية كانت فـــي

النمسا وتكفى هذه الصورة العابرة لتوضح روح الماسونية الأسبانية، وإن كان سيتم تناول نشاطها المؤلب للحروب.

والآن لنلقي نظرة على البرتغال:

يوجد في البرتغال "الشرق الكبير المتحد للوسيتانيا والسوبريمْ كونسيل للبرتغال في لشبونه" ويشتمل حاليًا على ١٣٣ محفلاً بها ٤٣٤١ أخ. كما أنه ازداد أيضًا أثناء الحرب. ولكن ليس بنسبة كبيرة مثل الشرق الكبير الأسبانى(*) ويوجد على قمة الماسونية البرتغالية الثوري المرموق جدًا "ماجاليس ليما" وهو صحفي ومحام وعضو مجلس شيوخ. وتقلد منصب وزير عمل في المجلس الذي تشكل في يونيو ١٩١٥.

وماجاليس هو أحد قادة الماسونية العالمية على الإطلاق. وهو جمهوري متشدد مثل "مورايتا" بل إنه زعيمهم المعترف به. وتعتبر صحيفة "أفانجاردا" هي في نفس الوقت النشرة الرسمية "للفكر الحر". وتعتبر كل من الفكر الحر والجمهورية والماسونية في البرتغال مصطلحات ذات معنى واحد تقريبًا. أما الماسونية فلها القيادة بلا منازع. وهذا ما يؤكده لنا المفكر الحر "رافايل رينسي" في نشرة "باوهوته" (٢٣ يناير ١٩٠٩، العدد ٤، صفحة ٢٩) والذي يقول بخصوص الظروف في البرتغال بالنص " إن الماسونية قبل كل شيء هي التي تدافع في هذه البلاد عن حرية الضمير والتي تنشر مبادئ التفكير الحر" وليس من العسير فهم ذلك، حيث إن المرء يحتاج للعلاقات الدولية للماسونية لكي يمكنه تبادل الدعم والترقي عبر حدود الدولة. "وماجاليس ليما" بالذات عرف كيف يقيم ذلك. ونذكر هنا لمجرد أن نستخلص أهم حدث بهذا الشأن، إن "ماجاليس ليما" ألقى في ديسمبر ١٩٠٧ سلسلة محاضرات في محافل فرنسية وكانت تحمل العنوان اللافت

(*) ربما يكون تفسير ذلك أن الواجب الرئيسي للماسونيين في البرتغال– تغيير شكل الدولة– قد استقر فعلاً في أذهانهم منذ ١٩١٠.

"البرتغال، سقوط الملكية وضرورة الشكل الجمهوري للحكم. تأسيس الجمهورية" والتقط الموضوع "أبى تورمنتين" وهو المعارض المتشدد المعروف للماسونية، ونشره لقراء صحيفته فورًا(*) وأبدى في ذلك قلقه من أنه سيتم قريبًا طرد أو اغتيال "دون كارلوس" ولقد كانت مخاوف " تورمنتين" محقة بالفعل.

فبعد بضعة أسابيع سقط كل من الملك "كارلوس" وأكبر أبنائه ولي العهد- صريعين جراء حادث اغتيال فهل ذلك مجرد صدفة تعيسة؟ ربما. غير أن "أبى تورمنتين" أدان الماسونيين بكل وضوح بتهمة اغتيال الملك، وفي المقابل لم يعتن المحفل بهذا الأمر، بل انه لم يكلف نفسه عناء دحض هذا الادعاء، وعلى النقيض من ذلك لم تجد الصحيفة الباريسية الرائدة للمفكرين الأحرار. "كوريير أوربيان" (١٠ فبراير، صفحة ١٠٣) أي غضاضة في اغتيال الملك وتأسفت فقط لأن رئيس الوزراء "فرانكو" المكروه من الماسونيين قد أفلت من هذا الاغتيال: "كان للصاعقة التي ضربت الملك وابنه خطأ واحد وهي أنها أبقت على المحرك الرئيسي للعديد من الجرائم والبشاعات". ما هي إذن تلك الجرائم والبشاعات التي ارتكبها "جوان فرانكو" المكروه؟ لقد أراد بالاتفاق مع الملك أن يكسح العفن البرلماني وأن ينظفه من السياسيين المرتشين والمأجورين. وهذا، ولا شيء غير هذا هو كل جرائمه.

واعتلى العرش الأبوى الملك "مانويل" وهو شاب بلا خبرة ومستهتر وملك صالونات، ولكن تمت تصفيته هو الآخر بشكل سريع، ولو أن ذلك لم يكن عن طريق الاغتيال أيضًا وإلا أصبح الأمر مثيرًا للريبة، ولكن تم نفيه خارج البلاد بدون احتفاليات كبيرة. ونسمع الماسونيين أنفسهم يتساءلون فيما بينهم: "أكان ذلك أيضًا من فعل الماسونيين؟ هل يجب أن يكونوا المذنبين في كل شيء؟" ولقد ألقى الأخ: "تورنمو" الخطيب الأكبر للشرق البلجيكي الكبير تقريرًا في اجتماع الثاني عشر من فبراير عام ١٩١١ أمام الإخوان قال فيه بالنص:

(*) France- Maconnerie Demasquee، باريس، ٢٥ ديسمبر ١٩٠٧.

"هل تتذكرون ذلك الإحساس العميق بـالفخر الـذي اعترانا حينما جاءنا منذ قليل خبر الثورة في البرتغال؟ لقد انهار العرش في بضع ساعات وتهلل الشعب وتم إعلان الجمهوريـة، لقد كان ذلك بمثابة صاعقة هبطت من سماء صـافية للـشعب الذي لا يدري شيئًا، لكننا نحن، أيها الإخوان، كنا عالمين، كنا نعلم بالتنظيم الرائع لإخوتنا البرتغاليين وبحماسـهم الـدؤوب وبعملهم المتين المستمر. لقد كنا نستحوذ على سر هذا الحدث الأعظم... "(*)

هل يلزم هنا إثبات آخر؟ إذن فلندع هنا صحيفة "بوندس بلات" كشاهد دامغ، وهي الصحيفة الرسمية للمحفل البروسي الكبير "تسورن دراسي فيلت كوجلن" فهي تتناول كتابًا للبروفسور البرتغالي "بورجس جراينا" عن "تـاريخ الماسـونية فـي البرتغال من ١٧٣٣ حتى ١٩١٢" وتردد في توافق الكلمات الاسـتهلالية لمقدمتـه "معظم الرجال المهمين من الحراك الدينى والسياسي والأدبي فـي البرتغـال فـي القرنين الأخيرين كانوا منتمين للمساونية".

كذلك تخرج لنا بالاستنتاج الهام التالي "لجرانيا": "كل الرؤوس المهمة تقريبًا في شئون الدولة منذ الخامس من أكتوبر ١٩١٠ كـانوا أعـضاء فـي المحافـل الماسونية"(**) كيف استطاع إذن الإخوان البلجيك أن يعرفوا مقدمًا ما سوف يحدث في البرتغال؟ أنها مهارات!- ألم يقم الأخ: "ماجاليس ليما" بزيارة كل من الـشرق الكبير في بروكسل ولندن وباريس قبل الثورة البرتغالية لكي يؤمن دعم الماسونيين المعنيين لهذا الحدث. وبطبيعة الحال لم يعلم هـذا "الـسر" سـوى الإخـوان ذوى

(*) نشرة ج.. أو.. لبلجيكا ٥٩١٠ (١٩٠٩/١٩١٠)، صفحة ٩٢

(**) مذكورة في "هيرولد" برلين ١٧ يناير ١٩١٥، صفحة ١١

الدرجات العليا، أي أعضاء المجلس الأعلى الذين لا يوجد أدنى شك في التـزامهم بمبدأ الصمت.

وحينما تسمي جريدة "برلينر تاج بلات" هذه العملية الثورية الواضحة "حركة إنسانية" فذلك تضليل متعمد للقارئ الألماني الساذج. وإذا كان مفهوم الإنسانية هـو أعمال الخير، فإن القاسم المشترك بين الماسونيين وأعمال الخير على أقصى تقدير هو أن الماسونيين يرون أن تهاوي العروش هنا وهناك هو عمل خير. ونكتفي هنا بهذا القدر مؤقتًا عن الماسونية البرتغالية. أما ما هو الدور الذي لعبته في الحـرب العالمية، فهذا ما سوف يتم تناوله.

الماسونية الثورية في تركيا

مر القرن التاسع عشر على تركيا بشكل تعس جدًا، حيث ناضلت كل دولة بعد الأخرى للحصول على استقلالها. كذلك تم خلع طابور طويل من الحكام بالقوة فهكذا السلطان "سليم الثالث" تم اغتياله عام ١٨٠٨ و"مصطفى الرابع" الذي أمر باغتيال شقيقه "محمود الثاني" (١٨٠٩)، أما "عبد العزيز" فتمت تنحيته وقيل إنه قطع شرايينه (١٨٧٦)، كذلك "مراد الخامس" تم عزله في نفس العام وفقد حريته.

ولم يكن هناك علاقة ظاهرية بين الماسونيين وأعمال العنف تلك، بل العكس فالسلطان المعزول "مراد الخامس" كان أحدهم وتقلد درجة رفيعة من الماسونية، وعلى النقيض كان "عبد الحميد" الذي تملكه قلق بالغ منهم وجند جيشًا كاملاً من الجواسيس لمراقبتهم.

وفي عام ١٩٠٠ بدأ "الجراند أورينت دوفرانس" في الانشغال بالأمور الداخلية في تركيا. ولم يستطع أعضاء "تركيا الفتاة" والذين يتكونون في معظمهم من اليهود واليونانيين والأرمينيين، أن يخطو إلى الأمام بطموحاتهم السياسية، غير أنهم وجدوا العون في الماسونيين الذين كانوا قد قرروا من زمن إنهاء عصر "عبدالحميد". وهنا تسارعت الأمور إلى أعلى. وتوضيح لنا كل شيء تلك العبارات التي جاءت في نشرة "أكاسيا"(*). جيدة الاطلاع: "تشكلت لجنة سرية من "تركيا الفتاة" وأدارت الحركة برمتها من "سالونيكي" وتعتبر سالونيكي هنا مناسبة جدًّا لكونها أكبر مدن أوروبا ذات كثافة يهودية – سبعون ألف يهودي ضمن السكان

(*) أكتوبر ١٩٠٨، العدد ٧٠، صفحة ٢٤٢

البالغين ١١٠٠٠٠- كما أنه كان بها عدة محافل يستطيع الثوريون العمل فيها بدون إزعاج، حيث كانت تلك المنشآت تحت حماية الدبلوماسية الأوروبية، أما السلطان فلم يكن له حول ولا قوة حيالها لدرء عملية عزله، وكان يوجد في سالونيكي حينئذ محفلان يتبعان الشرق الإيطالي الكبير، وهما "ماسيدونيا" ومعلمها ذو الكرسي هو اليهودي الإيطالي "ايمانويل كاراسو" و"لابورايه لوكس" كذلك كان هناك محفل "فريتاس" التابع للشرق الفرنسي الكبير. وكذلك المحفل الأسباني "بيرسيفيرانزا" كذلك المحفل اليوناني "فيليبوس" والذي اقتصر عمله على أهداف وطنية. ولقد أسدى كلا المحفلين المذكورين أولاً خدمات أساسية "لتركيا الفتاة" وقد انضم أعضاء تركيا الفتاة لهذين المحفلين وتقابلوا هناك بغرض تنظيم أنفسهم للتحضير للثورة. وعلى جانب آخر قام عدد كبير من أعضاء المحفلين بدعم اللجنة السرية "من أجل الاتحاد والترقي" المنبثقة من "تركيا الفتاة والتي أدوا فيها عملاً قيمًا من خلال تحرياتهم الدقيقة وخدموا تركيا الفتاة كماكينة غربلة. وبدأت الشكوك تساور الحكومة التركية التي لم يكن هذا النشاط السري والدؤوب ليظل خافيًا عنها. غير أن مخبري الشرطة لم يتمكنوا من الولوج بداخلها، غالبًا بسبب عدم معرفتهم كلمة السر للعبور. ومن باب الاحتياط – توجه المحفلان نحو الشرق الكبير لإيطاليا والذي أمن لهم حماية السفارة الإيطالية(*). وهكذا تكون حزب "تركيا الفتاة" تقريبًا من الماسونيين فقط، والذين تقلد اليهود تحت قيادتهم أكثر المناصب نفوذًا، وهذه الحقائق تم تأكيدها تمامًا من خلال "جورنالى ديتاليا" والتي تسمي الماسونية بالبوتقة الأساسية لحركة "تركيا الفتاة"(**). وكل هذا رغمًا عن أن الماسونية ممنوعة في تركيا. وذلك كما تذكر "أكاسيا" لقرائها من خلال ابتسامة ساخرة!(***).

(*) انظر تقرير الجريدة الفرنسية اليومية "لوتان" بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٠٨، باريس

(**) انظر أيضا، فولنا ميشلنكا، بتاريخ سبتمبر ١٩٠٨

(***) أكاسيا، يناير ١٩٠٧، العدد ٤٩، صفحة ٥٢

وعلاوة على ذلك فقد تحصل الآن العديد من ضباط الفيلق المقدوني على "النور" وتم اختراق الجيش نفسه بمتآمرين حسب خطط محددة. ولقد أدلى أحد العارفين القياديين ببيانات عن ذلك فيما بعد تستحق أن نستخلصها من طي النسيان، ولأنها تمثل لنا على الأقل رغبة قصوى في التعرف بشكل دقيق على طريقة العمل تلك، وهذه الشخصية هي أحد الأخوين المشهورين "باكستون" وهو "نويل باكستون" رئيس لجنة البلقان وأحد العملاء الأجانب المأجورين من إنجلترا والذي نجد يده مغموسة في كل اضطرابات البلقان، ويحكي لنا "نويل باكستون" "كانت لجنة الاتحاد والترقي هي القوة السرية الهائلة التي ظل زعماؤها وأماكن اجتماعاتها غير معروفين.".. " تم التغلغل في الفيلق المقدوني من خلال خمسة فخمسة رجال من رجال التآمر الثورى وواحد فقط من هؤلاء الخمسة.. كان يعرف أسماء الأعضاء الآخرين. وكان زعماء الحركة يقفون في "سالونيكي" متقلدين زى صائدى الصقور ويبيعون علب الثقاب أو الصحافة الباريسية حسبما تسمح الظروف.

وآخرون تركوا أنفسهم يعملون لدى الباشوات كسائقي عربات الخيول وهم أولئك الذين يرغبون في مراقبة اللجنة. وعندما يتطلب الأمر تشكيل إحدى الكتائب كان المتآمرون يندسون هناك. وحينما انتقل "أنور بك" (باشا) أخيرًا إلى "ريسنا" تم إرسال فصيلة لملاحقته، وكان على رأس تلك الفصيلة أعز أصدقائه.." ومن الملفت هنا الشعارات الثورية التي كان يتم إطلاقها، فبالنسبة للأتراك كانت الثورة هي التحرر من اللصوص الأوروبيين، أما في مناسبة أخرى (أي في مواجهة اليهود!) فإن الثورة هي "الحرية الأوروبية" والأشغال الجيدة. وأما بالنسبة للمتدينين فكان الزعم هو أن "محمدًا (ص) لا يحب أن يتم عمل بدون مشورة لكن مشرعينا بدأوا منذ وقت قريب في الحكم بدون انعقاد مجلس الشورى، وها أنتم ترون العواقب، فلا تتقاضون مليمًا ولا تستطيعون دخول الوطن!" وهكذا واءمت اللجنة نفسها على كل جانب تبعًا للظروف، شيء ملفت! فلا يحتوى هذا التقرير على عبارة واحدة

عن الماسونيين واليهود! غير أن اللغز ينحل حينما ندرك أن "نويل باكستون" نفسه هو ماسوني وأن المقالة التي تم نقل هذه السطور منها كانت موجودة في "تويبى فراية برسة"(*)، لماذا أذن التصايح في جميع أنحاء العالم أن رجالنا هم الذين صنعوا الثورة الكبرى في تركيا والتي كلفت السلطان عرشه؟ لا، إن هذا لا يمكن للمرء أن يتطلبه حقيقة من "تويبى فراية برسة" غير أنه علينا أن نتذكر أن صحيفة "أكاسيا" الماسونية قد تنبأت مقدمًا في سبتمبر ١٩٠٧ بسقوط السلطان، بينما تظاهرت فجأة بعدم المعرفة بعد وقوع هذا الحدث فعلاً وفقدت ذاكرتها في الوقت المناسب تبعًا للقواعد المضمونة للفن الملكي، وذلك حتى ينمحي هذا الانطباع المؤلم بأسرع ما يمكن. وعلينا أن نتذكر أن معلم الكرسي اليهودي "إمانويل كاراسو" من محفل "ماسيدونيا" كان مشاركًا في المؤتمر الذي تم فيه إعلان خلع السلطان المهزوم كذلك علينا ان نستبقي في الذاكرة أنه بعد اندماج "البوسنة" مع الهرسك (٣ أكتوبر ١٩٠٨) انطلقت من سالونيكي" حملة "البمبوطية" اليهود وحاملي الأمتعة لمقاطعة دخول البضائع النمساوية، بينما فرضت لجان "تركيا الفتاة" تنفيذ تلك المقاطعة في كل أنحاء المملكة.

وهكذا انتصرت الماسونية الثورية أيضًا في المملكة العثمانية واحتفت بهذا النصر. وكمكافأة له على خدماته تم تعيين أحد أقوى رجالها وهو الأخ: أحمد رضا رئيسا للبرلمان الذي اشتمل بحكم الطبيعة على يهود عديدين ويونانيين وأرمن تم إدخالهم فيه بالانتخاب.

غير أن عمليات الإعدام الجماعي لأنصار النظام السابق التي تولاها إخوان "تركيا الفتاة" لم تتفق مع المباديء الماسونية للحرية والمساواة والإخاء، بل إن الوحشية التي تم بها تنفيذ ذلك- علاوة على إجرائها في أماكن عامة – تناقضت بشكل صارخ مع الأفكار الإنسانية للماسونية. فماذا يعني ذلك وحده؟ إن النجاح

(*) "تويبى فراية برسة" فيينا، ٧ يناير ١٩٠٩، العدد ١٥٩٤١

النهائي للثورة التركية المجيدة كان من القوة بحيث إنه تم غض البصر عن هذه الصغائر!

لقد انتصرت الماسونية وعرفت كيف تستفيد من نصرها، ففي وقت لاحق اجتمع ممثلو ٤٥ محفلاً تركيًا يوم الأول من أبريل عام ١٩٠٩ في "القسطنطينية" وأسسوا "الجراند أورينت أوتومان" وتم انتخاب "محمد عرفى باشا" معلماً أكبر. وأما عن بقية حاملي الشرف فيجدر بنا هنا أن نذكر بصفة خاصة أولئك "الأتراك" "دافيد كوهين"، "رافاييلو ريتشي"، " نيكولاس فورتي"، "مارشيون"، "جاك سوهامي"، "جورج سورسوك"(*)، أما الأخ: محمد جاويد بك، المكرم جدًا فقد تم تعيينه معلما ذا كرسي لمحفل في القسطينطينية (القانون الأساس رقم ٣٠٩) وكان فوق ذلك وزيرًا للمالية. كذلك كان هنالك تقدير كامل من ماسوني "تركيا الفتاة" للدرجات العليا، حيث إنه قد تكون – كما تخبرنا "الهيرولد"(**) بعد ذلك مباشرة مجلس أعلى وهو "السوبريم كونسيل" للشعائر الاسكتلندية القديمة لتركيا، وقد تبع ذلك فورًا الاعتراف به من جانب الشرق الكبير لفرنسا وإيطاليا، أما اتحاد المحافل الكبيرة الألماني فما يزال حتى يومنا هذا يعتبره غير ناضج وغير متكافئ وحجب الاعتراف المأمول عن كل من (السوبريرم كونسيل) والشرق العثمانى الكبير، حتى إنه حتى يومنا هذا لم يرسل ولا محفل ألماني كبير وكيلاً لتركيا!

(*) انظر التقرير (Bulletin) رقم ٢٠ للمكتب الدولي للعلاقات الماسونية، يوليو – سبتمبر ١٩٠٩، صفحة ١٩٣

(**) هيرولد، ١٩١٠، العدد ١٤ بتاريخ ٣ أبريل

الماسونية الثورية في صربيا

في الوقت الذي لم يستطع فيه الشرق التركي الكبير الحصول على اعتراف المحافل الكبيرة الألمانية رغم ماضيه السياسي الضخم، فقد حصل المجلس الأعلى للماسونيين الصرب"، أو "سوبريريم كونسيل لصربيا" في بلجراد، الذي تأسس يوم ٢٣ مايو عام ١٩١٢ على الاعتراف المنشود في وقت قصير بشكل مفاجيء، غير أن الطلب كان قد تم تقديمه سابقًا عام ١٩١٣، بواسطة المحافل الكبيرة لهامبورج وسكسونيا لكن تم تأجيله لمدة عام ثم تم تقديمه ثانية في عيد العنصرة عام ١٩١٤ وتم قبوله فعلا هذه المرة من مؤتمر المحافل الكبرى (التاسع والثلاثين) في فرانكفورت بتاريخ ٣١ مايو عام ١٩١٤، وبعد أربعة أسابيع بالضبط، أي يوم ٢٨ يونيو عام ١٩١٤– تم اغتيال ولي عهد النمسا الارشي دوق "فرانتس فرديناند" في "سراييفو" بواسطة ماسونيين صرب وذلك بدعم الجمعية التآمرية" نارودنا أدوبرانا" ذات السطوة والنفوذ ولقد كان الميجور "يانكوفيتشي" الذي زود رامي القنابل بالأسلحة وعلمهم كيفية استعمالها هو أيضًا ماسونيًا مثل "سيجا نوفتشي" الذي أعطى بنفسه الطبنجات والقنابل للقتلة المعينين، وكلاهما ينتمي لقادة "نارودنا أودبرافا"، أما من القتلة أنفسهم فقد كان "سابريندفتش" ماسونيًا حسب اعترافاته الشخصية، وأما النقود التي تم رصدها لتنفيذ الاغتيال فقد تم تدبيرها بواسطة الماسوني دكتور "كازيميروفتش" والذي قام برحلة لهذا الغرض في أبريل ١٩١٤ إلى فرنسا وإنجلترا. وتلك كلها حقائق مثبتة بالوثائق. وقد تم التأكيد في محاكمات سراييفو بواسطة عدة شهود على أن قرار الاغتيال قد تم اتخاذه عام ١٩١٢ في "جراند أورينت دوفرانس" غير أنه تم تأجيل التنفيذ لأنه لم يمكن العثور على منفذين للجريمة بعد. ولكي يمكن تكوين صورة سليمة عن المضمون الحقيقي

فسوف نسوق هنا بضعة مواقع من مجريات المحاكمة الرئيسية والتي تتعلق بالماسونية بشكل حرفي من واقع المضبطة المختزلة.

وذلك من خلال الوصف الوثائقى للبروفيسور "فاروس"(*). ويبدو ذلك من الأهمية بمكان لأنه تم التعتيم على كل المحاكمة من خلال مجمل الصحافة اليومية الليبرالية (الماسونية) أو تم نشرها بطريقة مبتسرة بحيث لا يستطيع أي عاقل ان يستشف شيئًا عن القوى المحركة.

وكان وكيل المحفل في شأن حادثة الاغتيال هو المذكور آنفًا الدكتور (رادوسلاف كازيميروفتش) وهو صربي، ويقول عنه منفذ إلقاء القنبلة.

"سابرينوفتش": "إنه (كازيميروفتش) ماسوني، بل إنه أحد رؤسائهم وقد سافر بعد ذلك مباشرة (بعدما قرروا تنفيذ الاغتيال) إلى الخارج وجاب كل البلاد، فكان في بودابست وفي روسيا وفي فرنسا، وكلما سألت "سيجانوفتش" عن الموقف بخصوص شأننا كان يجيب: "حينما يأتي الشخص المعنى (كازيميروفتش)،.." وكان "سيجانوفتشي" أخبرني فيما قبل أن الماسونيين قرروا منذ عام (١٩١٢) إعدام ولي العهد، لكنه لم يتوافر لهم أفراد للتنفيذ. وفيما بعد قال لي وهو يعطيني (البراوننج) والطلقات: الشخص المعنى عاد بالأمس مساء من بودابست، ولقد علمت أن الشخص المعنى قد قام بهذه الرحلة لارتباطها بموضوعنا وإنه اجتمع في الخارج بدوائر معينة"

الرئيس: "أليست تلك أساطير التي تحكيها هنا"(**) "سابرينوفيتش" "إنها الحقيقة البحتة وهي أصدق مائة مرة من وثائقك عن "تارونا أودبرانا"(***).

(*) محاكمة قتلة سرايبفو، موثقة بواسطة البرفيسور "فاروس" مع مقدمة من المستشار القانوني السرء البروفيسور دكتور يوسف كولر، برلين ١٩١٨، دار نشر ديكر

(**) المخاطبة بصيغة "الفرد" شيء معتاد في البوسنة

(***) انظر "محاكمة قتلة سرايبفو" صفحة ١٦٢

(على كل حال فمن الملفت حقا انه لماذا لم يتم ترحيل هؤلاء القتلة من صربيا، ولماذا لم يتم إعطاؤهم الأسلحة فيما قبل حتى عاد "كازيميرفيتش" من رحلته الخارجية إلى مركز المحفل. وبالمناسبة فقد ألقت الوثائق التي تم العثور عليها إبان غزو صربيا ضوءًا واضحًا على هذا الأمر).

وفي موضع آخر:

الدفاع الدكتور "ف. بريموستيش" لسابرينوفيتش: هل قرأت كتب "روسيتش"؟

"سابرينوفيتش": قرأت تناوله للماسونية

"بريموستش": هل تم توزيع هذه الكتب في "بلجراد"؟

"سابرينوفيتش": لقد قمت بعمل تصفيف الحروف لهم.

"بريموستش": قل لي هل تؤمن بالرب أو بأي شيء؟

"سابرينوفيتش" : لا

"بريموستش": هل أنت ماسوني.

"سابرينوفيتش": (يرتبك ويصمت، يستغرق الصمت بعض الوقت، يلتفت إلى "بريموسيتش" وينظر إليه) عن ماذا تسألني؟ لا يمكنني الإجابة على ذلك.

"بريموستش": هل بوجا تانكوفتش ماسوني؟.

"سابرينوفيتش" : (يصمت مرتبكًا مرة أخرى) لماذا تسألني عن ذلك؟ (بعد صمت قصيرة) نعم، وكذلك " سيجانوفتش"...

الرئيس: من هذا يتضح أنك أيضًا ماسوني. الماسوني هو الوحيد الذي يستطيع أن يقول إن ماسونيًّا هو ماسوني.

"سابرينوفيتش" : أرجوكم لا تسألوني عن هذا الأمر، فسوف لا أجيب عن ذلك.

الرئيس: من لا يجيب عن سؤال فهو يؤكده(*).

وهاك موضع ثالث ننشره كذلك:

الرئيس: اذكر لي أيضًا شيئًا عن الدوافع. هل كان معلومًا لديك بطريقة أو بأخرى، قبل أن تعتزم القيام بالاغتيال أن كلاً من "يانكوفتش" "وسيجانوفتش" هما ماسونيان؟ هل كان هنالك تأثير على قرارك من حيث كونك أنت وهما ماسونيين؟

"سابرينوفتش": نعم...

الرئيس: اشرح لي ذلك: هل تلقيت منهما تكليفًا بتنفيذ الاغتيال؟

"سابرينوفتش": لم أتلق من أحد تكليفًا بتنفيذ الاغتيال. وكل علاقة الماسونية بالاغتيال كانت في دعم نيتي على ذلك، والقتل مسموح في الماسونية.

ولقد قال لي سيجانوفتش ان الماسونيين كانوا قد حكموا على "فرانتس فرديناند" بالإعدام منذ عام مضى.

الرئيس: أليس في ذلك شيء من الخيال؟ أين تم الحكم عليه؟

برموستش: سوف آتى بالأدلة على ذلك.

الرئيس: هل قال لك ذلك فورًا أو بعدما قالوا له إن عندهم شهية للقيام بالاغتيال.

"سابرينوفتش": تحدثنا أيضًا فيما مضى عن الماسونية وهو لم يقل لنا شيئًا من نفسه عن هذا الحكم بالإعدام إلى أن حسمنا أمرنا نهائيًا على القيام بالاغتيال(**).

(*) المذكور آنفًا، صفحة ١١ و١٢

(**) المذكور آنفًا، صفحة ١٤

والآن موضع آخر من استجواب القائل "برنسيب"

الرئيس: هل تحدثت مع "سيجانوفتش" عن الماسونية؟

"برنسيب": لماذا تسألني عن ذلك؟

الرئيس: أسألك لأنني أريد أن أعرف ذلك، هل تحدثت بهذا الشأن أم لا؟

"برنسيب": نعم، لقد قال لي "سيجانوفتش" إنه ماسوني

الرئيس: كيف قال لك ذلك، بأنه ماسوني؟

"برنسيب": حينما لجأت له بخصوص وسائل تنفيذ الاغتيال قال لي إنه سوف يتحدث مع "شخص" معين وسوف يحصل منه على وسائل تنفيذ الاغتيال، وحكى لي في مناسبة أخرى أن ولي عهد النمسا قد تم الحكم عليه بالإعدام من الماسونيين في أحد المحافل.

الرئيس: وأنت، هل أنت أيضًا ماسوني؟

"برنسيب": لماذا هذا السؤال؟ لن أجيب عليه (بعد برهة صغيرة): لا

الرئيس: هل "سابرينوفيتش" ماسوني؟.

"برنسيب": لا أعرف، ربما يكون كذلك. لقد كان يقول لي في بعض الأحيان إنه سوف ينضم لأحد المحافل...(*)

وهكذا يتضح جليًا من خلال السرد المذكور أن خطة الاغتيال انطلقت من الماسونيين، غير انه قد مضى عام وأكثر لأنه لم يتوافر القتلة.

وهنا تم تقريب فكرة القتل لكل من "سابرينوفتش" و"برنسيب" و"جرابتز" و"سوبربلوفتش" بأسلوب غامض وتم استئجارهم ونفذوا الحدث الذي تم التحضير له

(*) المذكور آنفًا، صفحة ٣٣

بواسطة أياد طويلة. وليس في إمكاننا الدخول في تفصيلات عملية الاستئجار على الرغم من أهميتها، غير أنه جدير بالذكر تبعًا للمضبطة أن سيجانوفتش والذي تسلم القتلة منه الطبنجات (البراوننج) والذخيرة والنقود والقنابل كان موظفًا بسيطًا في السكك الحديدية في بلجراد وإنه ينتمي إلى البوسنة مثل الآخرين وانه هو نفسه قد تلقى أموالاً من الماسوني الميجور "يانكوفتش" المقتدر ماليًا والذي قام بنفسه بشراء الأسلحة ومن المثير للانتباه أنه صدر من باريس تحديدًا تنبؤ سافر "بحدث تراجيدي قادم في البيت الإمبراطوري النمساوي"، تمامًا مثلما حدث تنبؤ عام ١٩١٠ بعزل سلالة "هوهنتسولر" في عام ١٩١٣، وهو ما حدث بالفعل بعد خمسة أعوام من هذا التاريخ، ولكننا ندرك على الأقل من خلال ذلك، نقطة الانطلاق لتلك المساعي.

من الذي تنبأ بذلك؟ أنها سيدة معروفة جيدًا في باريس، السيدة "سافينى" أو كما تسمي نفسها للرأي العام "مدام دو تيبيس" وكانت "مدام دو تيبس" عرافة عصرية جدًا يتردد على صالوناتها سياسيون ودبلوماسيون وشخصيات مرموقة والمتواكلون بشدة على حظوظهم من كل صنف، ومن خلال أحاديثهم وتلميحاتهم كانت تستقي معظم تنبؤاتها التي تنشرها في كل العالم في شهر ديسمبر من كل عام خلال "تقويم" خاص بها.

والنبوءة التالية أطلقتها عن عام ١٩١٣: "إن الشخص المقرر أن يحكم في (النمسا) (فرانتس فرديناند) سوف لن يحكم، أما من سوف يحكم فهو شاب من غير المقرر حاليًا أن يحكم (كارل الأول) ". وحينما لم تتحقق هذه النبوءة لم يسبب ذلك إحباطًا لمدام دو تيبس بل على العكس فقد كتبت في تقويمها في ديسمبر ١٩١٣: "على الرغم من أن الحدث المأساوى في البيت الإمبراطوري النمساوى والذي تنبأت به لم يحدث، فإنه سوف يحدث وبالتأكيد وفي النصف الأول من العام القادم" وهذا الكلام لا يكتبه إلا شخص يعلم أكثر مما يريد قوله، أي شخص يحوز على مصادر موثوق بها جدًّا ويعلم أنه بالتأكيد لن يخذل نفسه بسبب نبوءاته.

والآن، هل كانت تلك النبوءات الغربية معروفة عندنا أيضًا؟ بالتأكيد! لقد تراوحت عامًا وراء عام من خلال معظم الصحافة اليومية بلا أي اعتراض، فكان يتم تناولها بفضول من مئات الآلات من القراء وهضمها لكي يتم نسيانها في اليوم التالي.

والآن على المرء ان يتساءل بشكل تلقائي هل كانت تلك الحقائق معلومة للمؤتمر الألماني للمحافل الكبيرة هل كان تم تبليغه بأهداف الحركة الصربية الكبرى؟ هل كان الزعماء معروفين له بصفة شخصية وهل كان يعلم شيئًا عن العلاقة اللصيقة لـ "نارودنا أودبرانا" بالماسونية الصربية؟ أو هل لم يعلم المعلمون الألمان الأكابر على وجه الإطلاق أن الماسونيين في بلاد الجنوب والغرب كانوا يتسترون دائمًا بالروابط الإقليمية المساعدة لتغطيته ضرباتهم؟ في إيطاليا: "الكاربوناري" وفي إسبانيا: جمعية المفكرين الأحرار والفوضويين وفي البرتغال: الاتحاد السري "فورميجا بيانكا" (النملة البيضاء) والفكر الحر وفي تركيا حزب "تركيا الفتاة" هل كل ذلك كان معروفًا إلا لرؤساء الماسونية الألمان؟ وهذا على الرغم من إعادتهم للعلاقات مع "جراند أورينت دوفرانس" منذ عام ١٩٠٩؟ وبالمناسبة فهناك سؤال اعتراضي، من كان على رأس الماسونية الألمانية في ذلك الوقت؟ من كان المدير القائم بالأعمال للاتحاد الالماني للمحافل الكبيرة، من كان الرئيس في المؤتمر المهم للمحافل الكبرى، حيث حاز المجلس الماسوني الأعلى في صربيا على الاعتراف والحماية ومعونة الإخوان الألمان؟ يا أيها الماسونيين الألمان البلهاء، أنكم لن تعرفوا اسمه أبدًا مهما رغبتم في ذلك لقد تم محو هذا الاسم من ذاكرة كل الماسونيين، لقد تم إخفاؤه تحت البساط الغامض للمحفل، حيث إنه من الممكن أن يتسبب في تخمينات تضيف خسارة غير محددة للماسونية. لقد كان المدير القائم بالأعمال للاتحاد الألماني للمحافل الكبرى في الزمن المشهود هو "كون"؟ حقًا! إن المعلم الأكبر الأكرم للرابطة الماسونية الانتقائية في فرانكفورت كان حقًا هو الأخ: "كون" الذي كان لفترة قصيرة جدًا على رأس كل الماسونية في

ألمانيا، حيث إنه دخل بعد ذلك بفترة في "الشرق الأبدى" فهل كان التقدم في العمر هو السبب أم الهجوم من داخل المعسكر أم هي وخزات الضمير التي عجلت بالنهاية، فكل هذا لا يمكن تأكيده. لكن الحقيقة هي مع ذلك. أنه يتم إخفاء هذا الاسم بالقصد في دوائر الماسونيين ولا تشمله قائمة الموتى.

كان يمكن لولي العهد القتيل "فرانتس فرديناند" بناءً على تكوينه العام أن يكون حاكمًا قويًا – أو "طاغية" إذ ما شئنا استخدام المسميات الماسونية. وكانت القوة والعزم والحزم الذي لا يلين هي من أروع خصائص هذا الرجل الذي كان له بلا شك أعداء لا حصر لهم، وبالذات بسبب نزعته الدينية التي لم تكن من باب النفاق ولكنها ارتكزت على اقتناع داخلي. ويضاف إلى ذلك صداقة حقيقية كانت تربطه بالإمبراطور "فيلهلم" والذي كان يجله بصدق كذلك زوجته "صوفي" والتي هي في الأصل "دوقة شوتيف" كانت ضمن المعجبين المخلصين للإمبراطور الألماني، وذلك على الرغم من أصولها التشيكية وعقيدتها الكاثوليكية المتزمتة، وكان قد ساعدها في الارتباط بزوجها وأوجد لها درجة "دوقة".

وهكذا تحتم على "فرانتس فرديناند" أن يسقط صريعًا، وهو من كانت عنده الإرادة لخلق دولة نمساوية قوية وإذا كان الماسونيون أقاموا حساباتهم على أمراء ضعفاء – انظر البرتغال! – فإن حاكمًا قويًا هو بالنسبة لهم عن حق رمز لكل ما هو مقيت. ويتفق في ذلك قادة الماسونيين في كل العالم حتى وإن كانت هناك هوة سحيقة ما بين مجرد الرغبة والتصميم ومن التصميم إلى الفعل. ولقد كان "الجراند أورينت دوفرانس" – وهو الذي انكشف في محاكمات سراييفو كمحرك روحي لحادثة الاغتيال – يمتلك تلك الإرادة للفعل. وهو ما يتوافق مع رؤاه. ومن كل من كان المطلوب الإطاحة بهم كان عرش "هابسبورج" هو التالي محل النظر. غير أنه لم يجرؤ أحد على الاقتراب من الإمبراطور الكهل "فرانتس يوسف" بسبب مهابته التي يفرضها سنه. وهذا العمر المتقدم علاوة على عزلته جنبتاه عملية الاغتيال، لكن كيف يفكر المرء في الدوائر الماسونية بخصوص اغتيالات كهذه للرؤوس

المتوجه عموما وضد الهابسبوجيين على وجه الخصوص، فهذا ما نعرفه تمامًا من "ريفيستا ماسونريا ايتاليانا" نشرة المحفل الرسمية "للشرق الإيطالي الكبير" فقد احتفت هذه النشرة في عام ١٩١٤ برامي القنبلة "فيلهلم أوبردانك" كبطل وشهيد لأنه قام قبل ٣٢ عاما (١٨٨٢)، بالتضحية بحياته القصيرة من أجل الوطن"(*)

وكان الأمر يتعلق آنذاك بنفس الإمبراطور "فرانتس يوسف"!

إذن مما لا يقبل الشك أن قادة الماسونيين في دول معينة كانت عندهم الرغبة والإرادة على إزاحة ولي العهد من الدنيا. لكن هنالك تساؤل عما إذا كان رؤساء الماسونية الألمان يعلمون بذلك أم لا. وبسبب نقص الوثائق التحريرية فإنه يمكن هنا أن يقودنا التفكير الاستنتاجي إلى حكم صحيح في هذا الشأن، فمن الثابت حاليًا أن الماسونيين البلجيك، أو على الأقل زعماؤهم الأكابر، كانوا يعلمون تمامًا بعملية عزل الملك "مانويل" ملك البرتغال، وكما جاء في التقرير الرسمي للشرق الكبير البلجيكي عن الثورة في البرتغال(**): "كنا عالمين.. كان عندنا سر هذا الحدث المجيد" ومن الثابت كذلك أنه قبل اغتيال كل من ملك البرتغال "كارلوس" وأكبر أبنائه ولي العهد (فبراير ١٩٠٨) إن القومندان الأكبر والمعلم الأكبر للشرق البرتغالي الكبير دكتور "سيباستي أو دي ماجاليس ليما" توقف في باريس وألقى محاضرة في محفل "كوزموس" بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٠٧ وذلك عن "تأسيس الجمهورية البرتغالية القادم". ولقد جاءت الفقرة التي تخصه في جدول الأعمال بليغة المعاني وجديرة بالملاحظة بحيث يتحتم علينا هنا أن نذكرها حرفيًّا: "الاستقبال الحافل للأخ صاحب السمو العالي "ماجاليس ليما"، الدرجة ٣٣، المعلم الأكبر للشرق البرتغالي الكبير بواسطة الأخ المنير الأكبر "موزيس" عضو مجلس الاتحادي للمحفل الكبير بفرنسا...

(*) Rivista Massonica Italiana، ١٩١٤، صفحة ٤٣٥ وما بعدها

(**) لا فرانس ماسونيرى ديماسكيه، ٢٥ ديسمبر ١٩٠٧

محاضرة عن موضوع: البرتغال، زوال الملكية، حتمية النظام الجمهوري، تأسيس الجمهورية"(*) إذن، قبل نحو عشرة أسابيع من حادثة اغتيال الملك "كارلوس" يتم التنبؤ والتصريح بزوال الملكية من "صاحب السمو العالي الأخ "ماجاليس ليما ٣٣"..

وتبعًا لذلك، هل كان عدد الماسونيين المعروف، الفرنسي "آبى تورمنتاه" على حق حين حذر العائلة الملكية بعد ذلك مباشرة وأبدى المخاوف من أنه سوف يتم في وقت قصير انتزاع العرش من الملك "كارلوس" أو نفيه أو اغتياله؟

وهل كان أيضًا "أبى تورمنتاه" على حق بأن قام بعد وقوع هذا الحدث باتهام الإخوان بشكل صريح باغتيال الملك؟ على أنه لا مجال هناك لأدنى شك في أن الإخوان قاموا بالتصريح في الوقت المناسب عن الأحداث القادمة، أي أنه قد تم تبادل "الأسرار" وأنه تم تأمين وضمان المعاونة والدعم بشكل متبادل(**).

والآن، إذا كان من الثابت أن "الشرق الكبير لفرنسا" أو على الأقل "المحفل الكبير لفرنسا" (من المحتمل الخلط بينهما في أقوال الشهود) بمعنى أن واحدًا من هذين الكيانين الماسونيين قد قرر اغتيال "فرانتس فرديناند" فإنه من المؤكد أن محافل كبيرة أخرى أو على الأقل أشخاصًا محددين جدًا كانوا على علم بهذه الإرادة ومن الواضح جدًا في العلاقات الدولية حيث توجد عناصر محددة، إن قادة ماسونيين محددين في "الرايخ"-الألماني كانوا على دراية بالأحداث القادمة والتي هي تبعًا لتقويم "مدام دي تيبيس" قادمة لا محالة وذلك في النصف الأول لعام ١٩١٤" وإذا كان "المنير الأكبر" الأخ .·. "موزيس قد تلقى معلومة في الوقت المناسب عن الحدث البرتغالي، فلماذا يفترض ان "صاحب السمو العالي الأخ"

(*) بوليتان دي جراند أورينت دو بلجيك، ٥٩١٠ (١٩٠٩/١٩١٠ صفحة ٩٢)

(**) هذه الجملة الأخيرة سيتم تأكيدها من خلال أمثلة لاحقة

كون" لم يحط علما بالأحـداث المأسـاوية القادمـة فـي البيـت الإمبراطـوري النمساوي"؟؟

وأنه من المستغرب جدًا أن يوجد يهودي على قمة الماسونية الألمانيـة فـي هذا الوقت الحرج بالذات. ومـن الملفـت جـدًا أنـه يـتم تحـت رئاسـة هـذا الأخ ⸫ اليهودي والمعلم الأكبر "كون" صياغة قرار يترتب عليه ما حدث فعلاً وما يتساوى مع تأمين ظهر للقتلة الصرب!

وهنالك ضرورة ملحة لاستجلاء هذا الأمر وهو شـأن يخـص الماسـونية الألمانية لتدحض هذا الاتهام الثقيل الذي يتجه صوب رئيس مجلس نوابهم الـسابق "كون" وأن تضع براءته – إن وجدت – خارج نطاق الشك.

الماسونية الثورية في النمسا

إذا كانت الماسونية في بلاد أخرى تبارك المساعي الثورية فهل يجب أن يكون ذلك هو الحال أيضًا في النمسا؟ بالطبع لا! ولكن دعونا نترك الحقائق التاريخية تتكلم بدلاً من استهلاك كلمات كثيرة. لقد دخلت الماسونية النمسا بواسطة الدوق "يوهان شبورك" – وهو رجل شديد الثراء وكريم وعاشق للفخامة – والذي قام يوم ٢٤ يونيو عام ١٧٢٦ يوم ذكرى "يوحنا المعمدان" بافتتاح محفل "تسودن دراي شتيرن" على الناحية الصغرى لبراج، حيث تم انتخابه معلمًا أكبر له وكان ضمن الأعضاء الأوائل ممثلين رائعين للنبلاء البوهيميين أمثال الدوق "روبرت فربنا" والدوق "فنتسل كايزر شتاين" والدوق "يوسف كينسكي" والدوق "جويدوبالد مارتينتز" وكذلك "النبيل" "دافيد" وهو سكرتير سابق للدوق "بوبنا".

ولم يعلم أحد أبدًا من أين نشأت ثروات الدوق "شبورك" وقد أرجع غرماؤه ذلك لعلاقات سابقة غير سوية مع أعداء بيت "هابسبورج". والحقيقة هي أن الدوق "شبورك" أقام باستمرار علاقات سرية مع الملك "ألبرت" ملك بافاريا وكان يرى فيه الأحق بولاية العهد للملك "كارل السادس" وعلى الرغم من أن "شبورك" تنازل عام ١٧٣٥ عن شرف المعلم الأكبر بسبب كبر السن، فإن المحفل ظل يدار بروحه. ولقد كان النبيل "دافيد" هو روح حركة الخيانة العظمى التي انطلقت من محفل "تسودن دراى شتيرن" واحتوت جزءًا كبيرًا من النبلاء البوهيميين، وكان أيضًا على وفاق سري مع المارشال الفرنسي "بيليسل" والأمير البافاري "كارل ألبرت" الذي نودي به من الثوار ملكًا لبوهيميا بتاريخ ١٩ ديسمبر عام ١٧٤٠.

لكن الصفحة انقلبت فتم الاستيلاء على براج المتمردة بواسطة القوات الإمبراطورية وتم اعتقال "دافيد" والحكم عليه بالإعدام. ونص الحكم على بتر اليد

اليمني ثم قطع الرقبة وتقطيعه إلى أربعة أجزاء وتعليق الأعضاء على أربع مشانق على الطرق المؤدية للمدنية. غير أن الماسونيين اجتهدوا من أجل رجلهم "دافيد" ونجحوا سريعًا في ترضيته بألا يتم إعدامه بناء على أن الإمبراطورة الصغيرة (ماريا تيريزيا) لا ترغب في تنفيذ أحكام دموية وهذا ما تم فعلاً.

وتم العفو عنه في موقع التنفيذ واستبدل حكم الإعدام بالسجن مدى الحياة(*). ولم يعلم أحد في فيينا عن حراك الخيانة العظمى للماسونيين في براج، حيث لم يعلم أحد شيئًا طالما أن أفعالهم لا تظهر للعيان. (تمامًا مثل اليوم!) وربما لم يرغب أحد في أن يرى شيئًا حيث أن زوج "ماريا تيريزيا"، الأرشيدوق "فرانتس شتيفان للوترنجين" كان هو نفسه ماسونيًا – فقد تسلم النور في لاهاي "تحت سماء مكشوفة، بتاريخ ٢٤ يونيو ١٧٣١ وانضم لمحفل "تسودن دراي كانون" في فيينا الذي رأسه الدوق "هوديتز" عاشق الظاهر والمبذر.

ولأسباب مفهومة لم تكن الإمبراطورة "ماريا تيريزيا" على ود كبير مع الماسونيين، وقيل إن الغيرة قد دفعتها يومًا إلى أن تشترك في اجتماع للمحفل متنكرة في زي الرجال وبرفقة إحدي سيدات القصر. غير أن تلك رواية تفتقر إلى المصداقية. وعلى كل الأحوال فلقد اضمحل محفل "تسودن دراى كانون" سريعًا (١٧٤٩). ومضت حقبة من الزمن ثم حدث منع مفاجيء لعمليات تأسيس جديدة وكذلك إعادة تأسيس ومن باب الإنصاف فإنه يلزم التنويه عن عمل طيب للماسونيين وهو ما امتدحته كذلك "ماريا تيريزيا" بشدة، ألا وهو تأسيس ملجأ "القديس يوحنا المعمدان" في براج. ومع ذلك فإن الإمبراطورة العظيمة لم تستطع التغلب على ارتياب عميق تجاه الماسونيين. ومن المعروف كلمتها التي وجهتها لمستشار الدولة الأمير "كاونيتس" في أواخر أيام حكمها والتي تقول: "استمع له يا عزيزي "كاونيتس" إنه يريد أن يعرفنا بشيء هو نفسه لا يؤمن به، سوف يستجيب

(*) من محاضرة "فراى هرفون هلفيرتز" بتاريخ ٣٠ مارس عام ١٨٩٧ في فيينا

"يوسف" أيضًا لكلماتنا ويندم بشدة على أنه تدخل عميقًا مع هؤلاء القوم الخطيرين. انتبهوا، حينما يتيقنون أنه بعد صهر الذهب والنبش عن الكنوز والاستحلاف بالأرواح ولا يظهر شيء سوى العار والسخرية حينئذ سوف يتعلمون كيف يتوحدون لكي لا يكونوا عبئًا على الحياة فيسقطونكم في أعمال الغش ويرغبون في شيء من الحكم. نحن نقول لكم إنهم سوف يقلبون لكم البيت ويجعلون الحياة مرة لكم. سوف لا نعاصر ذلك ولهذا فنحن مسرورون. ولكن فلتنتبهوا أنتم كيف سوف تستقيم لكم الأمور مع إخوانكم الماسونيين!(*)

لقد كانت الإمبراطورة العظيمة بصيرة دون أن تتلقى النور، فما ارتأته عام ١٧٦٨ ببصيرة ثاقبة تحقق بعد مرور ١٥٠ عاما.

أما الإمبراطور "يوسف الثاني" فلم يكن ماسونيًا بخلاف وجهات النظر الدارجة. غير أنه كان موضع ثقة وتوافق معهم بطريقة أو بأخرى. شيء واحد طلبه ألا وهو أن يقوموا بالتخلي عن كل اتصالاتهم بالخارج. أي عن ذلك الأمر الذي أعان على إكساب الأهمية للماسونية، والتي هي تتمتع بها فعلاً. ومن الطبيعي أنهم قاموا بتنفيذ هذا الأمر (١٧٨٣) ظاهريًا فقط – ولقد كان ميل "يوسف الثاني" للماسونية – التي انضم لها والده – كبيرًا حتى أنه شرع في أخذ دروس خصوصية في علوم "الكبالا"(**) (اليهودية) وشيئًا فشيئًا أصبح محاطًا ومحاصرًا بالماسونيين دون أن يدري بذلك. ولقد توسعت دائرة الماسونية وترسخ تنظيمها لدرجة أنها لم تشتمل على مجرد النبلاء والعسكريين فحسب، بل استوعبت أيضًا على موظفين عموميين وأشخاص عاديين ومرؤوسيهم. ولقد كانت كعهدها على علاقة وثيقة جدًا بالخارج وتزخر بالأسرار ويلتزم أعضاؤها بالصمت المطبق تبعًا للقسم الصارم. وباختصار فهي عبارة عن جمعية متآمرين حصلت لنفسها على ترخيص من خلال

(*) لاتوميا العدد ٢٥، صفحة ١٥، ١٦

(**) لم يكن دورهم في الماسونية في ذلك الوقت صغيراً

أغراض ظاهرية مثل التعليم وأعمال الخير وما شابه. وتسعى الآن لتحويل كل ذلك إلى مفاهيمها. "وهنا أدرك (الإمبراطور) – لكي يتحدث مع الأخ: كلوس- أنه قد حدث تضخم هائل في رابطة الماسونية" وأنه تم من خلال أمر كتابي إمبراطوري بتاريخ الأول من ديسمبر عام ١٧٨٥ تحديد عدد المحافل.."(*)

وعلاوة على ذلك ولأنه استخدم المصطلح المتهور "شعوزات" بخصوص الماسونية وذلك في كتاب تحريري له (ديسمبر ١٧٨٥) فقد اكتسب سريعًا كراهية كل المحفل وتحتم عليه أن يدرك أنه يتم العمل ضده في كل مكان. أما ماذا كان يعني "اكتساب كراهية كل المحفل" والذي بلغ عدد أعضائه في أوروبا نحو مائة ألف عضو، فإن ذلك ما سوف يدركه "يوسف الثاني" فورًا فحينما يعمل ضده مائة ألف إنسان "من أرفع الدرجات والموجودين في أهم مناصب الدولة"، فحينئذ يصبح الكلام عن تنفيذ مخططاته الكبيرة بلا طائل. ويذكر البروفسور "هوفمان" الذي كان ماسونيًا بعض الأحداث من السنوات الأخيرة في عمر "يوسف الثاني" والتي يحملها على عاتق الماسونيين. "لقد كانت حرب الأتراك عام ١٧٨٩/٩٠ من صنيعة التنظيم السري والتي أشعلها (الماسوني) "هرتزبرج" وصديقه الحميم "بيت" وكان الهدف من هذه الحرب أن يتم إنهاك وتخريب كل من خزانة وجيش البلاط النمساوى، أما القلاقل التي حدثت في المجر فقد تم الترتيب لها ومناقشتها في المحافل (!) وقد تولاها "هرتزبرج"(**). وعلاوة على ذلك فقد أدرك الإمبراطور أيضًا أن أهم آثمي هذا العهد كانوا ماسونيين أو أعضاء في الرابطة السرية "المضيئون" (**Illuminat**)، مثل مديري مجلس الوزراء (أتسيكيليي" و"ليجسفلد"

(*) انظر "باهوته" بتاريخ ٣٠ يناير عام ١٩٠٩، العدد ٥، صفحة ٢٥

(**) مذكرة البروفيسور الفييناوي "هوفمان" للامبراطور "فرانسى الأول" عام ١٧٩٣ كما ذكرت في محاضرة للدكتور "فراي هرفون فوكس"، فيينا ١٨٩٧، انظر "الماسونية" في النمسا والمجر

و"سوننفلس" وآخرين. وقد دفعت هذه الحقائق "يوسف الثـاني" لأن يأخـذ قـرارا صارمًا بالقضاء على الماسونية"(*).

ولقد كان الإمبراطور "ليوبولد الثاني" على وفاق مع الماسونيين مثلما كـان سلفه "يوسف" في البداية. وهذا ما يرويه لنا "المرجع العـام للماسـونية" غيـر أن البروفيسور "هوفمان" الذي ينصت الإمبراطور مجددًا لنصيحته في هذا الشأن يؤكد لنا أن "ليوبولد الثاني" كان يعرف تمامًا "أن كل أوروبا وكل الممالك كانـت تقـع تحت وطأة العبودية للتنظيم السري. وقد قام مباشرة بعد تسلمه السلطة علـى كـل البلاد بتوجيه اهتمامه بشكل فائق إلى نسف علاقات هذا التنظيم السري ومؤثراتـه الواضحة وعلى تفتيت النفوذ والسطوة والدسائس الناشطة في كل مكان للماسونيين النمساويين، فمن غير المتصور تلك الحيل والأحابيل التي لجأ إليها بعض رؤسائهم لكي يوجهوه إلى طريقهم وأغراضهم مثلما فعلوا مع "يوسف الثاني"(**) غير أن هذا يبدو مختلفًا بشكل جلي عن تقييم "المرجـع العـام للماسـونية". فمـن حيـث إن الإمبراطور كان على دراية تامة، فإن ذلك يتضح من خطاب شقيقته الملكة التعسة "ماريا انطوانت" السابق ذكرها والذي أرسلته إلى "ليوبولـد الثـاني" بتـاريخ ١٧ أغسطس عام ١٧٩٠: "خذ حذرك تمامًا هناك من كل رابطة الماسونيين، وأفترض أنه قد تم تحذيرك فعلاً، ونأمل ألا تمتد كل تلك الفظاعات من هنا إلى كـل الـبلاد لتصل لنفس الهدف. حمى الله وطني وحماك من شقاء كهذا"(***).

ولقد مات الإمبراطور بعد سنتين من الحكم (١٧٩٢) أما خلفه الإمبراطـور "فرانز" فقد كان مقتنعًا جدًا بخطورة الماسونيين للدرجة التي جعلته يصدر مرسومًا حكوميًا عام ١٧٩٤ بتحريم الماسونية في كل الأقاليم النمساوية. ولقد ثبتت أهميـة

(*) ما قبله، صفحة ١١٩

(**) ما قبله، صفحة ٢٤٩، محاضرة "فرديناند جراف بوكوي"

(***) أرنيت، خطابات متبادلة بين الإمبراطور "يوسف الثاني" وماري أنطوانت، كذلك صفحة ٢٥٠

هذا المنع من خلال اكتشاف مؤامرة "هيينـشترايت" و"براندشـتيتر" اللـذين كانـا ماسونيين ومن خطباء المحفل كما كان من ضمن المتآمرين "دو ريدل" السكرتير السري (!) "لليوبولد الثاني"، كذلك الماسوني المعروف "مارتينوفتش"، فلقد خططوا لعملية سطو على الإمبراطور يتواكب معها تحرير الأسرى الفرنسيين وإضرام النيران في جزء من المدينة. وفي نفس الوقت تم اكتشاف مؤامرة لليعقوبيين في مدينة أنسبروك، والتي تم نسج خيوطها كذلك بواسطة الماسونيين(*) ولذا بدأت الآن عملية تصفية المجتمعات السرية، أي الماسونية، بشكل منتظم وشامل. وبتاريخ ٢٣ أبريل عام ١٨٠١ صدر مرسوم يتحتم بموجبه ألا ينتمي أي موظف في الدولة لجمعية سرية، وعلى كل فرد أن يعلن ذلك تحت القسم وأن يجدد تعهده سنويًا ومن لا يرغب في ذلك فيسمح له بالتقدم بطلب لتسريحه.

وأدى المنع غرضه فأدار كل من النبلاء والعسكريين ورجال الدين- الذين كانوا ينضمون أيضًا للماسونية - ظهورهم للمحافل التي أقفرت. وعندنا أيضًا قام الماسونيون بإخفاء تطلعاتهم السياسية والانقلابية تحت البساط الغامض للمحفل، لكنهم تعافوا من ذلك سريعًا عندما تنفسوا نسمات الصباح، فهذا ما حدث عامي ١٨٠٥و ١٨٠٩ حينما دخل الفرنسيون فيينا، ولنسمع ما يقوله في ذلك الأخ.:. "لفيس" في كتابه "تاريخ الماسونية في النمسا"، فهو يؤكد تلك الحقائق وينوه عن انه في عام ١٨٠٩ أقام "المحفل القومي الكبير للنمسا"، والمؤسس حديثًا اتصالاً مع "الشرق الكبير" في باريس، ويذكر أيضًا أنه " من خلال زواج الدوقة "ماري لويز" من الإمبراطور "نابليون" تم تخفيف الرقابة المشددة على الاتصالات البريدية مع فرنسا. وبذلك ظلت المراسلات الماسونية بين المحفل الفييناوي، والشرق في باريس بعيدة عن أعين الشرطة واستمرت تعمل في صمت إلى أن تم عزل

(*) ما قبله، صفحة ٢٥١- ٢٥٣

"نابليون" عن العرش وصدور المرسوم البابوي المعروف عام ١٨١٤ بإنهاء هـذا النشاط".

ومن الممكن ان تستحوذ هذه الحرفية الشديدة في التواؤم مع الأحداث وهـذا الإصرار والسعي لبلوغ الهدف على الإعجاب أو حتى شيء آخر. ولكـن دعونـا نسمع ثانية ما يقوله لنا الأخ المستنير .:. "لفيس": في عام ١٨٤٨ تفجـرت قلاقـل أثناء حكم الإمبراطور "فرديناند" (تم اختيار لفظ "قلاقـل" كبـديل ألمـاني للكلمـة الأجنبية **Revolution**).

"تم تحريك تلك القلاقل بواسطة الجزء المستنير من الشعب فـي العاصـمة" ونحن نعرف من هذا الجزء المستنير من أهل المدينة الكبيرة، فهو لـيس الجـزء المتعلم ولكنه الجزء المستنير! "حينما أعلن عن إصدار دستور حر للدولـة اعتبـر الأخ.:. لفيس المتواجد في فيينا أن ذلك ملائم للإعداد للتحضيرات الأوليـة لإعـادة افتتاح محفل "تسوم هايلجن يوسف" المغلق منذ ١٧٩٤ ونجح الأخ .:. لفـيس كمـا يخبرنا بنفسه- في الحصول في سبتمبر ١٨٤٨ علـى موافقـة وزارة الداخليـة. وبتاريخ ١٥ أكتوبر ١٨٤٨ أقيم في منزل الدوق "هارننكورت" (الحي الأول، شارع "تاينفالت" رقم ٧٦) الاحتفال بإعادة افتتاح محفل "تسوم هايلجن يوسف. وبتاريخ ٧ أكتوبر تفجرت الثورة، وهذا مفهوم ولكنها مجرد مـصادفة غيـر سـارة تلقاهـا الماسونيون الفييناويون بكدر عميق. ويقول الأخ "لفيس" حرفيًـا: " لكـن للأسـف صمتت سريعًا الطرقات الأولية للماسونيين في فيينا، وقد سحبت الأحداث الزمنيـة العاصفة بعد ٦ أكتوبر هذه التبعة المؤسفة في أذيالها" لذلك: لتسقط الثـورة! "بعـد استتباب الأمن توجه الأخ .:. لفيس" مع بضعة أخوة آخرين إلى حاكم فيينا، الفيلـد مارشال لفتنانت "فراي هرفون فلدن" لكي يحصلوا على تصريح يسمح لهم بالتجمع ثانية، وقد سيق في هذا الطلب "الإيمان بالله وحب الآخر كأهداف عليا" للماسونيين، كذلك تم التنويه بشكل خاص عن استبعاد أي توجه سياسي، ثم أخيرًا تم التنويه عن قبول أمير بروسيا كراع لكل المحافل البروسية وكذلك الملك "فيلهلم الثالث" كعضو

في رابطة الماسونيين. وبذلك يتم إعطاء الدليل على أن الماسونية لا يمكنها أن تمثل خطرًا على الدولة.

غير أن "الظلامي" فراى هرفون فلدن" تصرف بلا رحمة مع الوفد لدرجة انه أدار لهم ظهره. ولم يثبت تاريخيًا ما إذا كان قد استخدم معهم الأسلوب الشعبي والذي يرجع إلى "جوتس فون برليجينجن" لتأكيد موقفه. كذلك قام وزير الداخلية دكتور "باخ" بصد الأخ: "لفيس" ولأنه كان من المستحيل ممارسة نشاط للمحافل أثناء فرض حالة الطوارئ في فيينا، فقد تجمع الإخوان في مدينة الاستشفاء "بادن" وأرسلوا من محفل احتفالي لوزير الحرب مبلغ ثمانين "جولدن" لصالح جيوش الإمبراطورية في إيطاليا والمجر مما جعل صحيفة "فولكس تسايتونج" الفييناوية تشيد به بشكل خاص. غير أن هذه اللفتة "القلبية" قد اصطدمت بعدم مفهوميته وضيق أفق الحكومة الفييناوية التي لا تريد أن تقتنع أن الهدف الأسمى الذي يتطلع له الماسونيون حقيقة هو مجرد "الإيمان بالله" و"حب الآخر" فلقد كانت ما تزال على قناعة أن المسألة هنا هي رابطة سرية ذات نوعية خطيرة لا يكتفى المرء بمجرد الحذر الشديد منها، حيث إن كل الأخبار الآتية من المجر وبوهيميا وألمانيا قد أكدت شكها بأن المسألة هنا تتعلق بحركة ثورية أخذت منطلقها من الماسونية (انظر: فرنسا) وأنه في كل البلاد التي انتهى الأمر فيها إلى ثورة ١٨٤٨ قد تم فيها ذلك بتأييد ودعم الماسونيين. ويبقى السؤال عما إذا كانت قد أتت بشيء جيد وما هو ومن الذي ظهر في النهاية بالمزايا. ويتعلق الأمر هنا بمجرد إثبات حقائق تاريخية مجهولة لنسبة كبيرة من المتعلمين، ناهيك عن الطبقات الدنيا من الشعب.

ونقابل أوائل الستينيات الأخ .:. "لفيس"- أستاذ اللغة الإنجليزية في المجر- "حيث كان يقوم بقبول ما يسمى بالعضويات غير المنتظمة في التنظيم نظير مقابل مادي". وفي النمسا توقفت المحافل تمامًا عن نشاطها، أو على الأقل لم تجرؤ على الظهور في المجتمع.

وطرأ مع دستور ١٨٦٧ تغير واضح لكن قبل ذلك يلزم مناقشة حدث ما يخصنا على الأقل بشكل غير مباشر، ذلك هو إعدام الإمبراطور المكسيكي "ماكس"، وهو ما يتحتم ربطه كذلك بالماسونيين. ففي الصحيفة اليومية "بودابستى نابلو" والتي يصدرها الماسونيون، ظهر بتاريخ ١٥ يناير عام ١٨٩٧ مقال تأبين للدوق "يوسف تسيكي" كبير الياوران السابق للإمبراطور التعس نقتبس منه هذا الموضع شديد الأهمية.

"حالمًا تم الحكم بالإعدام على العاهل النبيل وتم إيداعه غرفة فقراء المذنبين في "كويريتارو" أرسل رئيس الجمهورية "سواريز" إليه ياروه العسكري البارون "جاجرن" ويدور الهمس في المكسيك بأن الإمبراطور الذي كان رجلاً ليبراليا فوق العادة ومحبًا للآخرين كان ماسونيًا، وحيث إن "سواريز" ينتمي هو الآخر للتنظيم فقد أرسل له البارون "جاجرن" لكي يستشف من النقاش معه ما إذا كان فعلاً أحد "الإخوة". وفي حالة صحة هذه الشائعة فإن "جاجرن" كان مفوضًا من "سواريز" بأن يبلغ الإمبراطور انه لم توجد سفينة راسية في الميناء وان القبطان ينتظر الأمر بأن يدعه – أي الإمبراطور– يهرب. ونجح "جاجرن" في التحدث مع الإمبراطور على انفراد وحاول أن يعرف منه أن كان ماسونيًا أم لا. غير أن الإمبراطور لم يشأ أن يصرح بشيء قائلا "دعك من هذا" ثم أطرق رأسه واستغرق في تفكير عميق. وأدرك "جاجرن" أنه يصل لهدفه المنشود فأدى التحية الواجبة ثم قام بتبليغ "سواريز" أن الإمبراطور لم يقر بشيء. وعبس وجه رئيس الجمهورية ثم قال باقتضاب: "يعلم الله أنني كنت أريد إنقاذه.. إذن سوف تنفذ إرادة القانون.." وحتى الآن لم يتم حسم السؤال عن ما إذا كان إمبراطور المكسيك "ماكس" ماسونيًا أم لا، فإذا لم يكن فإن كلمة نعم كانت سوف تنقذه من موت مؤكد. لكنه لم يشأ أن يصرح بشيء غير حقيقي في مقابل ثمن حياته. أما إذا كان ماسونيًا فإنه لم يرغب في أن يستغل علاقاته القديمة بالماسونية لإنقاذ نفسه في الوقت الذي لم يعد يرتبط بها داخليًا. وفي كلتا الحالتين فإننا نعجب بالقوة الروحية لهذا الرجل العظيم.

ونعود مرة أخرى للماسونية في النمسا! فلماذا لم يتم الاعتراف بالمحافل حتى بعد إصدار دستور ١٨٦٧؟ والإجابة يعطيها لنا الماسونيون أنفسهم: يوجد في "تاريخ اتحاد هومانيتاس" الفييناوى غير السياسي" – وجهة نظر تقول إن الحكومة كانت دائمًا ما تمتنع عن منح الاتحاد وجودًا قانونيًا لأنه كان يتم الاعتراض على تواجد موظف رسمي في الاجتماعات. وحيث أن الحكومة النمساوية كانت تعتبر الماسونية(*) تجمعًا سياسيًا وأن على الاتحادات السياسية أن تلتزم بوجود موظف حكومي، لذا لم تكن الحكومة المحلية، والتي هي شديدة الليبرالية في حالة تسمح لها بمنح الاعتراف المطلوب.

والتنظيمات السرية ممنوعة في النمسا (المادة ٢٨٥ من قانون العقوبات) ويدخل ضمن هذه التنظيمات تلك التي يكون لها لوائح أخرى غير التي تعلنها، حتى وأن كان وجودها معلومًا للسلطات، وكذلك تلك التي تتبع بشكل سري أهدافًا أخرى غير التي تدعيها في العلن. وكان هذا بمثابة مأزق صعب للماسونيين لكنه تم الالتفات حول تلك العقبة بأسلوب نمساوى بحت فقد تم ابتكار حياة مزدوجة شديدة الغرابة للروابط الماسونية. ففي النمسا تم تقديمها وتفعيلها كمؤسسات لأعمال الخير، أما نشاط المحافل الحقيقي فيمكنهم ممارسته بالمآزر والقفازات والأحزمة والمصوغات في المجر! وتلك ليست مزحة ولكنها ابتكار نمساوي مثالي (؟) يستحق التسجيل كبراءة اختراع في كل الدول المتحضرة. والدليل على صحة ذلك نجده في تاريخ "هومانيتاس" نفسه، والتي تبلغنا بالقرارات المهمة التالية: "أعضاء محفل "هومانيتاس" في "نويدرفل" في المجر هم فقط الذين بإمكانهم أن يكونوا أعضاء فعليين في "اتحاد هومانيتاس" في (فيينا)، وكذلك: "كل الإخوان المقبولين أو المنضمين في "نويدرفل" على نهر "اللايتا" قد ألزموا أنفسهم بالانضمام "لاتحاد هومانيتاس" غير السياسي في فيينا أو أحد فروعه كذلك يظهر من النقطة السابعة

(*) صدرت في دار "بريتوريوس"، فيينا، ١٨٨٥

في القرارات المذكورة كل ما يتحتم عمله في "تويدرفل" وما يسمح بحصوله في فيينا: كل الأعمال الماسونية التي يتم تأديتها في محفل صحيح وشرعي مثل القبول والترقية والاندماجات وانتخابات الموظفين والفصل إلخ يتم تأديتها في "توديرفل" فقط، أما في فيينا فيمكن أداء استشارات المعلمين والأمسيات التعليمية والتجمعات القيادية. وبذلك يمكن أن نتبين من هذه التعليمات أن المسألة لا تتعلق بمجرد اتحادات اعتيادية ولكنها محافل ماسونية تعمل هنا تحت اشتراطات محددة. (حلت في هذه الأثناء "برسبورج" محل "تويدرفل" و"أودنبورج") وبسبب التحريم الرسمي فإن الماسونية في النمسا قد تطورت بشكل بطيء. وأعقب تأسيس "هومانيتاس" (١٨٦٩) محافل أخرى، ويوجد حاليًا في فيينا ثلاثة عشر محفلاً ماسونيًا، يضاف لهم ستة عشر محفلاً وإكليلاً في الأقاليم (١٩١٥) وقد تم ذكر أسماء ومعلمي المحافل الفييناوية فيما قبل (صفحة ٥٥، وكذلك في الجدول المرفق في نهاية الكتاب).

ولقد تم وضع المحافل النمساوية منذ تأسيسها، أي نحو عام ١٨٧٠ تحت الحماية المجرية كما يتم مراقبتها كذلك من مبعوثي المحفل الكبير في "بودابست". ويتقلد معلمي الكرسي ومعلمي المحافل الفييناوية وظائف عالية في المحفل المجري الكبير، كما نجدهم بشكل متكرر كمندوبي محافل ألمانية كبيرة، فهكذا نجد مثلاً المحرر الصحفي "هاينريش جلوكسمان" (فيينا) وكيلاً للرابطة الإكليكتيكية" (فرانكفورت على "الماين" والمحامي والمستشار الإمبراطوري دكتور "رومبلر" (فيينا) وكيلاً للمحفل الكبير في هامبورج، ومعلم الكرسي لمحفل "تسوردفارهايت" "فريدريش أرتنز" (فيينا) وكيلاً للمحفل الإقليمي الكبير لساكسونيا، وكذلك الأخ الدكتور "جيزا وينتر" (فيينا) وكيلاً للمحافل الحرة (لايبزج). وبحكم وجودهم تحت الحماية المجرية فلقد تتسم أخوان المحافل النمساوية روح المحفل المجري الكبير كذلك. وفي الفصل التاسع من هذا الكتاب (الماسونية وأعمال الخير والسياسة) تم إثبات أن السياسة تلعب دورًا غير عادي في المحافل المجرية، كما تم إلقاء ضوء

كاشف على الروح الثورية التي تكمن فيها وذلك من خلال عدة أمثلة. ولا تتخلف الماسونية النمساوية في ذلك عن حاضنتها المجرية. وحسب الأرقام فإن الماسونيين النمساويين لا يتقدمون الصفوف، بل أن عددهم في أي دولة أوروبية ليس بهذا الضعف مثلما هو هنا ولا يتعدى عددهم الإجمالي بأي حال ١٢٠٠، لكن مجرد تأثيرهم يتناسب عكسيًا مع هذا الرقم. وتذكر "أكاسيا"(*) أن المحفل الرمزي الكبير للمجر والذي هو بمثابة السلطة العليا الوحيدة لكل النمسا يتساوى تمامًا مع كل سلطة عليا وأنه يتشابه تمامًا مع الماسونية الفرنسية فيما يخص نشاطها، فهي هناك "الجبهة التقدمية الحقيقية للرأي العام" ويؤكد الماسوني الفييناوي الأخ: "أوسكار ارستلنج" هذا الحكم ويضيف له أيضًا في "تسيركل"(**) من خلال الاعتراف القيم "يعيش المبدأ الماسوني ويحكم في النمسا الآن بقوة بشكل لا نظير له في كل العالم". ومما لا شك فيه أن الأخ: "ارستلنج" يفكر بذلك وقبل أي شيء في جل الصحافة الليبرالية التي يتم إصدارها وإدارتها من ماسونيين ذوي مآزر أو بدون.

وكذلك لا ننسى الحفاوة الفائقة التي قوبل بها الأخ: "أنريكو فيرر" في حينه في مؤتمر السلام الدولي في براج! ولكن ألم يكن هؤلاء مجرد ماسونيين؟ – بالطبع لا، لأنه ليس بالضرورة أن يكون كل مفكر حر ماسونيًا ولكن العكس. والفرق هو زيادة في المظهر الخارجي والشكل. وهم عندنا يتقاربون في الوجود والأهداف مثلما هم في أسبانيا والبرتغال. وكلهم يفكرون مثلما قال الأخ: "ميترلنك" في نشرة المحفل الفييناوي "دير تسيركل" التي يصدرها الأخ: "هاينريش جلوكسمان": "لا يصح أن نتردد في استعمال قوانا المدمرة حتى الفيض ولا يجب أن نسأل عمن سوف نضعه مكان المدمَّر" شيء مفهوم لأن هذه المسألة منتهية بالنسبة للماسونيين منذ فترة: فمكان الملكية سوف تجيء الجمهورية في أعقاب

(*) أكاسيا، يونيو ١٩٠٨، العدد ٦٦، صفحة ٤٢٠

(**) ديرتسيركل، ١٣ ديسمبر ١٩٠٨

الثورة العالمية الكبيرة، تلك الثورة التي تم الإعلان عنها في مؤتمرات ماسونية متعددة وتم التطلع إليها حتى أصبحنا في داخلها وتعرفنا أخيرًا على القوى التي تسعي منذ أمد إلى رفع العالم من أركانه من نقطة وحدة.. وذنبنا أننا لم نتعرف على هذه القوى المعادية في الوقت المناسب. ومع ذلك لن نبالغ ولن نلوم أنفسنا بشكل غير ضروري، لأن ذنبنا ليس أكبر كثيرًا من رب بيت لا يستطيع أن يتعرف على لص أو مجرم في ليلة حالكة الظلام. وقد يبدو هذا التشبيه خشنًا وحادًا، غير أن الماسونيين أنفسهم هم الذين يفرضون هذا التشبيه من خلال إقرارهم بأنفسهم بطريقة عملهم. ولنرى ماذا قالت يومًا ما "فينر جورنال فيرفراي ماورر" بأسلوب عميق وغامض: "نحن نتجول متشحين- في ليل حالك وسط خصومنا مستغلين انفعالاتهم كقوي محركة نتمكن بها من إدخالهم في اللعبة دون ان يدروا، وذلك حتى نجبرهم على التعامل معنا". وفي ظل سلطة ما(*) تعمل الماسونية على أداء العمل الكبير الموكل لها(**).

(*) المقصود هي الملكية!

(**) انظر "أكارت" مجلة، الكراسة الأولى، صفحة ٦٦

الماسونية الثورية في المجر

من الأشياء المثيرة للاهتمام حقًا هو ذلك النمو الكبير للماسونية المجرية إبان الحرب العالمية، فقد سجل " المحفل الرمزي للمجر " عام ١٩١٣ – أي قبل اندلاع الحرب – عدد ٩١ محفل مشتملة على عدد ٦٥٢٦ أخ. وفي عام ١٩١٨ عدد ١٠٢ محفل مشتملة على عدد ٧٤١٤ ماسونيًا وهذا يعادل زيادة قدرها ١٢٪ للمحافل و١٣٪ للإخوان، وتلك زيادة غير مسبوقة في كل العالم – ما عدا في إسبانيا – تحدث إبان حرب تحصد الرجال، فما هي المحصلة التي يخرج بها المرء من ذلك؟ فلو كان الماسونيون المجريون يشكلون يومًا دعامة للمحكمة يعتمد عليها، فإن المرء يخلص من ذلك دعامة للمملكة يعتمد عليها، فإن المرء يخلص من ذلك إلى أن المسألة تتعلق بالمحافظة على الدولة. لكنها كانت – حسبما يقوله "ميترلنك" – "مواءمة كل القوى المدمرة حتى الفيض" – ولقد تم التدمير بكل دقة، مثلما نرى. وهنا لا يجب أن ننسى أن العدد ٧٤١٤ يمثل فقط عدد الأعضاء الناشطين فعلاً. ففي الأعوام السالفة كان يتم التمييز بين العددين بوضوح، ففي عام ١٨٧٨ كان يوجد بالمجر ٧٣٤١ أخًا يذكر منهم ٢٧٨١ كأعضاء ممارسين وناشطين. أما في عام ١٨٩٦ فيتم تسجيل ٢٨٠٥ أخوة، بمعنى أنه لا يتم بيان عدد الأعضاء المدونين والملتزمين بالمرة، ولكن يتم تسجيل الإخوان الذين يؤدون فعلاً أعمالاً خاصة بالمحفل فحسب. فإذا وضعنا النسبة السالفة في اعتبارنا لكي نعلم العدد الحقيقي اليوم، فإننا نتوصل بذلك إلى أن المحفل الرمزي الكبر للمجر يشتمل على نحو عشرين ألف عضو. وينبثق الطبع الثوري للماسونية بشكل خاص من تصرفها نحو زعماء الثورة المجرية عام ١٨٤٨، وهم الإخوان.: كوسوت "وكلابكا" و"بولكسي" وآخرين.

وهنا يمكن للمرء أن يزعم أنه لم تكن هناك بعد في ذلك الوقت ما سونية منظمة في المجر. وأن المحفل "السري جدًا" الذي أراد أن يؤسسه تاجر الآلات الموسيقية "توما" في مدينه "بست" لم ينشأ إلا يوم الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٤٨ وهو محفل: " تسور مورجن روته دس هوهرن ليشتس" وكان يلزم أن ينضم له "كوسوت" أولاً، ولنفترض ذلك! لكنه بصرف النظر عن ذلك تبقى الحقيقة قائمه بأن زعماء الثورة كانوا على أوثق صلة بالمحافل الأجنبية، حيث كانوا يتلقون الدعم، وأنه بعد الإجهاز القسري على الحركة بأكملها قد وجدوا الحماية والتغطية. وفي فبراير عام ١٨٥٢ تم ضم "كوسوت" إلى رابطة الماسونيين في "شنشيناتي" (أمريكا) وكذلك الدوق "جريجور بتلين" "وبول هاينك" وفي يوم الرابع والعشرون من أبريل عام ١٨٥٤ أصبح الدوق "يوليوس أندراسي" عضوًا في المحفل الباريس "مونت سيناي" وتلقى "جورج كلابكا" النور في محفل تورينو "دانتى الجبيرى"، وأما الأسقف "هيازنت روناي" فقد أصبح ماسونيًا في لندن، وكذلك الأسقف "ميخائيل هورفات" في سويسرا. ولم يوجد تقريبًا في ذلك الحين أي أحد من المتأمرين المهمين لم يجد له في الخارج تغطية من محفل ماسوني سواء كان ذلك في أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا أو إيطاليا أو سويسرا وهذا ليس بجديد أو مثير للإلتفات بالنسبة للعالم بهذه الأمور. وعبارات مثل " التمرد والترويع ليسا بجريمة ما سونية " و"في بعض الأحيان يكون الترويع واجبًا مقدسًا" و"في إمكان الماسوني أن يوجه بشجاعة ضربة للطغيان دونما يشعر بالذنب لارتكابه جرمًا وأن يتآمر مع آخرين وأن يلجأ لوسائل هي مرفوضة في حد ذاتها " هي عبارات شائعة في الثقافة الماسونية، حيث يقابلها المرء في كل المناحى. لكن دعونا نرجع لنقطة البداية وهي الحركة المجريه عام ١٨٤٨، ففي ذلك الوقت تم عرض عرش المجر على الدوق " فون لويشتبرج" بتسمية من " كوسوت" من خلال الكونت "سيهير توس" والكونت "ستيفان إسترهازي"، لكن ذلك لم يتحقق بسبب هزيمة الجينرال "جورجي" في "بيلاجوس" بواسطة القوات الإمبراطورية، غير أن "كوسوت"

"والجينرال تير" رحلا إلى تورينو حيث شاركا في أعمال محفل "أوزونيا"(*) وكانا على اتصال دائم مع الأخوين .·. "ما تسيني" "وجاريبالدي" وكان ذلك هو الاتصال الصحيح فحسب. وكانت عبارات مثل "الحرب على النمسا " و"الحرب على البرابرة" و"يجب أن تنمحى النمسا من الوجود" والتي استعملها "ما تسينى" كثيرا في أعماله، هي تعبير عن كراهية تنطبق تمامًا على تلك التي يتمتع بها "كوسوت".

ولم يطاول رجال الدولة النمساويون قامة زعماء الرابطة السرية بأي حال. ودخل "كوسوت" كذلك في اتصال مع الإمبراطور "نابليون الثالث" بواسطة أحد الماسونيين وهو الأمير "جيروم بونابرت "، وذلك كما يخبرنا الماسوني "أبافي" في كتابه: "مقالات عن تاريخ الفيلق المجري – الإيطالي" ولقد كان "نابليون" على استعداد لوضع حمله معاونة قوامها عشرون ألف رجل تحت التصرف بغرض الإغارة على المجر، وفي المقابل كان المفروض أن ينشيء الإخوان .·. "كوسوت" "وكلابكا" والكونت "لاديسلاوس تيليكي" لجنة وطنية مجرية في جنوا لكي يكّونوا في "بيمونت" جيش مجري من الهاربين من الخدمة. ولقد تم إعلان الاستدعاء لذلك في جنوا يوم ٢٠ مايو ١٨٥٩ وتدفق ضباط "هونفيد" من كل اتجاه، غير أن "الجيش" المجري تكون يوم الأول من يونيو ١٨٥٩ من رجل واحد! وخجل الإخوان من فشلهم وتفرقوا، فذهب الكونت "جريجور بتلين" إلى ميدان القتال وذهب كل من الكونت "ألكسندر تيليكي" و"الجينرال تير" إلى "جاريبالدى"، أما "كلابكا" و"بولسكى" فبقيا في تورينو. ثم خطر على بالهم فكرة جديدة جدًا، حيث تم عمل تشكيل عسكري من العسكر الإمبراطوري وأسفر هذا الإجراء المنافي للقانون الدولي عن تجميع أربعه آلاف رجل قام الأخ.·. "كوسوت" الذي عاد لتوه من لندن باستعراضهم. ثم تلا ذلك مباشرة معاهده سلام "فيلا – فرانكا".

(*) دار نشر "باوهوته"، ٢٦ مارس ١٩١٠، العدد ١٣، صفحة ١٠٣

ويتبين من هذه السطور القليلة أن الحملة العسكرية التعسة عام ١٨٥٩ هي في مجملها من فعل الماسونيين غير أن الماسونيين المجرميين لم يقنعوا بالنتيجة النهائية التي خيبت أمالهم هم والمتآمرين معهم، فانشغلوا بشكل دؤوب بتشكيل جيش جديد إيطالى مجري تم وضع اشتراطاته يوم الثامن من سبتمبر عام ١٨٦٠ بين كل من الإخوان .:. "كلابكا" و"لاديلاوس تيليكى" و"كوسوت" من ناحية وبين "كافور" من ناحية أخرى.

كذلك فإن للماسونيين نصيبهم الفعلي في حرب عام ١٨٦٦: وتكفي الإشارة إلى الأخوين .:. " كلابكا" والكونت" تيودور ساكى" واللذين يمكن إضافة طابور طويل من الأسماء إليهما.

وينشأ هذا النشاط للماسونيين المجريين في وقت لم يكن هناك تنظيم ماسوني ثابت في المجر. بتاريخ ٣٠ يناير عام ١٨٧٠ فقط يتم تأسيس محفل "يوهانس" كبير بواسطة المعلم الأكبر الأخ .:. "فرانتس بولسكي" وفي عام ١٨٧١ يتم تأسيس الشرق المجري الكبير، حيث ينطلق هذا التأسيس من فرنسا من خلال "جراند أورينت دوفرانسي" إذن..لقد أتى النور إلى المجر.من الغرب كما يؤكد ذلك المعلم الأكبر الأخ.:. "بولسكي" من حين لأخر، حيث يقول أيضًا: "انتصار الروح الفرنسية فحسب هو الذي يمكنه أن يقود المجر إلى التعافي" (أما كيف يبدو هذا "التعافي" في الحقيقة، فقد أكدها لنا الأخ.:. "ميشيل كونت كارولي" بشكل رائع في نوفمبر ١٩١٨!).

وبتاريخ ٢٨مارس عام ١٨٨٦ توحدت كلتا المؤسستين الماسونيتين فأصبحتا "المحفل الرمزي الكبير للمجر" والتي ضمت كلاً من محافل "يوهانس، والدرجات العالية للنمط التعليمي الأسكتلندى، أي من الدرجة الرابعة حتى الدرجة ٣٣. بعد هذا اليقين لم تعد هناك مفاجآت لنا. وليس لنا أن نندهش بسبب أن الأخوة المجريين يتزعمون الصوت العالي في المؤتمرات التي تبشر وتعد للثورة أن تتم

دعوة الثورى البرتغالي الدكتور "سباستيان ماجلايس ليما" إلى "بست" بواسطة المحفل المجري الكبير حيث يلقى استقبالاً شديد الحرارة ويلقي محاضرة ذات مضمون تعليمي شديد على المستمعين المنصتين بانتباه. وكان هذا بعدما أسقط الماسونيون الملكية في البرتغال وأقاموا الجمهورية بفترة وجيزة. ولم يتم إعلان نص الخطبة ولكن يلزم هنا في المقابل إعطاء تقرير موجز أرسله المحفل المجري الكبير إلى المكتب الماسوني الدولي في "نوينبرج" (سويسرا) وجاء فيه: "يواجه أنصار الفن الملكي المخلصون ساعات عصيبة في وطننا ويرتبط مستقبل المجر بإدراك الواجب وإرادة التضحية وانضباط إخواننا الذين يتحتم عليهم أن يسعوا على مسارات متباينة. ولا يجوز لأحد أن يدلي بأحكام متسرعة عن بعض إخواننا نتيجة لتضليله ببيانات مدنسة، حيث إن هؤلاء كثيرًا ما يوظفون كل قدراتهم للانتصار لشأننا!" ويرجع هذا التقرير لعام ١٩١٢ وهو يعلن عن نفسه ولا يحتاج أية إضافة فيما إذا استطاع المرء أن يقرأ ما بين السطور.

ومن أشد ما يلفت الانتباه هي تلك الزيارة التي قام بها المحفل المجري الكبير لإخوانه الصرب قبل اندلاع الحرب العالمية بفترة قصيرة. ومن المفروض أن اجتهادات ماسوني الصرب معروفة للمحفل المجري الكبير ولكل الماسونيين المجريين، ومع ذلك تلك الزيادة؟ ويلزم هنا التذكير بأن الماسوني الصربي الدكتور "رادوسلاف كازيميروفتش" قام خلال زيارته الشاملة السابق ذكرها لمراكز المحافل في أوربا قد زار بوراست أولاً وقبل كل شيء.... كذلك يلزم التنويه عن أنه لا توجد شخصية واحدة في كل العالم مكروهة في المجر – وبالذات في دوائر الماسونيين – أكثر من ولي العهد المغتال الأرشيدوق "فرانتس فرديناند"......

ويلزم هنا في ختام هذا الفصل إثبات حقيقة أن الصحيفة الماسونية اليومية "فيلاج" (العالم) قد أوصت قبل عدة أسابيع بانتخاب المعلم الإنجليزى الأكبر "دوق كونوت، شقيق الأخ.·. "إدوارد السابع"، ملكًا على المجر: وهو نفسه الأخ .·. "دوق كونوت" الذي تم وضعه في الاعتبار للعرش الملكي التشيكو سلوفاكي بواسطة التشيك الأنجلو – أمريكان!

الماسونية الثورية في روسيا

تعتبر روسيا هي المثال النموذجي لكيفية أنه من الممكن القضاء على الماسونية من خلال السياسة في ظروف معينة فلقد تم تقبل الماسونية في روسيا بنية حسنة. غير أن مساعيها السياسية الثورية التي لم تتورع عن الاغتيالات قادت إلى قمعها بالقوة.

والبعض يؤكد أن "بطرس الكبير" كان ماسونيًا، لكن ذلك لم يتأكد بشكل من الأشكال، وهو غير مؤكد لأسباب شتى غير أنه من المحقق أن يكون هناك محافل ماسونية في روسيا وبولندا في نهاية حكمه – مات ١٧٢٥ – وكما تخبرنا "باو هوته" (١٩٠٩، العدد الخامس، صفحه ٣٤) تم في عام ١٧٤٣ قمع محفل "بيترسبورج" وكذلك تهديد الذين يواصلونه بالاستعباد. ومن الجمعيات السرية يأتي في الدرجة الأولى في ذلك الوقت "الطوافون الورديون" و"الرصد الدقيق".

ولن يمكن هنا التطرق لمنشأ "الطوافون الورديون" ولا إلى أسرارهم عن أكسير الحياة وحجر الحكيم، وعلى العكس من ذلك فإن " الرصد الدقيق" تنتسب إلى الماسونية على الرغم من الإنكار المتكرر – وإلى مبدأها الأساسي في الطاعة العمياء الذي ورثته أيضًا من النمط التعليمي السويدي والذي يعتبر أهم ممثليه هو " المحفل الإقليمي الكبير للماسونيين في ألمانيا".

ويقع وقت إزدهار الماسونية في روسيا في زمن "كاترينا الثانيه"، تلك الإمبراطورة العظيمة التي لم تقع في أحابيل أي عصابة سرعان ما أصبحت محاطة بالماسونيين تمامًا مثل الإمبراطور "يوسف الثاني".

وتحكي لنا "باوهوته" (١٨٦٢) القصة المبهمة التالية التـــي توضـــح بـــشكل مباشر تلك الظروف السائدة آنذاك: سألت الإمبراطورة يومًا ما وزير الشرطة عمن هو في واقع الأمر على قمة الماسونية، فأجابها: "إنني أعرف الزعيم جيدًا وإذا مـــا أمرتي يا صاحبة الجلالة فيكون عندك هنا فورًا!" فسألته الإمبراطورة باندهاش من أين يعرف ذلك؟ فرد عليها "كيف لا أعرف ذلك وأنا نفسي أنتمي لهذه الجمعيـــة!" فردت الإمبراطورية ضاحكة "إذن فأنا محاصرة بكم أيهـــا الماســـونيون فلتـــذهبوا جميعا إلى السياف!".

في ذلك الوقت كان هنالك ١٤٥ محفلاً عاملاً في البلاد، وهـــو رقـــم قابـــل للتصديق إذا ما أخذ المرء في اعتباره أنه إلى جانب المحفل الإقليمي الروسي تحت قيادة الأمير "تزوبسكوي" كان هناك أيضًا محفل إقليمي سويدى تحت زعامة الأمير "جاجارين" وعلاوة على ذلك فهناك أيضًا محفل إقليمي إنجليـــزي تحـــت زعامـــة "إلاجين".

وأصبحت الماسونية موضة، حيث فقدت عند كثيرٍ من الماســـونيين قيمًـــا كثيرة، مثل العمل من أجل العمل نفسه وكمـــال الفـــرد وعمـــل الخيـــر الحقيقـــي للمحتاجين فعلاً وحلت مآدب اللهو والحماقات المكلفة محل أي نشاط جـــاد. وكمـــا يؤكد مستشار البلاط "راينيك"(*) فإنه كان يتم ضم الأفراد بطريقة عشوائية للتنظيم، وغالبًا ما كان ذلك لغرض تحصيل الرسوم. وفي النهاية كان من الصعب أن تجـــد أحدًا في بيترسبورج ليس عضوًا في أي محفل لدرجة أن سائقي العربات والخـــدم أسسوا محافل وسوقوا لمزيد من الأعضاء.

ومما زاد الطين بله أن يظهر في داخل هذا المجتمع ملك الأفاقين والنشالين "جوزيف بالسامو" الذي سارع بتغيير هذا الاسم البراق بعدما غادر مدينة "باليرمو"

(*) عبارة في كتاب الأخ .·. دكتور "إميل فردريش": "الماسونية في روسيا وبولندا"، صفحة ٣٩.

التي أدين فيها بسبب الاغتصاب والتزوير والقوادة، وسمي نفسه فيما بعد "الكونت ساليو سترو" وجاب كل أوروبا مع زوجته "الرائعة لورنزا" لكي يستحث أغبياء الطبقة الراقية من الجنسين للولوج في أسرار "الماسونية المصرية".

وتم تأسيس محافل سيدات تحت قيادة الحسناء "لورنزا"، بينما كانت تقوم في محافل الرجال باستحضار الأرواح وبيع إكسير الحياة، وحينما يتعثر معها هذا الشغل فإنها "تستعين بشموع جسدها" وما بال زوجها جوزيف؟ "لقد سلك مع السيدات مرة أخرى طرقًا غريبة بغرض اكتمال الجنس البشري"(*).

أما الإمبراطورة "كاترينا"، والتي لم تكن تتميز بأي تشدد أخلاقي، فقد بدا لها هذا الأمر مثيرًا جدًا، ففعلت ما تفعله أي امرأة – وبمعنى أصح امرأة ذكية – فقد هزأت من الضحايا المساكين والمنهوبين للكونت "ساليوسترو" وامرأته الرائعة "لورنزا" وصبت جام سخريتها على هذا المجتمع. فكتبت كوميديات ساخرة تناولت فيها "النصاب" و"عميانه" بمنتهى القسوة، ومن المفهوم أنه لم يتم تداول الماسونية فيها بشكل خاص، حيث أنه لم يكن هناك أي شيء يشاهد أو له أثر عن الجانب النبيل والإنساني البحت للفن الملكي – في بيترسبورج على الأقل.

ثم جاءت الثورة الفرنسية (١٧٨٩) وعمومًا كان الماسونيون يوصفون بأنهم منشئوها ومحركو خيوطها وهو اتهام يقر به أو يجب أن يقر به ماسونيو اليوم طالما أنهم ليسوا. بعميان أو متعامين. أما "كاترينا" فكانت امرأة عاقلة وحذرة، لذا فلم يطل بحثها وتدقيقها كثيرًا، فقد توفر لها ما يكفي مما رأته بنفسها وما حدث في أماكن أخرى. وباختصار فقد قامت بداية عام ١٧٩٤ بإغلاق كل محافل روسيا بدون استثناء، ثم توفيت بعد ذلك بقليل، أي يوم ١٧ نوفمبر عام ١٧٩٦.

(*) ما قبله، صفحة ٤٢.

أما "بول الأول" نجل "كاترينا" فقد كان نفسه ماسونيًا، لذا فقد توقع الإخوان في المحافل بأن يقوم بإلغاء المنع، وهو ماسوف يحدث في أغلب الظن. وبالفعل، فقد استدعى الماسونيين ودرس معهم بطريقة أخوية ما يجب أن يحدث وبعد المشاورات عانق كل واحد منهم على الطريقة الماسونية وشد على يده بسلام ماسوني. غير أنه أعقب ذلك فجأة منعًا متكررًا تم تنفيذه بمنتهى الصرامة. ولم يأت أي تفسير كامل بسبب هذا التغير السريع في المزاج.

وربما اصطدم المرء عند تفحص الملفات بأشياء تدين الماسونية بشدة. وبعد ذلك بقليل أغتيل "بول الأول" بواسطة بعض كبراء الدولة "حيث كان استبداده لا يطاق".

وكان ابنه وخلفه "ألكسندر الأول" نفسه ماسونيا بناء على كلام "باوهوته"(*) بل كان أيضًا على اتصال بالقتلة(!) غير أن الأخ ∴ دكتور "فريد يشس" يشكك في انتمائه للتنظيم الماسوني، لكنه يقر بأنه يقف منهم موقفًا وديًا، وتغاضى "ألكسندر" في البداية عن معاودة المحافل لنشاطها ثم اعترف بها نصًا فيما بعد- أي في عام ١٨١٠. ومرة أخرى انتمت الطبقات الراقية للمحافل الماسونية، كذلك كان أفضل رجال روسيا من منتسبيها. ونجد مثلاً في قوائم المحافل الأمير "إيسيلانتي" وهو المناضل المعروف من أجل حرية اليونان، وكذلك الوزير الكونت "رازوموفسكي" والأمير "هوهن لوهه"، وكذلك الشاعر ومستشار الدولة الروسي "كوتسيبو" ولكن سرعان ما دب القلق في نفس "ألكسندر الأول" وتصاعد تجاه "إخوانه"، فلقد أصبحت الرابطة ذات نفوذ متزايد تجاهه وذات سطوة. وزاد على ذلك أن المحفل الكبير المشكل حديثًا "أستراليا" وجد طريقه إلى الدرجات العليا الفرنسية الأسكتلندية بما يعني إدخال السياسة العليا في حياة المحافل، لذا فقد أصدر "ألكسندر الأول" بتاريخ السادس من أغسطس عام ١٨٢٢ أمرًا صارمًا تم من خلاله تحريم كل

(*) "باوهوته" بتاريخ ٣٠ يناير عام ١٩٠٩، العدد ٥، صفحة ٣٤،٣٥.

الجمعيات السرية بما فيها المحافل الماسونية. وفي تبرير ذلك ذكر أن الاضطرابات والفوضى لا يتم تحريكها إلا من خلال جمعيات سرية، منها من يبتدئ تحت مسمى المحافل الماسونية في اتباع أغراض خيرية فحسب، غير أن أخرى تنشغل سرًا في الشئون السياسية، في نفس الوقت توجّب على كل الموظفين العمــوميين أن يقــروا صراحة عما إذا كانوا ينتمون لمحافل ماسونية، وفي حالة الإيجاب يتحتم عليهم أن يلتزموا تحريريًا بالانفصال الفوري عنها أو يتركوا الخدمة.

وكان السبب الرئيسي للارتياب هنا هو ازدواج القَسَم، فــالموظف المــرتبط بأحد المحافل بواسطة القسم، من الممكن أو من المحتم أن يقع أحيانا في تعــارض مع قسمه الوظيفي.

ولقد تم التنويه مرارًا عن أن الماسونيين يؤسسون اتحادات سياسية مــساعدة لغرض التغطية الذاتية، أو على الأقل يشاركون بقوة في مثل هذه الاتحادات، فهكذا في إيطاليا "الكاربوناري" وفي البرتغال "الدستوريون" ولاحقًــا جمعيــة المفكــرين الأحرار و"النملة البيضاء" وفي تركيا " لجنة الترقــي والحقيقــة" وهكــذا. ونفــس الظاهرة نجدها في روسيا كذلك، حيث تعاونوا هناك مع "رابطة الخير العام" والتي كان هدفها الرئيسي هو إقصاء الحاكم. وهــذه الحقيقــة الأخيــرة يؤكــدها الأخ.·. "فريدريشس" غير أنه ينتحي بعيدًا بطريقة ملفتة فيما يخص مقتل "ألكسندر" نفــسه. وهذا التقليد الماسوني الخاص بالمرور مر الكرام على الأشياء التي قد تشكل لهــم تهديدًا هو تقليد لافت لدرجة أن كثيرًا من القراء يرجون معرفــة هــذا الموضــع بالنص الحرفي، لذا فها هو ما يكتبه الأخ.·. "فريدريشس"(*)

"وتبع ذلك تحريم آخر بواسطة "نيكولاوس" عــام ١٨٢٦ وهــو مــا يكــن ضروريًا، حيث إن المحافل لم تعد قائمة، وتسبب في ذلك التحريم التمرد الثــوري

(*) "فريدرسيشس": الماسونية في روسيا وبولندا، صفحة ٥٢٣، الناشر: "فرانتس فوندر"، برلين.

للضباط الروس (تآمر "الديكابرين") وهم رجال ديسمبر عام ١٨٢٥ الذين لم يخشوا في سبيل تحقيق مثلهم العليا من أوقع الأمور واقعية، ألا وهو القتل، وتم كشف التآمر وكان على رأسه "بستل" والأمير "سيرجي تروبسكوي" ونيكيتأمورافيت – أبو ستل" والأمير "شاكو فسكوي" و"بستوشيف" وكانوا كلهم ماسونيون". وعلينا أن نتوقف عند هذه الحقيقة: كل المتآمرين كانوا ماسونيين غير أنهم في نفس الوقت كانوا فوق ذلك رؤساء "رابطة الخير العام" الثورية والتي لم تتورع – كما يقول "فريدريشس" بنفسه – عن أشد الأمور واقعية ألا وهو الاغتيال بهدف تحقيق مثلها العليا. وكون "ألكسندر الأول" نفسه قد سقط ضحية لهؤلاء الرجال من "رابطة الخير العام" فذلك مسكوت عنه تمامًا، ويبدو أن ذلك موضوع ثانوي.

لكن الموضوع الرئيسي للأخ ∴ "فريد ريشس" هو حماية وتغطية أخوانه ∴ الماسونيين، لذلك فهو يؤكد على أن إدانة المجرمين لم تكن "بسبب أنهم ماسونيون ولكن لأنهم كانوا رؤساء "رابطة الخير العام" وماذا قال مثلاً رامي القنبلة الصربي "كابرينوفش"؟"مسموح بالقتل في الماسونية"، كذلك "تم الحكم بالإعدام على" فرانتس فرديناند" بواسطة الماسونيين" وهذه هي الحقيقة المجردة والعادية. "ورجل من الشعب" مثل "كابرينوفتش" في مقدوره أن يقتل لكنه لا يستطيع أن يكذب، ونفتح معًا "معجم المحادثات" من وضع "ماير" والمنحاز للماسونيين ونقرأ:" ألكسندر مات بشكل غير متوقع(!) يوم الأول من ديسمبر عام ١٨٢٥ في "تاجانروج" وكل كلمة هنا حقيقية ومع ذلك فالجملة كلها كذب.

وهكذا يتم اليوم "صنع" التاريخ بواسطة أولئك الذين يقولون عن أنفسهم بفخر أنهم "يصنعون التاريخ". وقبض "نيكولاوس الأول" عليهم، وتم التكفير سريعًا عن هذه الفعلة على عمه: فارتقى كثير منهم منصة الإعدام أما باقي المجرمين فتم "اقتيادهم في سلاسل حديدية غليظة على السيقان ورؤوس حليقة وهم في ملابس الأسري على عربات دواب تعسة بدون مقاعد مسافة ٣٥٠ ميلاً إلى "سيبيريا"، حيث هلكوا وماتوا".

وأنه من الملفت هذه الخشونة في الإحساس وانعدام الشفقة تجاه المغتال، ثم هذا التعاطف وتلك الرقة الانثوية تجاه القتلة. ومع ذلك فهذا هو تراث كل الماسونيين في كل أنحاء العالم.

ومنذ عام ١٨٢٦ ولم نعد نسمع شيئًا عن الماسونية في روسيا، بينما طفت جمعيات سرية أخرى على السطح ودأبت على تحقيق أهدافها "المثالية" من خلال تفجيرات القنابل وخلافه.

غير أنه ومنذ ثورة عام ١٩٠٥ والماسونية تنشط ثانية في المشاركة في الأحداث داخل روسيا، وتأتي في المقام الأول "الأكاسيا" الماسونية التي تطلق العنان لمشاعرها وتذهلنا بصراحتها:

"يتحتم على كل الجمهوريين، وفوق ذلك كل الماسونيين الفرنسيين أن يضمروا أمنيات متوقدة للانتصار القادم للثورة الروسية"(*) غير أنه يبدو أن الشعب الروسي كان في ذلك الوقت لا يزال غير ناضج لتأييد الثورة، ولهذا لم تتحقق الأمنيات الورعة "للأكاسيا" وفي المقابل حاولت الماسونية ثانية الحصول على الاعتراف القانوني من الحكومة الروسية، غير أن الوزير "ستوليبين" ظل صامدًا، ولم يأبه لمحاولة الاغتيال التي قام بها "مجهولون" وجاء في البيان الرافض عن حق: أن النشاط الخيري للماسونية يمكن أداؤه أيضًا وبحذافيرّه من خلال جمعيات علنية تحت رقابة الحكومة، ولكن على عكس ذلك فإن الأهداف السياسية للماسونية لم تتغير في أقل القليل منذ بداية القرن وحيث كانت المحافل في روسيا مغلقة، وحقًّا، فإن الوزير الصامد "ستوليبن" الذي لم يخضع للإرهاب ولم يكن يومًا من لاعقي الأحذية مثل بعض رجالنا من رجال الدولة اليوم والأمس تم اغتياله أوائل نوفمبر عام ١٩١١، وكان الفاعل مجهولاً، ونترك لخيال القارىء الإجابة عن السؤال: من المستفيد من الجريمة؟.

(*) "أكازيا"، أبريل ١٩٠٥، العدد ٢٨، صفحة ٢٥٣.

الماسونية الثورية للإنجليز

تختلف الماسونية الإنجليزية عنها في دول أخرى في نقطة أساسية فهي لا تنشط ثوريًا تجاه دولتها، لكنها على العكس طورت نفسها لكي تكون مؤسسة تضع نفسها تحت تصرف الدولة حيثما يوجد احتياج لها لكي تدعم الحركات الثورية في الدول الأجنبية.

ولم يكن الأمر هكذا دائمًا، ففي إنجلترا أيضًا وجد اتجاه في الماسونية أراد إحداث انقلاب، أو بمعنى اصح أراد دعم عودة أسرة "ستيوارت" المنفية، وكانت تلك هي المسماة "الماسونية اليعقوبية" التي كان مقرها في فرنسا حيث كان أنصارها يمثلون جزءًا كبيرًا من القوات الإنجليزية للملك المنفي، ومن هذا يتبين ان الأمر لم يعد يتعلق ببنائين (ماسونيين) حرفيين ولكنهم كانوا نوعًا من الماسونيين الروحيين الذي يتبعون أهدافًا سياسية ووراثية لكن الماسونية الروحية التي تأسست عام ١٧١٧ – والكلام هنا عن هذه الماسونية فحسب – هذه الماسونية وقفت من البداية مع السلالة الجديدة وتظللت بحمايتها، وذلك كما يتضح لنا من خطاب للواعظ "أندرسون" (المسماة الماسونية البرتقالية).

وبموت آخر آل "ستيوارت" وهو كاردينال يورك، الذي سمي نفسه "هنري التاسع" لإنجلترا، انتهت نقطة الانفصال تلك (١٨٠٧)، أما المحفلان الكبيران اللذان ترأسهما شقيقا الملك جورج الثالث فقد تصالحا أيضًا (١٨١٣) وكونا معًا "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا" وهو الموجود حتى الآن. وتم التأكيد نصًا على الالتزام بالإيمان بالله لكنه لم يتم فرض مذهب معين.

وتصف الماسونية الإنجليزية نفسها، مثلما هي متوحدة في "المحفل الكبير لإنجلترا" بأنها أقوى منظمة ماسونية في العالم، غير أن الماسونية في الولايات المتحدة لشمال أمريكا تتفوق عليها عددًا وأن كان ينقصها الترابط الداخلي، حيث إن كل ولاية لها محفلها الكبير المستقل تمامًا

ولندن وحدها سجلت ٧٢٩ محفلاً حسب تعداد عام ١٩١٨، وعلاوة على ذلك فإنه هنالك ١٧٤٩ محفلاً في الأقاليم. كما يوجد ٦٧٧ محفلاً في المستعمرات وفي الخارج، كذلك يوجد في إنجلترا ٤٦ محفلاً إقليميًا كبيرًا، كما يوجد ٣٠ محفل مقاطعة كبيرًا في الهند وأستراليا وجنوب أفريقيا ومستعمرات أخرى، وكذلك في الأرجنتين واليابان والصين، ويوجد كسلطة وسيطة بين المحافل وكذلك المحافل الكبيرة الإقليمية وفي المقاطعات ما لا يقل عن ١٠٦٧ رابطة يعمل منها في لندن فقط ٢٥٦، بينما يوجد في الأقاليم ٦٢٠ وفي المستعمرات في الخارج ١٩١، وأخيرا فإنه من الملفت ذلك العدد الكبير للمحافل التعليمية والتي يوجد منها ٢٨٦ في لندن و٣٤٥ في الأقاليم.

ومن الطبيعي أن يتناسب مع هذه الأرقام عدد هائل من الإخوان، وهو عدد سري ولكنه يقدر بنحو ربع مليون مشتملاً على أعضاء المحافل في المستعمرات وفي الخارج، بافتراض أنهم يتبعون "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا" ومن المهم ذكر هذه البيانات الدقيقة لكي يمكن للمرء أن يضع تصورًا تقريبيًا عن مشمول ومدلول الماسونية الإنجليزية، ويلزم التنويه هنا عن أن عدد الخمسين ألف أخ في سكوتلندا يخضعون لمحفل كبير خاص، كذلك الثمانية عشر ألف أخ الآيرلنديين والذين يتبعون المحفل الكبير في "دبلن" والذين لا يتبعون بالتالي الأرقام المذكورة آنفًا.

والمعلم الأكبر "للمحفل المتحد الكبير لإنجلترا" هو دوق "كونوت" وهو نفسه الذي بايعته الصحيفة الماسونية اليومية "فيلاج" في بودابست ملكًا للمجر، ودوق

"كونوت" هذا هو أخو.·. "أكبر ماسوني في العالم" وهو الملك الراحل "إدوارد السابع". وحيث إن "إدوارد السابع" هو رائد الفكر الانعزالي، فإنه يجدر بنا هنا أن نضع تصورًا مبسطًا للوضع الذي تبوأه في الماسونية، وتبعًا للتقويم الماسوني الإنجليزي فإن "إدوارد السابع" قد تسلم النور في "ستوكهولم" عام ١٨٦٨، حيث تم قبوله في الماسونية بواسطة ملك السويد، ومنذ ١٨٧٤ أصبح هو:

١- المعلم الأكبر "للمحفل المتحد الكبير لإنجلترا" وعلاوة على ذلك تقلد عام ١٩٠٠ وهو ما يزال أمير ويلز التكريمات والمناصب الماسونية التالية:

٢- "جراند برنسيبال زوروبابل" أي أنه كان رئيسًا لأعلى تجمع للبنائين المعماريين الملكيين في إنجلترا،

٣- المعلم الأكبر لماسوني "مارك ماستر ميونس" في لندن،

٤- الراعي الأكبر (Grand patron) للمجلس الأعلى للدرجة .·. ٣٣ في لندن.

٥- "سيد التنظيم" للأديرة الكبرى (الهيكليين) في المملكة المتحدة.

٦- راعي المحفل الكبير لاسكوتلندا،

٧- "سيد" التجمع العام للتنظيم الديني والعسكري للهيكل في سكوتلندا.

٨- المعلم الأكبر الوريث للتنظيم الملكي المعاد إنشاؤه بواسطة الملك "روبرت بروس" عام ١٣١٤،

٩- راعي المحفل الكبير لآيرلندا.

ما هي الحكمة من هذا التعداد؟ وهل لم يكن في مقدورنا ذكر بقية ألقابه ورتبه؟ والمسألة هنا لا تتعلق في معظم الأحيان بمجرد ألقاب دون مضمون ولا مجرد رتب بدون سلطان، فأمير ويلز والملك اللاحق لإنجلترا، "إدوارد السابع" لا

يمكن مقارنته بهؤلاء الأمراء والملوك الذين يمثلون وجوذا صوريًا في الحياة الماسونية ويشيعون بالاستهزاء والسخرية من "إخوانهم"، ولم يكن "إدوارد السابع" من تلك الرؤوس المتوجة التي ينعم عليها المرء بمجرد الشرف العالي دون إدخالهم في الأسرار، كما أنه لم يكن من أولئك الأمراء الذين ابتدعوا لهم طقوسًا خاصة تم تجريدها من كل شيء قد يثير الشبهات لديهم، وذلك بدلاً من الإنعام عليهم بدرجات عليا فعلية، وباختصار فلقد كان "إدوارد السابع" هو فعلاً من "العالمين" فلم يتمتع بالألقاب والرتب فحسب، ولكنه كان يتمتع أيضًا بالسلطان.

ولقد جرت العادة على أن الملك الإنجليزي هو مجرد كومبارس أو ملك ظل بدون نفوذ، فمنذ عام ١٦٨٩ يكمن مضمون السلطة في البرلمان الإنجليزي الذي يحكم فعلاً ويمارس كل الحقوق باسم الشعب، وعلى عكس ذلك فقد سيطر "إدوارد السابع" على كل مشمول السلطة – ولكن ليس بصفته ملكًا لإنجلترا وسكوتلندا وآيرالندا، ولكن كرئيس أعلى للماسونية والذي يخضع له كل الماسونيين الآخرين سواء كانوا وزراء أو برلمانيين أو لوردات أو مواطنين، ولكن كيف يتفق ذلك مع مباديء الحرية والمساواة التي تؤمن بها الماسونية في كل العالم؟ طبعًا لا تتفق بتاتًا! فهذه المباديء هي مجرد لافتة لجذب "العوام الطيبين" لكنها لا توجد في الواقع إلا بنفس النذر اليسير الذي توجد فيه في الثورة الفرنسية الماسونية.

تم التنويه في موضع مختلف عن أنه في إنجلترا وأكثر من أي مكان آخر أن كل ما له اسم أو درجة وكذلك كل من يتطلع وينشد الصعود فهو يتبع الماسونية فطبقة النبلاء الإنجليز وعلى قمتهم أفراد العائلة الملكية ثم الوزراء والبرلمانيون أعضاء المجلسين ومدراء البنوك ورجال الصحافة والمحامون ورجال الدين، وطبعًا كبار الحاخامات...إلخ. كل أولئك في إنجلترا هم ماسونيون.

والآن يقال طبعًا إن الماسونيين الإنجليز لا يمارسون السياسة، وهذا صحيح إلى درجة معينة، فلا الماسونيون في حد ذاتهم ولا المحافل يمارسون سياسة كما

هي في مفهوم إخوانهم الفرنسيين والإيطاليين والأسبان والبرتغاليين والمجرين لأن الحكومة هي التي تنشغل بالسياسة والماسونيون الإنجليـز فـي كـل العـالم هـم أعضاؤها التنفيذيون، وهذا هو ما تريد أن تقوله العبارة المشهورة: "عظمة بريطانيا هي صنيعة الماسونيين"(*) فكلهم يعملون بقصد أو بدون قصد بـروح "شـامبرلين" لصالح السيادة البريطانية العالمية، ولا يمكن تقدير مدى تأثير ربع مليون شـخص نشط بشكل كاف وهم المتسلسون يبعضهم البعض مـن خـلال عـصابة سـرية وغامضة، فكل واحد منهم يدعم ويقود الآخر "وسلسلة الإخوان" تمتد في العالم كله حيث يضمن المرء علاوة على ذلك معاونة إخوانه.·. من كل الـشعوب ونـشرات المحافل الإنجليزية نفسها هي التي تؤكد لنا أنه تم دعم العلاقات الطيبة بين إنجلترا والولايات المتحدة من خلال التعاون الأخـوي لكـل مـن الماسـونيين الإنجليـز والأمريكان(**).

كذلك يرجع النمو الهائل لملكية المستعمرات في الخمـسين عامًـا الأخيـرة بشكل عام إلى المعاونة النشطة للماسونيين، ولنتذكر فقط ماهية الاستثمارات التـي أقامتها بريطانيا العظمى في جنوب أفريقيا فقط! وكما يؤكد الإنجليز أنفـسهم فقـد شكلت الماسونية الإنجليزية اشتراطات نمو القدرة تلك، بل أساس السيادة العالميـة الإنجليزية، أو الإمبريالية في مفهوم "شامبرلن".

ويضاف إلى ذلك أيضًا أمر آخر، فحيثما تظهر قلاقل في إحدي الدول تنشط إنجلترا لتأجيج تلك القلاقل وتدعم المؤلبين بالمال بسخاء وهذا ما ارتآه أكبر رجـل دولة في ألمانيا. وهو "بيسمارك" برؤية ثاقبة: "تهديد الدول الأجنبية بـالثورة هـو اليوم مهنة إنجلترا منذ عدة سنين" ومن لا يريد الاعتداد بشهادة " بيـسمارك" فإننـا نذكره بأن رئيس الوزراء الإيطالي الأخ.·. "سالاندرا" قد ذكّر يوم الثالث من أبريل

(*) "ذي فري ميسوني كرونيكل"، ١٩٠٢، ١، صفحة ٣١٩.

(**) "ذي فري ميسوني كرونيكل" ١٩٠١، ٢، صفحة ١٣٥.

عام ١٩١٦ بمناسبة زيارة رئيس الوزراء الإنجليزي الأخ "أسكوايت" بالخدمات التي أداها في حينها رئيسا الوزراء "جلادستون" و"بالمرستون" للثورة الإيطالية، كذلك من المعروف الدور الذي أدياه الإخوان "باكستون" في البلقان مما يجعلنا في حل من معاودة ذكره، كذلك تم دعم الشأن الثوري بوسائل مادية من إنجلترا في كل من البرتغال والبرازيل والصين وإيران وخلافه، لكن ما علاقة ذلك بالماسونيين؟ ان ذلك يعني الكثير! فبدون المال اليوم لا تستطيع ثورة ما أن تفعل شيئًا عكس ما كان الحال في الماضي. لذلك فأول شيء يحتاجه رجال الثورة هو المال ثم المال (انظر رجال سبارتاكوس والملايين البلشفية!)، لكن إلى من يمكنهم أن يلجأوا دون أن يتعرضوا لمخاطر؟ فإذا كانوا ماسونيين – وهذه هي القاعدة حيث إن الماسونية تشكل اليوم نوعًا من شركات التأمين المتبادل ضد الاعتقال والإعدام – إذا كانوا ماسونيين فكل ما يحتاجونه هو وضع الأقدام في الزاوية القائمة والنداء على الإخوان للمساعدة، وتمضي الأمور بعد ذلك بنفس الانتظام والدقة مثلما تكلف البريد بأمر ما في أيام السلم، فالماسوني يوصي الأخ عند ماسوني آخر وهكذا.

والصمت هنا هو مسألة شرف فعلاً لأنه لا يمكن للأخ أن يخون الآخر لا سيما أن الترويع والتمرد لا يعتبران جريمة ماسونية، وهكذا تصل رغبة المروعين أخيرًا لعلم أحد الماسونيين الذي يجلس في الحكومة، وحين يكون هنالك توقع معقول بالنجاح فحينئذ يتم تأمين الدعم المالي أيضًا ولا يتسبب ذلك في مصاعب لاحقة، فالإنجليز تجار بطبعهم ومحاسبون ممتازون، لذا فهم يدركون تمامًا أنهم سوف يستردون ثانية ما صرفوه مع فوائد مركبة، وهم قبل كل شيء كرماء، ويوجد في الميزانية الإنجليزية بند مصاريف ضخم جدًا لم يحدث أبدًا أن تقدم أحد أعضاء البرلمان بطلب إحاطة لوزير المالية لتقديم بيان عنه، وهو الحساب المشهورE والذي يتم رصد خمسة ملايين جنيه استرليني له سنويًا وهو ما يعادل ١٢٥ مليون "كرونه" بعملتنا، أما من هو الذي يتم وضع تلك المبالغ تحت تصرفه، فهو معروف كذلك: "مكتب الدعاية لتحقيق أهداف سياسية".

ويندرج تحت ذلك دعم الحركات الثورية في الخارج، كذلك ترتيب وتنفيذ اغتيالات سياسية، ونحن نعرف كذلك أين يوجد مقر هذا المكتب الغريب والفريد في نوعه في كل العالم: في لندن، ساوذنذ، هامبسون كورت ستريت ١١٢. وبناء على تقرير ذي مصداقية كبيرة حصلت عليه صحيفة "هسيشة لاندس تسايتونج" عبر كوبنهاجن فإنه تم الحصول من هذا المكتب على الوسائل المادية اللازمة لاغتيال كل من الزعيم الاشتراكي الفرنسي "فوريه" والوزير الروسي الكونت "فيته" ومن نفس هذا المصدر المالي انسابت الأموال الضرورية لمحاولات اغتيال ملك بلغاريا والسير "روجر كيسمنت" (بواسطة المبعوث الإنجليزي "فيندلي" في "كريستيانيا") وربما أيضًا في واقعة الاغتيال في "سراييفو"، وعلى كل الأحوال فإنه من المثير للانتباه جدًا أنه كان يوجد على رأس هذا القسم في "مكتب الدعاية" والممكن تسميته "قسم الاغتيال"، كان يتواجد المدعو "ميجور جستلي" والمشهود له أنه كان على علاقة دائمة مع الميجور الأخ .·. "تانكوسيتش" المحرض المعروف على اغتيال الدوق "فرانتس فرديناند".

ومن الجدير بالذكر أيضًا مسألة رصد أسعار للرؤوس ولقد تم ذكر حالة كهذه فيما مضى وهي أنه تم رصد مليون فرانك عام ١٨٧٠ بواسطة المحفل الباريسي "هنري الرابع" لرأس الملك "فيلهلم" ملك بروسيا وكذلك على رأس ولي العهد، ومن المعروف أن اللجان "الماتسينية" في إيطاليا كانت تعمل بنفس الوسائل، ونفس الشيء تفعله إنجلترا ليس اليوم أو الأمس فحسب ولكن منذ قرون، وحتى لا ننسى فهنالك مجرد مثال تاريخي، حيث رصدت إنجلترا لرأس المرشح للعرش "كارل إدوارد أوف ستيوارت" مبلغ ثلاثين ألف جنيه إسترليني وهو مثل "مكافأة يهوذا" (مكافأة الخيانة) غير أنه ولا واحد رغب في الحصول عليه.. ونفس الشيء فعله الأخ.·. لورد "كتشنر" الذي رصد مبلغ عشرين ألف جنيه إسترليني (خمسمائة ألف "كرونة") لاغتيال وزير الداخلية التركي "طلعت بك" ولقد تم إثبات هذه الواقعة بالنص في محاكمة المتآمرين في القسطنطينية، وعلى الرغم من ذلك فلقد تم

الاحتفاء بالأخ.·. "كتشنر" في "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا" كماسوني مثالي. ولم تنتقص منه شيئًا عمليات القتل الجماعي لنساء وأطفال "البور" في جنوب أفريقيا في نظر الماسونيين الإنجليز، ولا عمليات استئجار القتلة! أين يوجد إذن فرق بين الصبية الصربيين القتلة والماسونيين الإنجليز.؟

ولكن ربما لم تكن تلك الحقيقة معلومة للإخوان الإنجليز في ذلك الوقت، غير أنه من الأكيد أن يكون الدور الذي لعبه الأخ.·. "ماجاليس ليما" في البرتغال معلومًا. وعلى الرغم من ذلك فقد استقبلوا هذا الثوري البرتغالي الذي يستحوذ على "السر" الخاص بالاغتيال اللاحق للملك والذي أبلغ به أيضًا الإخوان.·. الفرنسيين، استقبلوه بكل التكريم الذي يستأهله كمعلم كبير وضموه بلا أدنى تردد مثلما ضموا الأخ .·. "جاريبالدي" في حينه وكذا عديد من المتمردين الذين توسموا عندهم ملاذًا وعزاءً ومؤازرة.

إذن الترويع والتمرد ليسا بجرائم ماسونية، وعلى من يريد تنفيذ ضربة ضد الطغيان (الملكية) فذلك مباح له تحت ظروف معينة بأن يلجأ لوسائل مستهجنة وحين يرغب المرء في اعتماد هذه الرؤية كمبدأ أساسي عام معترف به للماسونية العالمية والتي لا يعبر عنها الماسونيون بين الحين والآخر فحسب، بل تتم ممارستها دائمًا بشكل عملي، حينئذ ينفك أمامنا اللغز وتجد كل الأقوال المتناقضة تفسيرًا تلقائيًا وكاشفًا.

إذن الماسونية الإنجليزية لا تتوجه ضد دولتها ولا ضد المملكة، كذلك لا تتوجه ضد النبلاء ولا ضد الكنيسة، ولقد تم التنويه فيما قبل عن أن "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا" كان من أوائل من قطعوا العلاقات مع "جراند أورينت دو فرانس" حينما ألغي الأخير رمز معلم البناء العالمي. وهذه العلاقات ظلت مقطوعة على الرغم من المحاولات العديدة من الجانب الفرنسي حتى نشوب الحرب العالمية، ذلك أن الماسونيين الإنجليز ينادون بالإيمان بالرب على الرغم من أنهم يتركون

للفرد حرية الارتباط بالدين، كما أنه ليس بإمكانهم أن يكونوا ضد النبلاء لأن نسبة كبيرة من علية النبلاء وأدناهم ينضمون لصفوفهم وربما يستحوذون على المناصب الحاسمة، فهكذا نجد نائب المعلم الأكبر الدوق "كونوت" هو اللورد المعروف "أمبثيل" والمعلم الأكبر المعين هو البارونت "توماس فريدريك هالسي".

ما هو إذن الوضع الذي تتبوأه الماسونية؟ إنها باقية ببقاء الدولة وفي نفس الوقت تدعم الهيمنة الإنجليزية العالمية بشكل فاعل، ومن هذا المنطلق فإن تأثيرها على الدول الأخرى هو تأثير إفسادي وتدميري طالما يتصرفون بشكل اعتراضي في مواجهة الإمبريالية الإنجليزية. أما بخصوص أية ميول أو تطلعات جمهورية فلا أثر لذلك عندها، وهذا يفسر نفسه بسهولة من خلال حقيقة أن إنجلترا نفسها تعتبر جمهورية منذ عام ١٦٨٩، لكنها جمهورية ذات ملك على قمتها، أو بمعنى آخر هي مملكة برلمانية، فإذا لم يرقهم الملك فعندهم دائمًا إمكانية عزله أو مطاردة كل السلالة مثلما أطاحوا بعائلة "ستيورات" في حينه.

والرباط الذي يشد كل من الدولة في إنجلترا والماسونية إلى بعضهما البعض بشكل وثيق هو الأهداف والمنفعة المشتركة، فالماسونية تسعى للسيطرة على العالم كما تسعى كذلك الدولة البريطانية إلى الهيمنة العالمية، وترتبط منفعة الماسونية بمنافع الدولة الإنجليزية بشكل وثيق، والخير لأحد الطرفين أو الشر هما أنفسهما البركة أو الهلاك للطرف الآخر، ويترتب على ذلك أن طريقة العمل لكلا الطرفين تتوافق بشكل غريب في نقاط كثيرة، فكلاهما يعمل بشعارات تعتمد على تضليل الجماهير.ولا يوجد في الماسونية "مساواة" فحقيقة أن أوامر الدرجات الأعلى يجب أن تطاع بلا نقاش من الدرجات الأدنى هي عبارة عن ازدراء دموي للمساواة التي يتغنون بها، كذلك فليست هنالك حرية، فالرقابة الصارمة التي تخضع لها إصدارات الإخوان تتعارض بشكل بين مع الحرية التي تلوكها ألسنتهم بشكل دائم، أما كيف يدار الكفاح ضد "الطغيان" و"الهمجية" و"القهر" وبأي الوسائل يدار، فقد

رأيناه في أمثلة متعددة، والدولة الإنجليزية تستخدم نفس الشعارات وهي أيضا تكافح "لتحرير" الشعوب الصغيرة "المقهورة" وتحارب "طغيان" القوى المركزية و"الهمجية" وطبعًا تحارب من أجل "العدالة الإنسانية والتحضر" وهكذا أيضا مع شعار الدولة فشعار "العدالة لكل الشعوب" هو الشعار المعلن للماسونيين ولكنه ينقلب في حقيقة الأمر لأكبر ظلم في مواجهة الألمان، فلم يأبه الأخ الصحفي ∴ "تورثكليف" حين يستخدم هذا الشعار أن تكون الوسيلة سيئة جدًا أو الكذبة كبيرة أو التحريف وضيعًا. غير أن تعامل بروح أكبر ماسوني في القرن الثامن عشر، وهو "فولتير" الذي طالب أصدقاءه مباشرة بالكذب: "يتحتم على المرء أن يكذب مثلما يفعل الشيطان، وذلك دونما تردد ولكن بجسارة وإقدام حتى النهاية". وفي موضع أخر: "لا يكون الكذب رذيلة إلا إذا أفشي شرورًا لكنه يكون بمثابة فضيلة كبرى إذا ما أثمر عن خير" وتبعًا لهذا التوجيه تعاملت الحكومة الإنجليزية حرفيًا إبان الحرب حيث أغرقت العالم أجمع في بحر من الأكاذيب.

ويلجأ الفرد الماسوني في سبيل تحقيق أهدافه الشخصية إلى استخدام "إخوانه" حيث يدفعهم في المقدمة ويتركهم يعملون لصالحه، أما الألماني ذو التوجه المثالي فربما يلجأ لذلك بدرجة أقل لكن الإنجليزي ذا التفكير العملي يكون اعتماده على ذلك الأسلوب كبيرًا، فسياسة إنجلترا لجأت لنفس الأساليب منذ أمد طويل، وبالذات إبان الحرب العالمية، فكل الدول التي كانت في موقف صداقة مع إنجلترا أو حتى تلك التي تربطها بها علاقات واهية تم توريطها بقدر المستطاع في الحرب. ولنتذكر البرتغال أو الدويلات الصغيرة في أمريكا الوسطى مثل جواتيما لا وكوستاريكا.. إلخ ولنتذكر كذلك اليابان وليبريا، تلك القوى – مثل البرازيل – التي أجبرت على قطع علاقاتها مع القوى المركزية ناهيك تمامًا عن دول المستعمرات الخاصة مثل كندا وجنوب أفريقيا والهند الشرقية وأستراليا، لكن من الذي قرر لهذه الدول أن تأخذ موقفها العدائي؟ هل تم ذلك مثلاً من خلال الحكومة الإنجليزية نفسها؟ ذلك سيكون مجهودًا بلا طائل. وهنا تم تفعيل دور الماسونين وفي الدرجة

الأولى طبعًا محافلهم الكبرى سواء في المستعمرات أو في الخارج، كذلك هنالـك الثلاثين محفلاً إنجليزيا الإقليمية الكبيرة في الهند وأستراليا وجنوب أفريقيا وبقيـة المستعمرات الأخرى، كذلك في الأرجنتين واليابان والصين كل أولئك أدوا التزامهم بشكل تام وحققوا ما كان مستحيلاً بالنسبة للحكومة الإنجليزية، كما أنه هنالك ٦٧٧ محفلاً إنجليزيًا في الخارج كانوا معاونين كبار، وإذا ما حسبنا أنه يوجد فـي كـل محفل مجرد مائة أخ فإن ذلك يعطينا جيشًا قوامه ٦٧٠٠٠ من الدساسين من المحتم أنهم يمارسون نفوذًا غير عادي في المحفل لما عرف عن الماسونيين من خفة فـي الحركة والنشاط الزائد، وبالذات حين يتلقون تعليمات مشابهة من المقر الرئيـسي، أي "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا"، ثم بعد ذلك يأتي نفوذهم علـى الإخـوان فـي الدول الأخرى والجنسيات المختلفة، ولقد أبدى المرء قلقًا في حينه بسبب ضم حكام وشخصيات ذات نفوذ للتنظيم الماسوني، مثل الأخ.·. سلطان زنجبار والأخ .·. أمير أفغانستان ورجل الدولة الياباني الأخ "بيكومتي هاياسي" ومئات آخرين، فقد انتمـوا لمحافل إنجليزية وآخرون تمتعوا بحق الاستضافة في المحافل الإنجليزية كـإخوان زائرين.

ولقد تم التنويه فيما قبل عن أن عدد الماسـونيين فـي كـل العـالم يبلـغ ٢,١٧٢,٠٠٠، منهم على أقصى تقدير ١٧٢,٠٠٠. يمكن اعتبارهم ألمانـا أو ذوي هوى ألماني أما المليونان الآخران فجزء منهم وقف مـن البدايـة فـي المعـسكر المعادي وجزء آخر تم اكتسابه بواسطة العمل الدؤوب والمحدد الهـدف لماسـوني الدول المعادية.

ولقد بذل المرء جهدًا خارقًا لكي يتبين من هو الذي تدين له ألمانيا والنمـسا بالفضل في وضعهما في مواجهة عالم من الأعداء، ولقد وقع المرء فريسة لأسخف وأتفه وأغبى التفسيرات والتنويهات وتغاضى عن أقربها لأنهم قليلون أولئك الـذين كونوا رأيا حاسما عن ماهية الماسونية وحجمها وأهميتها، حيـث تحـتم أن تخبـو

أصوات تلك القلة وسط صياح الكثيرين لكن هنا يمكن حقًا حل ذلك اللغز: إن استحضار هذا العدد المهول من الأعداء يكمن تفسيره في نقطة واحدة فحسب: من الماسونية المطوقة للعالم والمحيطة بكل شيء والتي تخطو إنجلترا على قمتها منذ قرنين من الزمن.

الماسونية الثورية في دول الشمال

نجد في تاريخ السويد كذلك حادثة اغتيال ماسونية يلزم إعادة إنعاش ذكراها لأنها تؤكد الفكر الأساسي لهذه الكتابة من حيث إن الماسونيين لا يتورعـون عـن اللجوء لوسائل إجرامية لتحقيق أهدافهم.

والأمر يتعلق هنا بحدث يقع إبان عصر الثورة الفرنسية "المجيدة" ففي ذلـك الوقت كان ملك السويد "جوستاف الثالث"حليفًا "للويس السادس عشر" ملـك فرنـسا وحينما هرب الأخير إلى "بارينس" (يونيو ١٧٩١) أراد الملك "جوستاف" أن يتقـدم بجيشه نحو الحدود الفرنسية لاستقبال حليفة وحمايته، غير أن "دوق سـودرمانلاند" والذي كان وقتها معلمًا أكبر للمحفل ترك أخاه "جوستاف الثالث" ليغتـال بواسـطة الماسوني "إنكارستروم" (١٦ مارس ١٧٩٢) وهذا الخبر مصدره الماسوني "ل. ش كادت – جاسيكورت" وهو محامي باريسي أدار ظهره للماسونية منزعجًا بعد مـا تبين له ما تبين من الثورة وأعلن معايشته ومشاهداته للرأي العام(*).

وهذا ما يتأكد لنا كذلك من جهة أخرى وهي ماسونية أيضًا والتي تضيف أن اغتيال كل من "جوستاف الثالث" و"لويس السادس عشر" كان قد تقرر فعـلاً فـي اجتماع ماسوني في "فرانكفورت على الماين" علم ١٧٨٩(**). وهذه الحقيقة في حد ذاتها لا تثبت شيئًا لأن الاغتيالات حدثت في كل الأزمان والأماكن، لكنها تتحـدث بلغة بليغة في حالة ارتباطها بوقائع مماثلة.

(*) Le Tombeau de Jacques Molay، باريس ١٧٩٤، سرد في "الماسونية النمساوية – المجريـة" فيينا ١٨٩٧، صفحة ١٨٥.

(**) نفس المصدر، صفحة ١٨٩.

ولقد تطورت حياة المحافل في السويد بشكل كبير، وتـم تأسـيس "المحفـل الإقليمي الكبير للسويد" عام ١٧٦٠ بعد ما كان هناك "محافل يوهانس" منذ ١٧٣٠.

والآن يتبع المحفل السويدي الكبير ثلاثة عشر محفلاً "أندرياس" (سـكوتش) وثمانية وعشرون محفلاً "يوهانس" بإجمالي عدد ١٤٨١١ أخًا، ويوجد علـى رأس التنظيم كله الملك "جوستاف الخامس" ملك السويد كمعلم للتنظيم، أما المعلم الإقليمي الأكبر فهو تبعًا لتقليد قديم ولي العهد (حاليًا "جوستاف أدولف")، كما يتقلـد أمـراء ملكيون مناصب عليا.

ولقد تم الحديث في موضع آخر عن المنهج التعليمي الـسويدي للماسـونية، حيث تم التنويه بشكل خاص عن القسم المفزع وكذا العقوبات في هذا النظام، كذلك تم التنويه عن أنه تبعًا للنظام السويدي فإن الماسونية ترجع إلى الملـك اليهـودي "سليمان" وأن شرف معلم التنظيم يجب أن يتم توارثه في جنسه، والآن نحن نعرف أن البيت الملكي الحالي يرجع إلى المارشال الفرنسي "برنادوت" والذي تم اختيـاره عام ١٨١٠ وليًا للعهد، واعتلى العرش السويدي عام ١٨١٨ باسم "كـارل الرابـع عشر" وقد ولد المارشال "برنادوت" يوم ٢٦ يناير عام ١٧٦٣ كإبن لمحامي قروي صغير في مدينة "بو" (فرنسا). وإذا جاز لنا أن نـصدق التأكيـدات بـأن والـدي "برنادوت" كانا من أصل يهودي فإن ذلك يكون بمثابة نكتة مثيرة أطلقها التـاريخ العالمي أو ربما كان ذلك مقصودًا؟

ويلزم في هذا الشأن أيضًا أن نتفكر في "الحادث" الذي وقع للملـك الراحـل "أوسكار الثاني" ملك السويد والنرويج، فلقد كان ماسونيًا نشطًا كمـا كـان معلـم التنظيم لكل من المحفل الكبير للسويد والمحفل الإقليمي الكبير للنرويج، كما كـان **"Past Grand Master"** للمحفل الكبير لإنجلترا، وهو الذي أدخل أميـر ويلـز – الملك إدوارد السابع لاحقًا – في الماسونية وباعتباره القائد الأعلى للماسـونية فـي بلده فقد حمل لقب "البيكار الأحكم لـسليمان"، كمـا كـان يـسمى أحيانًـا "البابـا

البروتستانتي" في الصحافة الماسونية، بل ويسمى كذلك "بابا الماسونيين" غير أنه بصرف النظر عن كل ذلك فلقد كان له خصوم كثيرون في دوائر الماسونيين لم يتورعوا عن الهجوم عليه وازدرائه في صحفهم، ويومًا ما ألقى محاضرة في إحدي تلك الدوائر وكان فيها شيء من المداهنة مما دعى نشرة "باوهوته"(*) لمهاجمته فورًا وتحذيره من الاستمرار في أداء الدور البائس ل "ساليوسترو"(!). ولقد كان ذلك قاسيًا إلا أن ما حدث بعد ذلك كان شيئًا آخر تمامًا، لقد كانت النرويج منذ أمد غير راضية عن النشاط الحكومي لـ"أوسكار الثاني"، وعندما لم تسفر كل الاقتراحات ذوات النوايا الحسنة والتمنيات عن شيء تم تنحيته عن العرش، حيث دارت المباحثات في محفل "كارلستاد" حول العلاقات المستقبلية بين الدولتين. ولم يسعفه شرف كونه معلمًا للتنظيم من تجنب هذا المصير.

ولا يتقلد الملك الحالي للنرويج الأخ:. "هاكون" منصبًا متميزًا في التنظيم، ومعلم التنظيم الحالي هو مواطن عادي وهو الطبيب الممارس "يوهان جوتفريد كونرادي"، أما سكرتير التنظيم فهو أمين مدينة اسمة "سورنسن" وهكذا. وكما نرى فإن ماسوني الشمال أيضًا يأخذون في اعتبارهم الروح الديمقراطية للعصر ويحرصون على إبعاد تأثير البيت الملكي "المتوارث" عن "الفن الملكي" ويشمل المحفل الإقليمي الكبير للنرويج على محفل "ستيوارت" واحد وثلاثة محافل "أندرياس" (سكوتش) واثني عشر محافلاً "يوهانس" وعدد ٤٨٠٠ أخ.

أما المحفل الإقليمي الكبير للدانمراك فيوجد على قمته الملك "كريستيان العاشر" كمعلم للتنظيم ويشتمل تقريبًا على نفس عدد الأعضاء مثل مثيله في النرويج، أي ٤٧٣٥ أخًا، وبخلاف ذلك فليس هناك الكثير للكلام عنه.

(*) انظر "ريفيو ماسونيك"، فبراير ١٩٠٦، العدد ٣١١، صفحة ٢٨.

الماسونية الملكية – الجمهورية في ألمانيا

هذا العنوان الشاذ سوف يشرح نفسه بنفسه من خلال الأحداث:

طالما كانت هنالك ملكية فإن المحافل الثلاثة البروسية القديمة لم تقصر في تمجيد القصر الحاكم، ولا يمر حدث دونما ينعقد مؤتمر حماسي لإظهار الولاء للإمبراطور، وكثير من المحافل يعبر من خلال اسمائه عن الإخلاص للدولة والتمسك بالملكية، فنجد: "فريدريش تسور أسكانيش تروي" (في مدينة "بالن شتث") و"فيلهلم تسور أوست بروييشن تروي) (بارتنشتاين) و(فريدريش – فيلهلم تسور مورجن روته" (برلين) و"فريدريش تسور جريشتك كايت" (برلين) و"فريدريش فيلهلم تسوم أيزرن كرويتس" (بون) و"لويزا تسود جكرونتن شونهايت" (شارلوتننورج) و"فيلهلهم تسور شترالندن جريشتيك كايت" (سولم – شفيتس) و"فريدريش ليوبولد تسور مورجن روته" (جورلتيز) و"هوهن تسولرن تروي أوند بتسنترج" (ماجدة بورج) و"فريدريش فيلهلهم تسور فارهايت أوند تروي" (راتنوف) و"برنس فون برويسن تسو دن دراي) شفير ترن" (سولنجن) و"هوهن تسولرن" (فيزبادن)..إلخ إلخ. ومعظم المحافل المذكورة ومعهم عشرات آخرين باسماء مشابهة يتبعون "المحفل الإقليمي الكبير للماسونيين في ألمانيا" (في برلين).

حقًا! هل يمكن التشكيك للحظة في الطابع الملكي الصارم لمحافل بروسيا القديمة؟ أليس هنالك مئات من الضباط الألمان أعضاء في الماسونية؟

ألم يحصل أكثر من ألفي أخ على الصليب الحديدي في الحرب العالمية تكريمًا لهم؟ ألم يتهم المرء في دوائر الماسونيين محافل بروسيا القديمة بشكل مستمر بأنها تتمحك في رضاء الأمراء لأنه يوجد على رأسها راع من السلالة

الملكية؟ وألم تفعل المحافل الكبيرة الأخرى كل شيء يمكن طلبه منها بشكل رخيص؟ ألم يقم الأخ.·. "بوده" بتنظيم محاضرات عن "الإدارة الألمانية للانتصار"؟ ألم تجمع خمسة محافل من هامبورج فحسب مبلغ ١٠٠٠ مارك كتبرع للغواصات؟ ألم يتدخل مؤتمر المحافل الكبيرة لعام ١٩١٧ بحرارة شديدة لصالح مصابي الحرب؟ ألم يقطع كل من المحفل الكبير لهامبورج والمحفل الكبير "تسور زونه" العلاقات مع المحفل السويسري الكبير "أليينا" (١٩١٦) لأنه اتخذ موقفًا معاديًا للألمان؟ وألم يتم قطع العلاقات بين المحافل الكبيرة في ألمانيا ونظيرتها في الدول المعادية إبان الحرب العالمية؟

وكل ذلك صحيح، لكنه يلزم هنا تصحيح للجملة الأخيرة فحسب، فما تم قطعه هو العلاقات مع كل من الشرق الكبير الفرنسي والإيطالي فقط، أما العلاقات مع المحافل الكبيرة في بقية الدولة المعادية فقد لزم أن "تهدأ" فقط. (إعلان المؤتمر الألماني للمحافل الكبيرة بتاريخ ٢٩ مايو عام ١٩١٥) ولكن ما هو ذلك الذي كان مطلوبًا إثباته من خلال التبرع الضئيل للغواصات وبضع محاضرات للأخ "بوده" وحملات أعمال الخير؟ وماذا عن برقيات المبايعة وأسماء المحافل؟ ألا يوجد براهين أقوى وأشد إقناعًا على الولاء للملكية من ذلك القليل الذي تم ذكره هنا؟

فإذا ما اقترب المرء من هذا الأمر بدون أحكام مسبقة وكان عنده اجتهاد صادق لتجميع الدلائل على الولاء الملكي، فلن يجد شيئًا.

أما عن الزيارات المتبادلة بين الماسونيين الإنجليز والألمان التي تمت عام ١٩١٣ في برلين ولندن فيمكن اعتبارها عملاً وطنيًا لتجنب حرب مهددة ومدمرة لكل شيء، غير أنه من المعروف أن تبرير هذه الزيارات قد تم بشكل مختلف ولغير صالح الماسونية الألمانية ولا يمكن أن نجد فيها دليلاً على العقيدة الملكية.

لكننا في مقابل ذلك نجد أنفسنا نصطدم في كل خطوة بظواهر غير سارة وكثيرًا ما تبعث على الارتياب، وبآراء وأفعال تبدو مستهجنة للإنسان المحايد.

وكما هو معروف فإن المحافل البروسية القديمة الثلاثة، وهي "المحفل الأم الكبير تسودن دراي فيلت كوجلن" و"المحفل الإقليمي الكبير لماسوني ألمانيا" و"المحفل الكبير لبروسيا والمسي تسود فروين شافت" (كلهم في برلين) تشتمل في عضويتها على أعداد كبيرة من أمراء عائلة "هوهن تسولرن" منذ "فريدريش الأكبر". و"فريدريش الأكبر" نفسه تلقى النور في محفل في هامبورج ("أبسالم")، غير أنه لم ينجح أبدًا في الولوج لسر المحفل، حتى أنه لم يعلم شيئًا. عن الدرجات العليا التي تكونت سريعًا بعد انضمامه (١٧٣٨) واكتسبت أهمية متنامية، وكان سيئ الظن تجاه نشاط المحافل ووضع شروطًا معينة لبسط رعايته.

وتلقى "فريدريش الثالث" ملك بروسيا النور عام ١٨١٤ وأصبح فيما بعد راعيًا "للمحفل الإقليمي الكبير بروسيا" أما أسرار وأغراض ووسائل الماسونية فقد بقيت غير معلومة له طوال حياته، وتبعًا لرواية معلم كبير سابق، وهو الأخ ∴ "كونت هاوجفتس" فقد كان ينظر للماسونية بارتياب دائم، غير أنه وبسبب انضمام عدد كبير من أخلص موظفيه وأكثرهم ثقة للمحافل فلم يكن هنالك ثمة مخاطر تذكر.

أما الإمبراطور "فيلهلم الأول" فقد اتبع نفس المخطط فحينما كان ما يزال ملكًا لبروسيا، ترك كثيرًا من موظفيه المخلصين ينضمون للمحافل وسعى بذلك إلى تجريد الماسونية من طبعها الخطر على الدولة كرابطة سرية غير أنه حدثت سريعًا نزاعات عنيفة لدرجة أن الملك اضطر عام ١٨٦٤ إلى أن يهدد بإغلاق المحافل في حالة استمرارها في الاشتغال بالسياسة! ومن الملفت ذلك الحكم الذي أصدره "الجراند أورينت دوفرانس" عن "فيلهلم الأول": لم يتميز أبدًا بأداء التزاماته الماسونية الجادة، وفي المقابل كان يعتبر ذلك تميزًا أن يجلس على قمة مؤسسة ذات انتشار واسع في العالم(*).

(*) "بوليتان دي جراند أورينت"، ١٨٨٨، صفحة ١٣١.

ويقدر الماسونيون الإمبراطور "فريدريش الثالث" بدرجة كبيرة، حيث كان راعيهم الأعلى لسنين طويلة حين كان وليًا للعهد. ويتسمى عدد كبير من المحافل باسمه تكريمًا له، غير أنه حتى هذا الأمير الماسوني كان على خلاف في كثير من النقاط مع رؤى "إخوانه" حيث رغب قبل كل شيء في استبعاد كل ما هو مستهجن أو مريب أو غير ثابت تاريخيًا من دستور النظام واللوائح، ولقد سبق لنا الكلام عن ذلك السر المريب المصان في "تابوت العهد" غير أن كل مقترحات الأمير الراعي للإصلاح اصطدمت بمقاومة رافضة حتى اضطر ولي العهد "فريدريش" في النهاية للتخلي عن منصب المعلم الأكبر، وكل تلك الحقائق لا تؤيد وجهة النظر القائلة إن الماسونية الألمانية أو على الأقل المحافل البروسية القديمة الكبيرة تتمسك بالمواقف الملكية المتشددة غير أنه لكي يمكن توضيح صورة الملف بأكمله فمن المفيد اتخاذ موقف أكثر ارتفاعًا يتيح لنا دائرة رؤية أكثر اتساعًا.

لن يكون في استطاعة الماسونين الألمان بحكم طبيعتهم أن يتكلموا بما يودون، لذا فسوف نستعلم من أصدقائهم الايطاليين عن ماذا يعتقدون حقيقة في إخوانهم الأميريين، فكون الأخ.·. "بوفيو" يعتبر الإمبراطور الشاب "فيلهلم الثاني" – عام ١٨٩٢ – "مريضًا بشدة"، فذلك لا يثبت شيئًا، وحتى بعض الألمان الطيبين كانوا ساخطين بسبب تسريح "بسمارك" وربما استخدموا كلمات مشابهة أو حتى أشد حدة، وأحيانًا ما يعبر الأخ .·. "أوريليوسافي" عن أمله في أن تحل ألمانيا الفتية (الاشتراكية الديمقراطية) في أقرب وقت محل ألمانيا الإمبراطورية الإقطاعية(*).

ويمكن للمرء أن يقرأ في الصحيفة الرسمية للمحافل "ريفيستا دللاماسونريا اتياليانا" كيف أنها تسخر من الأمير "فريدريش ليوبولد" الذي عينه الإمبراطور "فيلهلم الثاني" راعيًا للمحافل البروسية القديمة الكبرى (صفحة ٢٠١) ويكفي هنا أن ننوه عن المحفل التأبيني الغريب الذي أقامه الماسونيون الإيطاليون للإمبراطور

(*) "رفيسنا وللا ماسونيريا ايتاليانا: ١٨٨٩، صفحة ٣.

"فريدريش الثالث" حيث تصادف أن مات في نفس الوقت "بتروني" الثوري القـديم والمعلم الأكبر فيما بعد للمحفل الإيطالي الكبير، حيث ربطوا بين كلتا المناسـبتين بطريقة جعلت المجرم "بتروني" الذي قضى ثمانية عشر عامًا في السجن يأتي فـي المقام الأول من التكريم فهل هذا مجرد فساد في الـذوق؟ - لا بـل هـو ازدراء مقصود.

وماذا عن الإخوان الفرنسيين؟ نفس الأفكار ولكن في إطار مختلـف، فـأي عاهل بالنسبة لهم هو "مستبد" وتبعًا للتفكير العقيم للفرنسيين فإنه لا يوجـد هنالـك أدنى فرق بين "كاليجولا" و"الإمبراطور" "فريدريش الثالث" فالعاهـل هـو إنـسان مستبد وكفي: "إنه أمر مستحيل على إنسان مستبد على الرغم من نيتـه الحـسنة – والتي تحتم عليه ان يتنحى – أن يوفق بين المبادئ الأساسية للماسونية والأخـلاق التراثية "لفن الدولة". وذلك مما لن ينجح فيه أيضًا "فريدريش الثالث" رغم ليبراليته وروحه الفلسفية وأخلاقياته المعطاءة". ومن الطبيعي أنه حينما يكون ضمن المبادئ العليا للماسونية السعي لإحلال النظام الجمهوري، فإن الإخوان الفرنـسيين علـى حق، وحينذاك لن يستطيع أي عاهل ماسوني أن يفعل شيئًا أحـسن مـن التنحـي بأسرع ما يمكن لكي يخلي المكان "لأمراء الماسون أصحاب السيادة".

وسوف نرى في المستقبل القريب ما إذا كان المرء سوف يشتكي عن حـق طغـيانًا أو استـبدادًا. ولنسمـع ماذا يقـول لنا صاحب الشرف الأعظـم الأخ.·. "أ. بايك"٣٣/.·.:"

"لقد ترك زعماء مجتمعنا السري جبابرة هذه الأرض ليشاركوا في الأعمال الماسونية دون منحهم حق الاطلاع على أكثر مما ينبغي، ولقد فعل المرء ذلك ليس سعيًا لحمايتهم، ولكن لمجرد ضمان تساهلهم، ولقد شاهدوا (أي زعماء الماسـون) بهدوء كيف تحولت الماسونية ظاهريًا إلى مؤسسات اجتماعية غيـر ذات أهميـة لأعمال الخير والدعم الاجتماعي حيث اعتقد كبراء هذه الأرض أنها فـي قبـضة

أيديهم كلية وأطلقوا الزعم بأن الدين والسياسة هما شيئان غريبان تمامًا عن الماسونية"(*).

هل مطلوب مزيد من الأدلة بعد هذه الاعترافات؟

إذا كانت الإجابة هي نعم فيلزم هنا التنويه عن مسلك بعض نشرات المحافل الألمانية والتي تتقارب بشكل ملحوظ من الأصوات الصحفية السابق ذكرها، لقد كان ذلك وقت أن اضطر الملك "فيلهلم الأول" إلى التهديد بإغلاق المحافل بسبب حراكها السياسي. حينذاك كتبت صحيفة "فراي ماورر تسايتونج" بتهكم شديد:

"يظهر أن إخواننا ذوي المراتب السامية لهم أحيانا رأي متفرد جدًا في الماسونية، فبدلاً من أنها رابطة للمتساوين في الحقوق والالتزامات فهي كرسي مريح يستعمله ذوي السيقان الضعيفة. إن إله الأولمب العليا تقوم بانتزاع الغرائز من البشر العاديين الذين تتلقي منهم في مقابل ذلك في الأعياد الكبرى أدخنة البخور الواجبة في تراحم أخوي وكرم"(**). وكذلك تكتب صحف ماسونية أخرى أشياء مشابهة، وبالذات الـ "باوهوته" غير أن تلك أمثلة ترجع لزمن بعيد! - ولكن الأمر لا يختلف في العصر الحديث والحديث جدًا، فمثلاً أفردت صحيفة "هيرولد" أربع صفحات ونصف الصفحة لتأبين "أنريكوفيرر" الذي تم إعدامه بسبب الشغب وجرائم متعددة أخرى(***) وتكريمه بطريقة فاقت احتفاء الماسونيين بأي عاهل قام بإجراء تغييرات جذرية بشكل سلمي، وحتى لا يساء الفهم: يمكن للمرء أن يتفهم أية حركة روحية وأن يأخذ موقفًا منها بشكل أو بآخر كما يمكن للمرء أن يجلي النواة الطيبة التي تكمن بداخلها ويدافع عنها، غير أنه في اللحظة التي تخرج فيها الأقلية عن نطاقها وتعتزم إرهاب الأغلبية عندئذ لا يمكن الكلام عن التسامح أو التقييم العادل.

(*) "Morals and Dogma"، صفحة ٨١٩.

(**) "فر أو ماورر تسايتونج" ٢٦ نوفمبر ١٨٦٤، صفحة ١٣٠.

(***) "دير هيرولد"، ٥ ديسمبر ١٩٠٩، العدد ٤٥، صفحة ٤.

فالقوة لا يصدها إلا القوة، ومن الملفت هنا أيضًا أن مراسل الـ "هيرولـد" الماسوني يسوق لنا معرفته المباشرة بأحد الفوضويين وصديق لـ "فيـرر" والـذي يتراسل معه بشكل حميم.

وليست فقط آراء الصحافة الماسونية هي التي تبعث على التفكير فحسب بل أيضًا تصرفات زعمائها ومعلميها الأكابر.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يدركون أو كانوا مضطرين أن يدركوا الـسمة السياسية العليا للماسونية الإيطالية فإنهم أقاموا معها أفضل العلاقات، بل إنهم تقبلوا منهم خطابات تهاجم "الاستبداد داخل الوطن (الألماني) نفسه"(*)

كما احتفى المحفل الكبير في "ساكسونيا" مرة أخرى بالمعلم الإيطالي الأكبر "أدريانو ليمي" في خطاب مبالغ فيه ك: " ملك الماسونية ليس فقط في إيطاليا ولكن في جميع أرجاء العالم..." وفي مثل تلك الحالة من الفيض العـاطفي يكـون مـن المفهوم أن ينظر العالم غير الألماني من أعلى على ألمانيا المحكومة "بالمـستبدين والطغاة" من خلال ابتسامة متأسية. وينتقد الأخ.·. "فيلهلم أور" وهـو مـن يمكـن اعتباره من أعظم الشخصيات وأنبلها من الماسونيين الألمان – ينتقد بعبارات عنيفة هذا التسول المبتذل للخارج، بالذات في كونه جلب لنا كل شيء إلا الاحتـرام مـن الدول الأجنبية، ونفس هذا الابتذال أبدته المحافل الألمانية الكبيرة لفرنسا.

وجدير بالذكر أن "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا" قد قطع العلاقات مع الـ "جراند أورينت" عام ١٨٧٧ وذلك بسبب الاستغناء عن "شعار معلم بناء العـالمين" من المكاتبات الرسمية، وصمم الإنجليز على موقفهم، ثم كان الفرنسيون هم الـذين سعوا لإعادة العلاقات ولكن دون طائل. أما مع الألمان فقد اختلف الأمـر تمامًـا،

(*) مثلما جاء في كتاب للمعلم الإيطالي الأكبر "بتروني" إلى المعلم الأكبر "فويستلط مـن المحفـل الكبيـر" تسورد زونه" في "باريرويت" وهي مطبوعة في "ريفيستا" وللا ماسونيرا إتاليانا" ١٨٨٣، صفحة ٦٧.

على الرغم من أن الموقف كان أكثر صعوبة بالنسبة للماسونيين الألمان حيث قطعوا العلاقات مع الـ "جراند أورينت" بسبب التصرفات غير المسبوقة للمحافل الباريسية العشرة تجاه الإمبراطور "فيلهلم الأول" إلا أنهم هم الذين سعوا وراء الفرنسيين دون أن يأملوا في عودة هذه العلاقات.

وكونهم كانوا في الدرجة الأولى من دوائر غريبة عن الشعب فذلك لا يشكل عذرًا للماسونية الألمانية ولكنه اتهام أخر. ولقد آذى هذا السعي الألمان بشكل غير عادي تجاه الفرنسيين، فلقد توقع ماسونيو فرنسا من قبل اندلاع الحرب وبشكل مؤكد وبتوافق مع الرأي العام انهيار الدولة الألمانية"، كما يؤكد لنا الأخ ∴ "فيلهلم أور" وهو واحد من أحسن العارفين بالنفسية الفرنسية(*).

أما ما هو مقدار ما إضافه التصرف المتهافت لقادة الماسونين الألمان إلى ذلك، فذلك ما يمكن أن يحسبه المرء بنفسه.

ويضاف إلى ذلك التصرف المثير للانتباه تجاه الماسونيين الصرب، على الرغم من أن العالم كله كان يعلم أن صربيا كانت تهدد السلام على مدى سنوات ورغم أن الماسونية الصربية مثلها مثل المجرية والإيطالية هي اتحادات سرية سياسية بشكل مطلق فإن كلا المحفلين الكبيرين في هامبورج وساكسونيا تقدما بطلب الاعتراف بها، على أن كلا المحفلين قد تعللا بأن المحفل المجري الكبير هو الآخر قد زار الماسونيين الصرب قبل الحرب بفترة وجيزة واعترف بهم، وحيث إن المحفل المجري الكبير قد ميز الماسونيين الصرب بشكل كبير وأنه كان يحتفظ في نفس الوقت ومنذ عشرات السنين بأفضل العلاقات مع محفل هامبورج الكبير، فيبدو أن الطلب قد جاء منه وقام بتزكيته وكان وكيل محفل هامبورج الكبير في ذلك الوقت "كارل دوشتيش" (تبعًا لتقويم "دالن") وهو مستشار إمبراطوري ورجل

(*) دكتور فيلهلم أور، صفحة ١٨٠.

صناعة في فيينا كما كان سابقًا معلم كرسي لمحفل "تسور فرويندشافت" في فيينا. "مستشار إمبراطوري وجمهوري متنكر؟" يحدث هذا كثيرًا جدًا في الدوائر التي ينتسب لها أفراد المحافل الفينياوية أنها نفس وجهة نظر الأرزقيين: اليوم ملكي، غدًا جمهوري حسبما يتفق.

هل كان هنا أيضًا شركاء في المعرفة بعملية الاغتيال؟ كان هنالك شيء ما في الجو، ليكن هنالك مئات يعرفون آلاف أحسوا ومئات الآلاف تنبأوا في صمت فحسب بأنه هنالك شيء بشع سوف يقع. لكن لندع التخمينات جانبًا، فالحقيقة هي أنه تحت قيادة المعلم الأكبر اليهودي "كون" أقر مؤتمر المعلمين الأكابر الألماني بتاريخ ٣١ مايو عام ١٩١٤ الاعتراف "بالمجلس الأعلى" الصربي.

كما أن الحقيقة هي أيضًا أنه بعد أربعة أسابيع تمامًا سقط الأرشيدوق ولي العهد ضحية الاغتيال بواسطة ماسونيين صرب، وليفترض المرء أنه كان هنالك في ذلك الحين على قمة الماسونية الألمانية رجال في مناصب معلمين أكابر ذوي شرف رفيع لا يعلمون شيئًا ولا يدرون بشيء ولكن حين يرفض المرء هذا الافتراض باعتباره ظنًا مهينًا فحينئذ لا يبقى إلا احتمال وحيد يأتي بمثابة اتهام رهيب ومن المسلم به من البداية أن غالبية الماسونيين الألمان ليست لهم أدنى علاقة بهذه المخططات الظلامية ولقد كان معظم معلمي الكرسي الصغار الشرفاء ذوي فكر ولائي للدولة وملكي الانتماء، ولنتذكر فقط ما هي الدوائر التي يأتون منها: فمن عدد ٦٢٩ معلم كرسي وقائم بالأعمال في الاتحادات الماسونية كان هناك ١٧٥ مدرس و١٠٥ أطباء وصيدليين و٤٠ موظفًا عامًا و٤٠ موظف بلدية و٣٠ مهندسًا معماريًا و١٦ رجل دين و١٣ معاشات و١١ موظفًا عسكريًا وضابطًا وعدد اثنين من الفنانين، ومن الوهلة الأولى نرى أن هذا التكوين لا يماثل تكوين لجنة ثورية، على أنه يضاف إلى هذا العدد ١٤٥ ممثلاً عن التجارة والصناعة وهم يميلون بطبعهم للمواطنة العالمية، ثم يأتي عدد ٤٠ محاميًا والذين يحلو لهم في كل العالم الانتماء لكافة المعسكرات، وكذلك عدد ١٢ كاتبًا ومراسلاً وهم بلا شك

مؤيديين للأفكار الجمهورية، وفي كل الأحوال فإن الكفة تميل نحو ذوي الأفكار المحافظة والداعمة للدولة، أما الزعماء الكبار فيبدو عليهم أنهم في ألمانيا أيضًا جمهوريون بشكل مؤكد، ولنذكر هنا للتاريخ اسماء المعلمين الأكابر للثمانية في ألمانيًا الذين قرروا بتاريخ ٣١ مايو عام ١٩١٤ الاعتراف بالـ (سوبريم كونسيل) لصربيا، وهؤلاء هم:

١- المعلم الأكبر للمحفل الكبير (تسور زونة) في (بايرويت) "ألكسندر شيلنج" رئيس محكمة إقليمية وضابط متعاقد (نقيب).

٢- المعلم الأكبر "أدالبرت فاجز" ضابط متقاعد (عميد) من المحفل الأم القومي الكبير (نسودن دراي فيلت كوجلن) في برلين.

٣- المعلم الإقليمي الأكبر "ستانسلاوس جراف تسوررونا" وهو الدكتور في الفلسفة وضابط متقاعد (نقيب) من المحفل الإقليمي الكبير لماسوني ألمانيا في برلين.

٤- المعلم الأكبر دكتور الفلسفة "برونو ألفين فاجنر" وهو أستاذ من المحفل الكبير في بروسيا المسمى "تسور فرويند شافت" في برلين.

٥- المعلم الأكبر "فيلهلهم سيس" مدير الكونسرفاتوار الموسيقى في "دار مشتات" من المحفل الماسوني الكبير "تسور آينتراخت".

٦- المعلم الأكبر الإقليمي "أوسكار رودر" دكتور فلسفة ومستشار ملكي طبي أعلى، أستاذ منتظم في الأكاديمية البيطرية الملكية في "درسون" من المحفل الإقليمي الكبير في (ساكسونيا).

٧- المعلم الأكبر الأخ.:. "كون" من المحفل الأم الكبير لرابطة الماسونيين "الإكليكتيكيين" في فرانكفورت على نهر الماين.

٨- المعلم الأكبر "فر. أورباخ"، تاجر من المحفل الكبير في هامبورج.

ومن اللافت أنه يوجد ضمن هؤلاء ثلاثة ضباط، وربما يمكن للمرء أن يفترض أنهم كانوا أقلية في التصويت أو أنهم على غير دراية للفحوى الحقيقية للأشياء لكننا في المقابل نعرف مثلاً من المعلم الأكبر (برونو آلفين فانجر) أنه قام يوم ٢٣ سبتمبر عام ١٩٠٧ في المحفل الألماني (جوتة) في باريس "بطرح الصورة المستقبلية للتآخي العام للشعوب وذلك من خلال عبارات وإيماءات العرافين وأنه تبادل مع المعلم الأكبر "ميزيرير" القبلة الأخوية في اعتناق حار وطويل"، وكان الأخ (ميزيرير) من أل (جراند لوج دوفرانس) قد نوه بشكل حاسم قبل ذلك بيوم واحد عن شجاعة المساعي الماسونية لكل الشعوب وكانت احتفالات افتتاح المحفل الفرنسي الكبير قد أقيمت يوم الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٩٠٧ وكانت بمثابة إعلان رائع للإخاء بين كل من الماسونيين الفرنسيين والبلجيك والألمان، حيث كان من ضمن الخمسمائة مشارك كل معلمي الكرسي تقريبًا من المحافل الفرنسية، كما شارك ممثلون من بلجيكا وهولندا وألمانيا ورومانيا والبرتغال واليونان وسويسرا.

الجزء الرابع

نحو جمهورية عالمية ماسونية
من خلال الثورة العالمية

تم التدليل على الحراك الثورى للماسونية من خلال عـدة دول حتـى الآن، فالروح في الأساس واحدة والهدف هو دائمًا: الجمهورية.

فأما في الدول التي لم يتم تناولها بشكل مفصل، فالماسونية تهيمن عليها نفس المقاصد – مثال على ذلك: بلجيكا. ولقـد تـم التنويـه عـن أن الأداء الـسياسي للماسونيين في بلجيكا كان في البداية علنيًا ومرئيًا للجميع، ولقد أقر "المعلم القومي الأمر الأكبر" الأخ .·.هاسه حرفيًا بأن المحافل البلجيكية قد تطورت إلـى مـدارس حقيقية للسياسة(*). والروح التي تهيمن على المحافل هي روح جمهورية صـارمة. وتبعًا لذلك فإنه لا يتم رفع الكؤوس في المحافل الاحتفائية على نخب الملك ولكـن على "الشعب المهيمن" ولن يندهش أحد من العالمين ببواطن الأمور إذا مـا ظهـر موضوع "الجمهورية البلجيكية" ضمن موضوعات المحاضرات في دوائر الماسونية البلجيكية. ويتضح مدى مشاركة الماسونيين هناك في الأحداث الثورية في الخارج ومدي تشابك علاقاتهم مع محافل الشرق الكبير في الدول الأخرى من خلال خطبة مثيرة للانتباه للأخ .·."فورنموه" والتي ألقاها عام ١٩١١ كمحاضر أكبر: "تـذكروا الإحساس العميق بالفخر الذي نستشعره حالمًا تلقينا أخيرًا أنباء الثورة في البرتغال. لقد انهار العرش في بضع ساعات واحتفـى الـشعب بالانتـصار، لقـد أعلنـت الجمهورية. لقد كان ذلك بمثابة صاعقة نزلت من سماء صـافية لـصالح الـشعب الغافل..." حقًا! فصاعقة مثل تلك فاجأتنا نحن أيضًا في النمسا، وكذلك في ألمانيـا.

(*) نشرة دو جبر.. أو.. دوبلجيك ٥٩٠٧، صفحة ٥٣

ولقد كان جهل الدوائر الحاكمة مطبقًا لدرجة أن وزير العدل النمساوي السابق، دكتور "ر.ف. شاور" على سبيل المثال لم تكن لديه أدنى معلومات حتى عام ١٩١٨ عن كينونة الماسونية وأهدافها النهائية.

وأنه كان يعتبر محافلها مجرد روابط إنسانية لا ضير منها.. والإنسان ما المسالم تتبدى له الأمور كلها مسالمة، غير أن النمسا قد انهارت بفعل تلك البراءة لحكومتنا المسالمة، وكذلك الحال في ألمانيا. وحينما يكون الجهل جريمة في بعض الأحيان، حينئذ... ولكننا نفضل الصمت تأدبًا! ولقد كان لدى الألمان في "الرايخ" المنظومة B، كما كان عندنا "المنظومة S" وهم رجال أكفاء وصالحون في حد ذاتهم ولكنهم يعانون من قصور غير مسبوق في الرؤية وعدم قدرة على مجابهة الظروف الاستثنائية.

وهل لنا أن نضرب مثلاً آخر بغرض إقناع هؤلاء المسالمين؟ ومن باب التغيير دعونا نضرب مثلاً من العالم الجديد! البرازيل! لمن يرجع الفضل في إقصاء إمبراطور البرازيل الأخير "بدرو الثاني" عن العرش؟ إنه المارشال "ديودورو دا فونسيكا" وقد كان ماسونيًا، حيث أشعل الحركة الثورية كلها من المحافل الماسونية. وهذا الأمر لم يتم نشره في نشرة محلية نكرة للإكليروس ولكنه في صحيفة "برلينر تاج بلات"(*) الماسونية والموثوق بها - في هذا الشأن على الأقل.

وهل يلزم أيضًا التنويه عن اليونان، وذلك الدور الذي لعبه من يسمى "فينيسيلوس"؟ إذن فليعلم "أبرياؤنا" أن زعماء ذلك الحزب الذين نفذوا عزل الملك "قنسطنطين" كانوا كذلك ماسونيين وأنهم على علاقة وثيقة بـ "جراند أورينت دو فرانس" حيث يمتلك الشرق الفرنسي الكبير هناك أيضًا محافله الخارجية كما هو

(*) "برلينر تاج بلات" بتاريخ ١٠ اكتوبر ١٩١٠، العدد ٥١٤

في كل أرجاء العالم والذي يقوم من خلالها بالتأثير على المحافل المحلية لصالح معتقداته.

وكفى عند ذلك الحد. ولقد تم التمهيد لتلك الثورات بشكل تخطيطي وبإصرار وبشكل دؤوب وبهمة غير مسبوقة، حيث يتوجب إسقاط الملكيات في جميع أنحاء العالم ومطاردتها. ولم تترعرع هذه الخطط الظلامية بالأمس فحسب، ولكنها نمت مع الماسونية بإطراد. ويمكن رصدها منذ عام ١٧٤٠ إذا ما أخذنا في اعتبارنا الماسونية الروحية فقط. ولكن إذا ما أردنا رصد الماسونية البنائية كذلك، فإنه يمكن قراءة نصوص ترجع إلى "أوليفر كرومويل" (١٦٤٨) وإلى الثورة "المجيدة" لعام ١٦٨٨/١٦٨٩، ولكن دعونا ننحي هذه الأحداث جانبًا لكي لا نحيد عن المسار الصحيح

في عام ١٧٤٠ ألقى المعلم الأكبر دوق "فون أوتين" خطبة في أحد احتفالات المحفل الكبير لفرنسا نوه فيما عن أن الماسونية قد نشأت لكي يتم إقامة النظام الجمهوري في كل أنحاء العالم. ويقر الأخ: "فيلهلم أور"- الذي ردد هذه الفقرة حرفيا(*)- يقر بلا تحفظ بالروح الثورية للماسونية الفرنسية، كما يقر بدون تردد بأن روح ١٧٨٩ مرئية هنا، حتى أنه يقرر أن نفس الروح ونفس الأفكار قد سيطرت فيما قبل على دوائر المثقفين في ألمانيا والتي استلهموها بدون قصد من فرنسا.

كذلك فإن كلا من الكتابين الفرنسيين "لا فرانك ما سون" (١٧٤٤) و"لو فرانك ماسون إكراسيه" (١٧٤٦)(**) واللذين ليسا من المؤكد إن كانا يعتبران أنهما "كتابي خونة" أو أنهما مجرد كتابين ظاهرهما أنهما ضد الماسونية، وحقيقتهما أنهما كتابا مصارحة ماسونية، أنهما ينوهان عن خواطر عن الجمهورية العالمية وكذلك

(*) "فيلهلم أور" الروح الفرنسية والماسونية، صفحة ٣٠

(**) شرحه، صفحة ٣٥

الخطوط الرئيسية لبرنامج ثورة ١٧٨٩ بما في ذلك شعاري "الحرية" و"الإخاء"، أما شعار "العدالة" فقد أضيف لهما بعد عزل الملك.

وهنا نستأذن في إجراء مداخلة، فمن الضروري إثبات أن اصطلاح "العدالة" لا وجود له في الماسونية، فليست هنالك عدالة بين كل المتدرب والزميل والمعلم- ذلك كما ينوه الأخ ∴ "أور" عن حق – ناهيك عن الدرجات العليا! "لا يوجد في العالم عدالة أقل من تلك التي في الماسونية الفرنسية بدرجاتها الثلاث والثلاثين، فالمتدرب لا يتساوى مع الزميل الذي لا يتساوى بدوره مع المعلم، كما أن المعلم يخضع لـ "فارس روز نكرويس" والذي يخضع بدوره لـ "الفارس الأكبر كادوش". وهذا الأخير يتحتم عليه أن ينحنى أمام "قومندان أنكيسيتور الأكبر" وهذا بدوره عليه أن يترك "أمير السر الملكي" يتقدم أمامه. وهذا "الأمير" يقف فوقه "المفتش الأكبر المهيمن" والذي يسبقه في الدرجة عضو المجلس الأعلى، أما رئيس المجلس الأعلى فهو "القومندان الكبير الأعلى قدره وهيمنة" إنها حقًا عدالة ظريفة! فهل يتطابق ذلك مع الواقع؟

نعم! لأن الذي يخبرنا بذلك هو الكاتب الماسوني الأخ∴ "دوبواه"(*) في الـ "أكاسيا"!

كذلك الأخ "فيلهلم أور"، الذي تأسرنا صراحته، يخبرنا بنفس الشيء عن "مجلس التنظيم" (كونسيل دولوردر) الذي يتولى بالفعل إدارة الشرق الفرنسي الكبير والذي يطلق عليه "أوليجا ركيه" التي حلت مكان "الديمقراطية" ويسري المبدأ الارستقراطي في كل مكان في الماسونية الفرنسية، فالسلطات الأعلى مثل "ريتوال كولجيوم" استكملت نفسها من خلال انتخابات تكميلية لحاملي الدرجة الأسكتلندية الثلاث والثلاثين والتي يقومون هم بمنحها: "حقًا إنها سلطة لا ديموقراطية"(**).

(*) "أكاسيا"، نوفمبر ١٩٠٧، العدد ٥٠، صفحة ٢٨٥

(**) "فيلهلم أور" شرحه، صفحة ٧٧

كما أنه لا يوجد كذلك في الماسونية "حرية"، فقبل كل شيء لا توجد حرية إبداء الرأى، حيث توجد رقابة تفوق في صرامتها رقابة الدولة. وهذا يسري بشكل خاص في فرنسا، بينما يخضع الفرد الماسوني في ألمانيا بشكل عام لرقابة ذاتية مثلما يحافظ على قسم الصمت(*) وتنص نشرة دورية صادرة عن "جراند أورينت" بتاريخ الأول من يناير عام ١٨٩٤ بالحرف الواحد على: يتحتم على معلمي الكرسي والخطباء انتهاز كل مناسبة لتذكير أوساطهم بأنه لا أحد من الماسونيين عنده الحق تحت أي زعم في إعلان شيء عن التنظيم ومؤسساته إلا بتصريح نصي وبالأسلوب والطريقة المقررة(**).

ولا يتمتع الماسوني الفرنسي بمجرد الحق في حرية التفكير، حيث يتحتم عليه أن يكون جمهوريًا "ومعاديًا للإكليروس"، أما ما يعنيه اصطلاح "معادي للإكليروس" فقد تم تناوله بالتفصيل فيما سبق. كذلك لا يمكنه الخروج من التنظيم حسبما يريد، بل وفي بعض الأحيان يمكن للمحفل أن يستمر في سوقه رغم أنفه كعضو. إلى أن يتوفى وفي المقابل من الممكن - على الأقل في إيطاليا- أن يتم طرده من الماسونية بدون سابق إنذار حسبما يروق للمعلم الأكبر.

ويذكر الأخ دكتور "موسيلمان" في كتابه القيم عن الماسونية الإيطالية مثالاً على ذلك غنيًا بالعبر: "بتاريخ الرابع من ديسمبر عام ١٩١٤ طُرد الأخ الدكتور ب. عضو مجلس التنظيم - ومعلم كرسي المحفل في بلونو بطريقة تلغرافية بواسطة المعلم الإيطالي الأكبر - من التنظيم دونما اعتراض أو استجواب!"(***).

(*) "فيلهلم أور" شرحه، صفحة ٧٣.

(**) شرحه، مطبوعاً، صفحة ٧٤.

(***) دكتور لودفيج موسلمان، الماسونية الإيطالية وتأثيرها في مشاركة إيطاليا في الحرب العالمية، برلين، ١٩١٥

ويمكن استعراض "الحرية" كما يعنيها الماسونيون من خلال أمثلة عديدة، ولكن يكفي ما تم عرضه هنا من أمثلة.

وماذا عن الإخاء؟ أنه موجود، ولكن وجوده فيما بين "الإخوان" وبعضهم فحسب. وهنا أيضًا توجد تحفظات أساسية من وجهات نظر معينة. فحينما يتتبع المرء الصراعات المريرة التي دارت في كل الدول بين الماسونيين بعضهم البعض، فإنه يكتسب انطباعًا في هذا الشأن يبتعد كثيرًا عن الحفاوة بالمثل الماسونية العليا. ولكن دعونا نتساءل: كيف صمدت هذه الشعارات الجميلة التي يتم لقمها للجماهير منذ نحو قرنين من الزمان والتي كانت الجماهير تتلقاها بنهم؟ ولقد لخص الكونت "فريدريش شوبنورن" وزير العدل النمساوي السابق حكمه القيم على الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ في تلك الخواطر شديدة التميز: "لقد بدأت بالهوس للحرية والمساواة والإخاء لكي تنتهي بالعمل المتواصل للمقصلة ولتخريب فرنسا أولاً ثم كل أوروبا من خلال حروب دموية" إنها عبارة لا يمكن لأحد إنكار ما فيها من حقيقة عميقة.

لكن دعونا نعود إلى الأفكار الرئيسية لهذا الفصل. لقد كان تحرير البشر من "الجبابرة" هو أيضًا هدف "تنظيم التنويريين" **(Illuminatenorden)** الذي لعب دورًا كبيرًا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والذي كانت له نقط تماس كثيرة مع الماسونية. ولقد كانت لفكرة المؤاخاة العالمية والجمهورية العالمية آنذاك فعل السحر حيث نادى بها مفكرون عمالقة مثل الأخ.:. "إيمانويل كانت" غير أن الشكل الجمهوري للدولة لم يجد مدخلاً في الطبقات العريضة للشعب الألماني إلا في القرن التاسع عشر، ولقد كان المنادى بهذا الشكل هو الثوري والماسوني "ماتسيني" الذي كان الرجال ثقاتة ينشطون بهمة في كل أوروبا، فبالنسبة له تكون الجمهورية هي "الشكل العادل الوحيد للحكومة القابل للتفكير. والشعب هو كل شيء" غير أن الشعب يكون هو "كل شيء" إذا ما توافق مع وجهة نظر "ماتسيني" وإذا ما قسم

بكلمات هذا السيد والمعلم فإن لم يفعل ذلك، فهو مجرد "رعاع جهلة وفاسدون (Volgo ignaroe corrotto) وأغلبية من البلهاء وجمع من المشوشين المحتاجين للتهذيب بواسطته (ماتسيني) وواسطة أمثاله(*).

وبناء على رؤيته فإن "ماتسيني" نفسه هو "زعيم الشعب والإنسانية المبعوث من خلال فضائله وعبقريته" والذي ينوب عن "الشعب القائد". ومن المفهوم طبعًا أنه على "الشعب القائد" أن يوافق على البرنامج المعلن من نائبه المبعوث من خلال "الفضيلة والعبقرية". ونجد في أعمال "ماتسيني"، وبالتحديد في الجزء الثامن عشر، صفحة ٨٩ عبارة تحررية عجيبة الشأن: "حين يعلن الشعب (!) أن هذه أو تلك هي تعاليم عقيدته فحينئذ يتحتم عليكم أن تحنوا رؤوسكم في خشوع وأن تكفوا عن كل أعمال التمرد". وهكذا يكون الأمر دائمًا: كل حركة ثورية تبدأ "تحررية" تنتهي إلى شهوة السيطرة والاستبداد حالمًا يصل رسل الحرية إلى الحكم، وهذا ما تعترف به النشرة الماسونية "ريفيستا دللا ماسونريا اتاليانا" في جرأة غير مسبوقة: "الفكرة الثورية في الأمس، هي فكرة محافظة اليوم" ومن منا لا يتذكر موقف التشيك الذين أعلنوا في "مجلس الرايخ": "لا يوجد شيء اسمه خيانة عظمى! والخيانة العظمى ليست بجريمة!"، أما الآن فإنهم يطاردون في دولتهم التشيكو – سلوفاكسية كل فرد بتهمة الخيانة العظمي ويهددونه بالموت إذا ما رغب في استخدام حقه كمواطن ألماني في انتخاب الجمعية الوطنية لألمانيا والنمسا!

ولقد تم تداول الفكر الجمهوري – الذي تم امتهانه بشدة في فرنسا من جراء أهوال الثورة– في إيطاليا في منتصف القرن التاسع عشر ثم قفز مرة أخرى إلى فرنسا في نهاية القرن. ولقد تم التعبير في كل من إيطاليا وفرنسا عن الأمل في أن تحل ألمانيا الفتية الفكر والعمل (الديمقراطية الاشتراكية) محل ألمانيا الإقطاعية

(*) انظر "هرمان جروبر" ماتسيني والماسونية والثورة العالمية، صفحة ٣٣، ١٠٤ وما بعدها

الإمبراطورية في أقرب وقت، حينذاك سوف يتم كذلك إيجـــاد التـــسوية المنـــشودة لمسألة "الإلزاس – لوترينجن" التي تهدد السلام الأوروبى"(*).

ولقد ظهر هذا الفكر بشكل أكثر وطأة في المؤتمر الماســوني لكــل الــدول المنعقد في باريس عام ١٨٨٩ تحت عنوان احتفـــال القـــرن لثـــورة عـــام ١٧٨٩ "المجيدة".

ولقد ذكر الأخ .·. "فرانكولين" الذي تم استدعاؤه مـــن قبـــل الـــــ "جرانـــد أورينت" لإلقاء خطبة احتفائية، ذكر وسط تصفيق متواصل "سوف يأتي يوم علـــى الشعوب التي لم يكن لها قرن ثامن عشر ولا سنة مثل ١٧٨٩ تنهار فيه الملكيـــات والأديان. وهذا اليوم ليس ببعيد، إنه اليوم الذي نتوق إليه. وفي ذلك اليوم سوف يتم تحرير كل المحرومين والتكفير عن كل المظالم وإلغاء كل الامتيازات وحصول كل الأقاليم المغتصبة (إلزس– لوتر تيجن، "بوزن"، "جاليسيا"... إلخ) على حق تقريـــر المصير. حينئذ سوف تتوحد كل المحافل الكبيرة وكل محافل الشرق الكبيـــر فـــي جميع أنحاء الأرض داخل إطار من التآخي العالمي. وسوف تختفي إذن الـــشقاقات والحدود الإقليمية التي تفصل الماسونية. ذلك هو المثل الأعلى الرائـــع للمـــستقبل والذي يتراوح أمامنا، ومهمتنا هي أن نعجل بقدوم يوم التآخي العام هـــذا" ويقـــول الأخ "فيلهلم أور" أن تلك العبارات تتحدث بلغة واضحة بحيث لا يبقى هنالك شيء يـــضاف لهـــا. لكـــن علـــى كـــل الأحـــوال فـــإن الحـــديث هنـــا لا يتناول سوى الثورة الألمانية المتوقعة وإقامة الجمهوريـــة والتـــآخي الماســـوني العالمي.

على أن فكر الجمهورية العالمية (**Republique Universelle**) يأتي ذكـــره بكل وضوح في المؤتمر الماسوني الثاني لكل الدول في بـــاريس (١٩٠٠) وذلـــك

(*) "ريفيستا ماسونيكا ايتاليانا" ١٨٨٩، صفحة ٨٢

كفكر أساسي لكل المؤتمر، حيث كان كل المتحدثين تقريبًا يرجعون إليه ويأخـذون منه موقفًا(*). ومن قبل الجميع كان هنالك الأخ .·. "كارتيه لاتنت" بنفسه والذي قدم طلبًا لتأسيس مكتب دولي ماسوني لإدارة الأعمال "تكون مهمته دمج كـل القـوى الماسونية في جميع أنحاء العالم لنصرة فكرتهم العزيزة ولتفعيل إنشاء الجمهوريـة العالمية (**Republique Universelle**) وهو يذكر بالقول المأثور لـ "أرشـميدس" العظيم: "أعطوني قاعدة ارتكاز وسوف أغير لكم حال العالم" ويستطرد: "من خلال توحيد القوى الماسونية في كل العالم سيكون عندنا القاعدة التي من خلالها سـوف ننتشل العالم.." حقًا، إنها عبارة ذات مغزى...

ويرحب الأخ.. "ديكوير – جروبل" بهذا الطلب بغبطة شديدة ويرى أنه فـي حالة توفيق المؤتمر لتحقيق هذا الأمر فإن كل الماسونيين سوف ينطلقون "لغزو كل السلطات العامة والسياسية في أوروبا وجميع أنحاء العالم..." وفي الختـام يـردد هتافات "للجمهورية العالمية التي سوف تؤسسها الماسونية العالمية" وسط عاصـفة من التصفيق.

ويعلن الأخ.. "بوركيريه" رئيس اللجنة التحضيرية عن أمل واثق من خـلال الهتاف: تحيا الجمهورية العالمية! لن يكون هنالك بعد الآن أفلاطوني (!)

كذلك يتحرك الأخ.. "رينيه رينوه" – المستدعي من قبل الـشرق الفرنـسي الكبير كخطيب رسمي – في نفس الدائرة الفكرية "... حـال عـودتكم لمحـافلكم المحلية سوف تقررون أولاً كيف أننا والوفود الخارجية كذلك قد هتفنا للجمهوريـة العالمية". ويجدر التنويه كذلك عن خطبة المندوب البرتغالي والذي اختتم خطابه في ذاك الوقت (١٩٠٠) بالكلمات المعبرة: "..... أنا واثق بـأنني لـن اصـطدم مـع إخواني البرتغاليين حينما أهتف: تحيا الماسـونية الفرنـسية! تحيـا الجمهوريـة

(*)"كونجرس ماسونيك إنترسيونال دو ١٩٠٠" (التقرير الرسمي للشرق الفرنسي الكبيـر ١٩٠٠، صـفحة ٣٧، ٣٩.

العالمية!" وكانت البرتغال في ذلك الحين ما زالت ملكية. وبعد عشر سنوات تكلل نشاط الماسونية البرتغالية بالنجاح وقامت الجمهورية! وليس هذا فحسب بل أيضًا في تركيا نجحت الثورة في تلك الأثناء، وإذا كان الماسونيون الأتراك لم يستخلصوا منها العواقب الأخيرة لأنفسهم، فذلك حدث لمجرد أنهم شعروا هناك بأنهم مازالوا ضعفاء وغير مهيأين بعد للاستيلاء الفورى على السلطة في تلك المملكة المترامية الأطراف والمتعددة الأعراق.

ومنذ ذلك الحين انعقدت مؤتمرات دولية عديدة للماسونيين والتي عملت بنفس الفكر. كذلك كان هنالك مؤامرات ماسونية متعددة ومحاولات انقلابية مثلما في أسبانيا. ثم بدأت الصحافة، والتي كانت في معظمها في أيد ماسونية في كل الدول، في الاندماج مع بعضها شيئًا فشيء، كذلك أخذت الدول الحكومية بالماسونية في التوحد مع بعضها بشكل أوثق، حتى تحقق أخيًا المسعى المنشود لأكبر ماسوني العالم وهو الأخ: إدوارد السابع لتطويق القوتين المركزتين (ألمانيا والنمسا). ثم ماذا؟ حينئذ أمكن لطلقات رصاص الماسونيين الصرب أن تنطلق حسب البرنامج...

وأمكن للعالمين ببواطن الأمور أن يضبطوا الساعات في أيديهم على لحظة اندحار كلتا "القوتين الإمبراطوريتين التيوتونيتين" اللتين صدر عليهما حكم الإعدام من محافل الشرق الكبير في كل العالم.

وبواسطة الخيانة الداخلية تم طعن الجيش من الخلف والذي كان ما يزال منتصرًا وقامت أمام أعيننا الجمهوريات المنشودة باشتياق من أعدائنا. أما نحن فنسأل أنفسنا بمرارة في القلوب وفزع للضحايا المهولين بلا طائل:

أي صنف من المثاليين، هؤلاء الذين حكمونا؟

الماسونية والحرب العالمية

هذا البحث الأخير يتجاوز عنوان الكتاب، ولذا يمكن إغفاله. ولعل القــاريء الذي تابع كل الشروحات المذكورة حتى الآن سطرًا بسطر يصل بنفسه حتمًا إلــى النهاية المنطقية: إذا ما كانت الماسونية تسعى فعلاً للجمهورية العالمية– وهذا ممــا لاشك فيه– وإذا كانت قد أشعلت ثورات في كل مكان – وهذا حقًا أمر أكيد– فهي حينئذ تكون غير مبرأة من أفظع تلك الثورات وأكثرها ترويعًا، ألا وهي الحــرب العالمية. إن مجرد التخمين يفضي إلى أن نصيبها في عملية الدمار البشع لأوروبــا يفوق بكثير ما كنا نحن الألمان السذج الأبرياء نميل لافتراضه.

وفي الوقت الذي ألقى الماسونيون الــسلاميون (Pazifist) بــشعار الــسلام العالمي وسط الجماهير، لجأت كل من الماسونية الفرنسية والإنجليزية الحاســمتين إلى سياسة تفضي حتمًا إلى الثورة العالمية، أو في حقيقــة الأمــر إلــى الحــرب العالمية.

ويقول الأخ ∴ "فيلهلم أور" والذي كان سلاميًا ومواطنًا عالميًا والذي أصبح من خلال الحرب مواطنًا ألمانيا ذا حس وطني والذي تعرف على الروح الــشعبية الفرنسية وأدركها معنويًا أكثر من أي ألماني قبله، يقول بلا تردد أو تفكيــر: "كــل الشعب الفرنسي مذنب في كارثة أوروبا لأنه لم يرغب في التعرف علــى الــشعب الألماني ولأنه من خلال وقوعه أسيرًا لأحكام مسبقة غاية في الخطورة قــد لعــب بالمسألة الإلزاسية كما يلهو طفل بقداحة ولأنه استسلم لخداع مــشئوم بخــصوص مدلول وروح الكائن الألماني". غير أنه يردف بأمر آخر نود أن ننوه عنه بــشكل خاص: "تتحمل الماسونية باعتبارها واحدة من القوى الكبرى والرائدة هذا الــوزر

بالدرجة الأولى"(*). ويذكر الأخ "أور" أنه كان يتحتم على الماسونية أن تقوم بدورها ككاشفة ومتصالحة وأن تتدخل في مواجهة التوجهات الشعبية المنحرفة وأنه كان يلزم على الشرق الفرنسي الكبير بالذات أن "يتخطى معبوده الأعلى، ألا وهو العائلة الفكرية لعام ١٧٨٩". وهكذا يرى الأخ."أور" أن خطأ الماسونيين. هو في مجرد "الإهمال".

ولقد تم إثبات خطأ تلك النظرة في الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب، حيث تم تقديم الدليل على أن اغتيال ولي العهد النمساوى تم بناء على إجماع الآراء كعمل للشرق الفرنسي الكبير.

غير أنه على الأخ ∴ "أور" كذلك أن يقر بأن "ماسوني فرنسا قد أجروا حساباتهم بشكل أكيد على انهيار الدولة الألمانية"(**). ويقول "أور" أن المثقف الفرنسى يرى في ألمانيا ماردًا ضخمًا يقف على قدمين من صلصال، وأما ما كان يقرأه في جميع صحافته عن ألمانيا فهو عبارة عن تضارب فج بين إمبريالية الإمبراطور الباحث عن توسيع مملكته في شهوة محمومة للتسلط وبين الثورة الاجتماعية هذه الثورة التي سعى ماسونيو فرنسا بذكاء لدعمها.

وليكن ذلك هو الرأى الأوسط للماسونيين الفرنسيين غير أنه يلزم ألا يتغاضى المرء عن أن قيادة التنظيم الفرنسية قد مارست سياسة فاعلة جدًا ونشطة، وأنه لم يعلم "بالسر" سوى قلة قليلة من الإخوان "فائقى الضوء" – تمامًا كما جرى في أحداث سابقة كانت قد فاجأت الشعب الغافل– وقطعًا لم يكن عند هؤلاء مناسبة أو فرصة لإخبار الأخ "أور" بسر يوم ٢٨ يونيو ١٩١٤.

(*) "د. فيلهلم أور"، الردح الفرنسية والماسونية"، صفحة ١٨٢

(**) ما قبله، صفحة ١٨٠ وما بعدها

وليس على المرء إلا أن يضع نفسه في الوضع السالف فماسونيو فرنسا لم يعرفوا النمسا– المجر وألمانيا إلا من خلال أوصاف أعدائنا الداخليين، فلم يعرفوا سوى القوى التخريبية ولكن لم يعرفوا القوى التماسكية للدولة. ويمكن تخيل نمط تفكيرهم كالتالي: بوفاة ولي عهد النمسا تسقط كل الموانع، حيث إن الإمبراطور المسن ذا الأربعة وثمانين عامًا لن يستطيع بالتأكيد النجاة بحياته من هول الانفعالات، وفي المقابل فالإمبراطور الصغير هو عديم الخبرة وحسن النية إلى حد كبير، وباختصار فمن المحتم انهيار الإمبراطورية النمساوية المجرية، أما ألمانيا المحاصرة من كل جانب فلن تنتظر حتى توضع في اختبار قوى حربي، فالاشتراكيون والنواب القوميون سوف يقومون في المقابل بوضع نهاية للملكية وعزل العائلة الإمبراطورية لكي يتجنبوا الحرب.

وكان الأمل في ثورة من جانب جموع العمال الألمان هو رغبة عامة في الدوائر الأجنبية للماسونيين وتم التعبير عنه في مناسبات لا حصر لها. وكون ذلك هو نمط التفكير، وهو المبادئ القائدة، فذلك مما يظهر من خلال حقيقتين مهملتين، أولهما السحب المنتظم للذهب من الرايخ الألماني بواسطة قوى المال الدولية ثانيهما التعبئة التي بدأت في روسيا في ربيع عام ١٩١٤ ويمكن القول إن الجميع كان يحسب احتمال حرب كبيرة. ولكن قطعًا لم يحسب أحد لاستمرارها أربع سنوات.

ولكن يكون الأمر أكثر وضوحًا: لقد أراد الماسونيون الثورة العالمية لتحقيق هدف الجمهورية العالمية، وهذا ثابت من اعترافاتهم الشخصية. ولم تكن الحرب العالمية بمثابة إثم يسعون له، ولكن على العكس كانوا يتمنون تجنبه. ويوجد في قانون العقوبات النمساوي اصطلاح مناسب وهو **Dolus Indirectus** (تعمد غير مباشر، المترجم).

وهو ما يحدث في حالة الضرب المفضى إلى الموت، أي أداء فعل بقصد عدائي يؤدي لموت شخص بدون وجود نية لقتله(*).

(*) المادة ١٤٠ من قانون العقوبات تنص على " يعتبر العمل الذى يؤدي لوفاة شخص بدون قصد لقتله ولكن يتم أداؤه بشكل عدائي هو بمثابة جريمة ضرب مفضي الى الموت.

ولقد أجرى "العالمون" من أمراء الماسون حسابات أكيدة على انتفاضة التشيك مثلما وضع لهم هذا الأمل كل من الأخ .·. "كرامارش" والأخ .·. "مازاريك"، كذلك توقعوا نوايا انفصالية لكل من البولنديين و"الروتين" و"السلاف الجنوبيين" وكذلك انسلاخ كل من الإيطاليين من أصل نمساوي والرومانيين في المجر. كما أجروا حساباتهم أيضًا على مساعدة الديموقراطيين الاشتراكيين الذين كانوا يودون تجنب الحرب هنا وفي الرايخ، حيث بنوا آمالهم على الأداء السلامي للصحافة الليبرالية في كل من المملكتين وأخيرًا وليس بآخر على النفوذ الذي سيمارسه الماسونيون الألمان للمحافظة على السلام. غير أنهم لم يتحسبوا لشيء واحد وهو المرارة الهائلة لجموع الشعب تجاه السفاحين الصرب. وعلى نقيض الدول الرومانية فإن الاغتيال السياسي عندنا يعتبر من أشد الأمور ندرة. وهذا ما يفسر لنا حالة السخط العام وأن إعلان الحرب على صربيا هو بمثابة عمل خلاصي- ليس بين الألمان فقط ولكن أيضًا بين جزء من الشعوب غير المتحدثة الألمانية في الإمبراطورية النمساوية المجرية.

غير أنه عند اندلاع الحرب فعلاً سعت محافل الشرق الكبير بكل قواها لكسبها وألبت الدول دولة بعد الأخرى لخوض غمارها، وهذا ما يقر به اليوم عقلاء الماسونيين الألمان الذين لم يظهر لهم الأداء السياسي الرفيع للماسونية العالمية إلا أثناء الحرب.

ولقد أصدر الأخ .·."موسلمان" نشرة تشرح بشكل مقنع أن دخول إيطاليا الحرب العالمية كان من فعل الماسونيين بشكل حصري. ولكي لا يحدث التباس فإن الأخ: "موسلمان" ينوه بشكل خاص عن أن هذا الذنب الدموي الثقيل لا يحمله مجرد بضعة ماسونيين منفردين، ولكن تتحمله الماسونية الإيطالية بصفتها. غير انه حين يتنبه الأخ .·."موسلمان" الآن فقط إلى أنه هنالك "فروقات أساسية عميقة(!) ما بين الماسونية في إيطاليا والماسونية الألمانية" وحين يصل الآن أيضًا إلى أن

الماسونية الإيطالية ما هي إلا استبداد مطلق، فإنه يكون الأوان قد فات على ذلك، فهذه الفروقات إما أنها كانت قائمة من عشرات السنين وتم تجاهلها عمدًا، أو أنها غير قائمة بالمرة، حيث إنها تكمن في مجرد شكل الأداء وليس في الأهداف النهائية.

ويذكر الأخ "موسلمان" قائمة كاملة من الأوامر السرية والنشرات الدورية للشرق الإيطالي الكبير والتي يتضح منها أن السلطة الماسونية الأعلى قد مهدت أدبيًا أولاً لدخول إيطاليا الحرب العالمية ثم نفذت ذلك فعلاً ضد إرادة أغلبية الشعب. وتجدر الإشارة هنا لموضعين في خطبة حرب للأخ ∴"بكالوتسو" يلزم أن يضعها أخواننا "المسالمون" أمام أعينهم: "حين تحرك العالم مناسبة عظيمة فإنها تنطلق من المحافل وهؤلاء يدخلون القتال بكل ثقل قواهم".. وهذه حقيقة لم يتم تقديرها أبدًا في الدوائر الدنيوية، اللهم إلا في الدوائر المسماه "الإكليروسية". أما الموضع الآخر والمفروض أنه ألهب الإخوان الإيطاليين "للتدخل"، أو بمعنى آخر للحرب ضد النمسا، فهو يناقش أهداف الحرب. وهو يكتسب أهميته من كون أول نقاطه تقول: "تحالف دول نهر الدانوب كبديل للإمبراطورية النمساوية". من ذلك يتضح أن أولئك الذين يقفون ضد الوحدة مع ألمانيا ويناصرون "وحدة دول الدانوب" يعملون بروح وعقيدة المحافل وهذا يتواءم تمامًا مع الواقع.

فالإخوان الفييناويون أعضاء المحافل يطرحون فعلاً هذا الشعار الانتخابي (انظر أيضًا وعلى سبيل المثال: الدكتور "بلازل"!) وفي منشور آخر للشرق الإيطالي الكبير يتم مطالبة معلمي الكراسي بما فيهم أولئك في المحافل الإيطالية الخارجية في تركيا ورومانيا وتونس والأمريكتين الشمالية والجنوبية، يتم مطالبتهم بالتجسس السياسي وتذكيرهم بالطاعة الأخوية التي لا تنفصم والتي أقسموا عليها مدى الحياة تبعًا لقواعد التنظيم "يتحتم على معلمي الكرسي أن يطلبوا هذه الطاعة المؤكدة من المحافل تمامًا مثلما سوف نطالبهم بها بشكل صارم"

وفي يوم الخامس من مايو عام ١٩١٥ انعقد في مدينة "كوارتو" التابعة لـ "جنوا" تجمع علني حاشد لتأييد الحرب، وذلك بمناسبة أعياد "جاريبالدي". وألقى خطبة الحرب الأخ .·."دانونتسيو" ("رابا بورت") حيث شارك في التجمع كل المحافل الأربعمائة بإعلامها بناء على أمر تكليف من المعلم الأكبر، وجاء في المنشور الدوري للمعلم الأكبر: "على كل المحافل أن ترسل أعضاءها بأعلامهم للمشاركة في هذا اليوم" ولقد تم التنويه بشكل خاص عن أهمية قرارات ذلك اليوم.

غير أنه حين يتصرف الأخ .·."موسلمان" وكأن الشرق الكبير الإيطالي وبالكثير أيضًا الفرنسى فحسب هما اللذان يمارسان سياسة عليا على نقيض الماسونية الألمانية وأنهما "يصنعان تاريخًا للعالم" فإنه قطعًا مخطيء ولقد تم سالفا تقديم شرح تفصيلي في الفصل التاسع: "الماسونية وأعمال الخير والسياسة" لكون الماسونية في كل أنحاء العالم تتداول سياسيًا عكس الماسونية الألمانية التي لا ينطبق عليها ذلك بصفة عامة. غير أنه ما أتفه، بل ما أصغر عدد الماسونيين الألمان بشكل يمكن إهماله في مقابل العدد الإجمالي! فعدد الماسونيين الألمان هو اثنان وستون ألفًا في مقابل اثنى مليون ومائة وسبعين ألفًا في بقية الدول، أي بالكاد ثلاثة في المائة مقابل سبعة وتسعين في المائة! ثم كم هو ضئيل نفوذهم في الخارج! فالمحافل الألمانية الخارجية هي ألمانية بالاسم فقط لكنها في الواقع محافل دولية.

ولقد يعجب المرء عندنا وكذا في الرايخ من أن السويسريين الألمان لم يتعاطفوا مع الرايخ الألماني إلا قليلاً، بينما وقف السويسريون الفرنسيون بكل قلوبهم إلى جانب فرنسا. وهنا أيضًا لا يمكن أغفال نفوذ المحفل، فالمحفل السويسري الكبير "أليينا" يضم خمسة وثلاثين محفلاً وعددًا أكبر من الأكاليل:

ومن هذا العدد يوجد أحد عشر محفلاً ألمانيًا فقط، وثلاثة وعشرون محفلاً فرنسيًا خالصًا ومحفل واحد إيطالي ويتكون عدد الإخوان الإجمالي (٤٣٠٠)

من ١٥٠٠ ألماني، ٢٧٠٠ فرنسي، ١٠٠ إيطالى، وبمعنى آخر: يسيطر العنصر الفرنسي على الماسونية السويسرية بطريقة تجعل النسبة العددية للشعبين في سويسرا نسبة معكوسة، فهنالك ٦٤٪ ألمان و٢٨٪ فرنسيين و٨٪ إيطاليين، في الوقت الذي يتكون فيه الماسونيون السويسريون من: ٦٤٪ فرنسيين، ٣٤٪ ألمان، ٢٪ إيطاليين.

ويتماثل موقف المحفل الكبير "ألبينا" إبان الحرب العالمية مع ذلك النفوذ الغالب للماسونيين الفرنسيين. ولقد تم التنويه فيما قبل عن أن "المركز الماسوني العالمي لإدارة الأعمال "يتواجد في مدينة "نوينبرج" (سويسرا) ومؤسسه هو المعلم الأكبر المستديم للـ "ألبينا" الأخ "كارتيه لاتنت" والذي هو من أشد الماسونيين احترامًا ونفوذًا في كل الماسونية العالمية والذي أسس عام ١٩١٣ بالاشتراك مع الأخ "ماجاليس ليما" الرابطة الماسونية العالمية". و"كارتيه لاتنت" هو من نادى بشكل خاص بإقامة الجمهورية العالمية، وذلك من خلال المؤتمر الدولي للماسونيين (باريس ١٩٠٠)

و"كارتيه لاتنت" والذي كان أستاذًا لعلم اللاهوت (!) هو الذي وجه هجومًا ممتلئًا بالكراهية للرايخ الألماني، وكان يقع تحت تأثير النفوذ الفرنسي لدرجة جعلته يردد مزاعمهم وافتراءاتهم بلا روية: "تقود ألمانيا الحرب بدرجة من البشاعة والخشونة كأنها قطعان وحشية". غير أنه لم يراع كذلك أن تلك "القطعان الوحشية" تم حشدها في واقع الأمر من أدغال أفريقيا وغيرها بواسطة قوى التحالف حيث حاربت إلى جانبها. وهذه الروح كانت تسيطر على كل المحفل الكبير، فنجد مثلاً الأخ ∴"رينو" الخطيب الأكبر يلقي خطبة تحريضية في المؤتمر السنوى (الثالث والستين) للـ "ألبينا" يشجب فيها عملية "السطو على بلجيكا" بواسطة ألمانيا بأعنف الألفاظ.

وجدير بنا أن نتذكر المحاضرة التي ألقاها الزعيم الاشتراكي البلجيكي والماسوني الأخ .·. "فاندر فيلد" يوم الخامس من يوليو عام ١٩١٣ في الشرق الفرنسي الكبير(*) أمام جمع من الماسونيين، حيث ناقش يومها أيضًا "الحياد البلجيكي" ونوه عن احتمال أن تكون منطقة معارك في حالة تشوب حرب بين فرنسا وألمانيا.

والآن يأتي المهم: يعترف الأخ .·. "فاندرفيلد" بأن الإنجليز قد أعلنوا الحكومة البلجيكية أنه في حالة نشوب نزاع بين فرنسا وألمانيا سوف يواجهون التدخل الألماني ويقومون بالدفاع عن بلجيكا المهددة.. وللأسف لم يكن هنالك أخ .·."عنده حضور ذهني لكي يسحب البساط من تحت تلك الخطبة التحريضية للأخ."رينو" من خلال التنويه عن هذه الحقيقة.

ولقد كان المحفل الكبير "ألبينا" خلال الحرب بعيدًا كل البعد عن الحياد. وحتى الأخ .·."مامبريتي" (من محفل "إل دوفيرى"، في "لوجانو") قد وجه هنالك أبشع هجوم على ألمانيا(**) دون أدنى معارضة. وفي النهاية إرتأت المحافل الألمانية الكبيرة– وهي الصبورة جدًا – إرتأت نفسها مضطرة لقطع العلاقات مع "ألبينا".

وترجع حالة التعاطف نحو فرنسا في بلجيكا إلى إنجاز الماسونيين الذين يرون في جمهورية فرنسا مثلاً أعلى، ولقد وقفوا أثناء الحرب كلية إلى جانب أعدائنا، كما قاموا بجمع "الأعمال الإجرامية الألمانية" المزعومة، كذلك عينوا لجان تقصى ماسونية، ومع ذلك فقد وجدوا أنه ما يزال هنالك وقت كاف لحفظ في مكان أمين، وكذا الأرشيف، مما يبدو منه أن ذلك كان ذا ضرورة قصوى لهم.

(*) باريس، "روي كادت ١٦"

(**) مؤتمر بتاريخ العشرين والحادي والعشرين من مايو عام ١٩١٦، انظر "لاتوميا" ١٩١٦، العدد ١٣، صفحة ١٦٦.

ومن تلك "الأعمال الإجرامية" المشهورة يتم اتهام الألمان كما هو معروف بتنفيذ حكم الإعدام في الإنجليزية "مس كافل" غير أنهم يتغاضون كلية عن أن هذه السيدة الداهية قد تسببت في خسائر فادحة للقوات الألمانية جراء نشاطها الغريب، ولذا فقد استحقت تلك العقوبة. ومنذ تلك الحادثة والماسونيون يعتبرونها كالقديسات، ومن الممكن أن يضعونها في وقت قريب إلى جوار "عذراء أورلينز"، وبالفعل، فلقد اتخذ الشرق الفرنسى الكبير القرار المهم التالي: "إن الماسونيين الفرنسيين والإنجليز والبلجيك والإيطاليين والروس، وعددهم ٨٠٠، قد اجتمعوا يوم السابع من نوفمبر عام ١٩١٥ في مؤتمر احتفالي ويحيون في خشوع وإعجاب ذكرى "مس أديت كافل" البطولية والتي تم اغتيالها بشكل جبان في بروكسل بواسطة البرابرة الألمان ويدمغون ثانية عدوًا تخلى عن الشرف من منظور الإنسانية المتحضرة". ولا داعي لمزيد من الملاحظات.

وإنه لأمر جلي جدًا سعي الماسونيين لاستنفار كافة الدول إن أمكن لدخول الحرب ضد ألمانيا، مثلما هو واضح مع أسبانيا. وفي خطاب دوري للشرق الأسبانى الكبير بتاريخ أكتوبر ١٩١٤ نرى الرغبة في أن تخرج أسبانيا عن حيادها وتقاتل إلى جوار فرنسا وإنجلترا، كذلك يرجو مجلس التنظيم أن يبذل الماسونيون الأسبان جهدًا لاستنفار الرأى العام ضد ألمانيا وإعادة نشر الأخبار التي تظهر في صحف مرتبطة بالمحافل، ولقد تم تنظيم مؤتمرات عامة في شوارع "برشلونة" لفرض الحرب على ألمانيا وانطلقت تلك المؤتمرات من جمعية "فيرر" التي أسرع رئيسها الأخ ∴"ألكسندر ليرو" من باريس إلى "برشلونة" لكي يؤلب الشعب الأسباني على ألمانيا، كذلك كانت هناك اجتماعات ماسونية في روما وباريس والتي كان همها الأول إمكانية الدفع بأسبانيا في الحرب العالمية إلى جانب التحالف الرباعي، وفي نفس الوقت تم اتخاذ قرار بأن تجتهد الماسونية بأجمعها في الدفع بكل الدول التي ما تزال على الحياد إلى جانب دول الاتحاد الرباعي. ولم يكن موقف الحلفاء جيدًا في خريف ١٩١٦، حيث تلقت رومانيا التي حرضوها على

دخول الحرب ضربات موجعة من قائد الجيش الألماني "ماكنش"، مما أربك الماسونين في جميع أنحاء العالم بسبب تخوفهم من إمكانية أن تنتصر "الإمبريالية البروسية" مرة أخرى، لذا فقد تم مجددًا بذل مجهودات لإغراء أسبانيا للخروج من حيادها، غير أن مساعي المؤتمر الماسوني الدولي بتاريخ ٣١ أكتوبر عام ١٩١٦ في "لشبونة" لم تكلل بالنجاح بفضل الموقف الثابت للحكومة الأسبانية. ولا يمكن تجاهل تلك الحقائق حتى من جانب الصحيفة الماسونية "بوندس بلات"(*)، فهي تقر بأن المحافل الأجنبية الكبيرة ما هي إلا "معمل تفريخ كراهية لألمانيا"(**) وبالذات المحفل الأسباني الكبير والذي يقع كلية تحت تأثير الشرق الكبير لفرنسا وإيطاليا والبرتغال، لدرجة أن الـ "بوندس بلات" تعترف علنًا بأن حملة التحريض على دخول أسبانيا تلك الحرب العالمية الرهيبة تنطلق من محافل الشرق الكبير للدول الرومانية.

وحيث إن الماسونيين الألمان أنفسهم يقرون بذلك، فلا داعي لمزيد من الإثباتات. ويتشابه الأمر في البرتغال، فهنالك يأخذ الماسونيون جانب الفرنسيين منذ بدء الحرب العالمية ويروجون لهم. ولا أحد سوى الأخ .·. "هرفيه" هو من نعت رئيس الوزراء البرتغالي "ثيو فيلو براجا" بمبتكر المؤتمرات العامة المتعاطفة مع الفرنسيون في "لشبونة" منذ أغسطس ١٩١٤، كما أن الأخ "أفونسو كوستا" كان أعلن بصفته زعيمًا للديمقراطيين يوم السابع من يونيو عام ١٩١٥ أن الديموقراطيين يطالبون بسياسة قومية، كما أنهم يعتبرون أن مشاركة البرتغال في الحرب الأوروبية هي أساس برنامجهم!! فلا مناص عن خوض الحرب الأوروبية وتقديم الضحايا، فكلما كثرت الضحايا تعاظم الحق في المجد وفي التعويضات عندما تنعقد اتفاقيات سلام!

(*) نشرة المحفل الكبير "تسو دن دراي فلت كوجلن" برلين

(**) "بوندس بلات"، ١٩١٦، الأول من ديسمبر

ولم يكن ما يسمى "الثورة" في لشبونة في منتصف عام ١٩١٥ سوى عمل ماسوني غاشم تم تمويله بأموال إنجليزية وتنفيذه بواسطة المنظمة السرية "فورميجا بيانكا" (النملة البيضاء) لكي يتم تسهيل دخول البرتغال الحرب العالمية. وقد تحتم إقصاء الجنرال "بيمنتو كاسترو" الذي كان يعارض ذلك حتى يتمكن المحفل من إدراك هدفه.

وتمثل رومانيا مثالاً نموذجيًا آخر على نشاط الماسونيين التحريضي للحرب، فلقد تأسس هناك في "بوخارست" بتاريخ ٢١ يونيو ١٩١٣ محفل جديد تكون في معظمه من ألمان على الرغم من حمله لاسم فرنسي ("لو ترافاي") وخضع لحماية الـ"جراند أورينت دوفرانس" ولقد قام الشرق الفرنسي الكبير أثناء الحرب العالمية بإرسال نشرات دورية مثيرة إلى هذا المحفل أيضًا وطلب منهم توزيعها على الصحافة القريبة منه، وذلك كي يستنفر في رومانيا كذلك روحًا عدائية لألمانيا. غير أن محفل "لوترافاي" تحفظ على ذلك بشكل حاسم ودمغ الـ"جراند أورينت" بأنه رابطة سياسية بحتة- وهو كذلك فعلاً - ثم قطع كل الصلات معه. ومن الواضح أن محفل "لوترافاي" - والذي تسمى منذ ذلك الحين باسم "تسور أربايت"- لم يكن الوحيد الذي يقع تحت تأثير الشرق الكبير وتتم محاولة تحريضه ضد ألمانيا. وربما يكون قد تسلم هذا الخطاب لمجرد أنهم في باريس قد غفلوا عن أن هذا المحفل يتكون من ألمان.

على كل الأحوال فلقد تأكد من خلال تلك الحقيقة نشاط الشرق الكبير التحريضي للحرب، ومن المحتمل كذلك أن تكون كل المحافل الثلاثة وعشرين ألفًا في جميع أنحاء الأرض قد تم إغراقها بتلك المنشورات ذات الطبيعة الحاقدة، مما يجعل العالم كله عدوًا لنا ويؤدى إلى خسارتنا الحرب. وحتى في اليونان خرجت من الماسونيين حملة تحريضية لتوريطها في الحرب، فقد لعب هناك الأخ: "فينلسيلوس" دورًا مشابهًا لدور الأخ: "بارتشيلاي" ("بورتسيل"!) في إيطاليا، حيث يقف الماسونيون على قمة الحزب "الليبرالي" الحاكم مثلما هو الحال في كل الدول.

والآن إلى إنجلترا، غير أنه يلزم أولاً التأكيد على أن أهداف الحرب للحلفاء تظهر تطابقًا بينًا مع مساعي الماسونية وأهدافها النهائية، فحماية الشعوب الصغيرة وتحرير الشعوب من الاستبداد والقضاء على الإمبريالية البروسية والكفاح من أجل العدالة والمدنية والكفاح ضد البربرية وتأسيس عصبة الأمم (الجمهورية العالمية!)، تلك كانت كلها شعارات الماسونية العالمية منذ عشرات السنين مثلما أصبحت الآن هي أهداف الحرب للحلفاء. وتمامًا مثلما هو أسلوب الماسونية، فلقد تم ارتكاب أكبر الأكاذيب والافتراءات بلا حياء، وكما نعرف فإن الأخ.·."فولتير" هو صاحب عبارة: لا تكون الأكذوبة خطيئة إلا إذا تسببت في شر، وتكون فضيلة كبرى حين تؤدي إلى خير. ولقد تمسك كل ماسونيي العالم بتلك العبارة مثلما تمسك بها رجال الدولة الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين. وتظهر المقارنة التالية مدى ارتفاع مستوى فن التشويه ولي الحقائق الذي يتمتع به أعداؤنا: لقد اتهموا ألمانيا بالسعي للتوسع الإقليمي وبالتالي حاولوا إثبات أنها تسببت في الحرب، غير أن ألمانيا لا تملك في مقابل كل القوى الاستعمارية إلا أقل مساحة احتلال خارجي، بينما يمتد مجال نفوذ إنجلترا على خمس مساحة العالم، وعلاوة على ذلك اكتسبت إنجلترا في الخمسة وعشرين عاما الماضية مستعمرات جديدة مثلما لم يحدث في قرن كامل! وهذا المثل يكفي.

وإذا ما أراد المرء التحقق من النصيب الكبير للماسونية في الحرب العالمية ففي الإمكان وضع حقيقتين أمامه:

أولاً أنه كانت هنالك مجابهة علنية قبل اندلاع الحرب بين كل من الشرق الفرنسي الكبير والماسونية الإنجليزية وثانيًا أن الزيارات الماسونية المتبادلة بين الإنجليز والألمان في كل من برلين ولندن (١٩١٣) كانت تدل على كل شيء إلا أن هناك نوايا حربية من جانب الإنجليز ويمكن مواجهة ذلك بالآتي: كون هنالك خصومة معينة بين الـ "جراند أورينت" وبين "المحفل المتحد الكبير لإنجلترا" فذلك أمر مؤكد غير أن ذلك يرجع – كما سبق ذكره – إلى أسباب دينية بحتة وقد تم

التراجع عنها لحظة اندلاع الحرب لصالح الطرفين، وفي المقابل تؤكد الزيارات الماسونية لكل من لندن وبرلين على أن الإنجليز هم قوم شديد والذكاء. وليس من قبيل الظن ولكنه شيء مؤكد أن تلك الزيارات كانت مدعومة ومرغوبًا فيها من جانب الحكومة الإنجليزية لأسباب تتعلق بالدولة، وذلك كي يتم ربط القوى المؤثرة عندما يجد الجد، أي ربط اثنين وستين ألف ماسوني ألماني. وإذا كان هذا التفسير غير مقبول، فهنالك أيضًا احتمال ان يكون الإنجليز يرغبون في تأمين العلاقات الدولية للماسونية عند الضرورة (مباحثات السلام!) فكلا رجلى الدولة الإنجليزيين "جلادستون" و"بالمرستون" قد خدما الماسونيين كمفاوضيين إبان الثورة الإيطالية، وليس هنالك أقل من الأخ .:. "اسكوايت" الذي يقول متذكرًا هذه الأحداث التاريخية أثناء زيارته لروما (٣أبريل عام ١٩١٦): "لا أكون مبالغًا حين أقول أن المحاربين الأوائل للانتفاضة الوطنية لإيطاليا، "ماتسيني" و"جاريبالدي" و"كافور" كانوا مصحوبين في كفاحهم بدعم لا هوادة فيه وبمشاركة دائمة وتعاطف بلا حدود من الشعب الإنجليزى. إن الحياة الوطنية لشعبينا يا سيادة رئيس الوزراء تنهل بشكل أساسي من نبع واحدة وتورف عليها روح واحد" ("تنهل من نبع واحد" هو اصطلاح لطيف! انظر الحساب رقم **E** في الميزانية الإنجليزية، وهو ١٢٥ مليون "كرونة" مصروفات سنوية لدعم "نشاط الدعاية السياسية"). ونفس تلك الخطبة يمكن للأخ .:."أسكوايت" أن يلقيها في لشبونة، فبلاشك أن الانتفاضة الوطنية للبرتغاليين (١٩١٠) قد نهلت هي الأخرى من نفس النبع – انظر الحساب **E**.

وكلمة أخرى عن الصحافة الإنجليزية، فكون معظم رجال الصحافة في إنجلترا من الماسونيين فذلك أمر يؤكده لنا الأخ .:."لورد أمبثيل" دون أدنى شك، فهو نائب المعلم الأكبر"للمحفل المتحد الكبير بإنجلترا" **(pro Grand master)** : "ينتمي العديد من الصحفيين للماسونيين حيث يتمتعون بنفوذ غير محدود"(*).

(*) ذى فرى ميسون، لندن، ٥ شارع وايتفرير، ١٩١٠/١١، صفحة ١٩٠

والصحفيون عادة ليسوا بمثابة رسل للحقيقة، وبالذات في كونهم إخوانًا للأخ "فوتير" ويذكر لنا النائب الإنجليزى "سنودن" فـى صـحيفة **"Labour Leader"** بتاريخ التاسع من يناير عام ١٩١٧ كيف يتعاملون في إنجلترا بالـذات: "تـسيطر على أوروبا أحط الشهوات ويتم تحريضها من خلال أكاذيب صـحافة تـدار فـي سوادها الأعظم بواسطة أجهل الأوغاد في بلادنا وأعدمهم مبادئ، إنها أقـلام تـم شراؤها من بضعة أشخاص تكتب لنا أساطير مهولة لا يصدقونها هم أنفسهم، إنهم محتالون لا يدركون شيئًا عن الهلاك والعذاب اللذين يستدرجان إليهما مواطنيهم بلا شفقة" ومن الواضح أن تلك العبارات العنيفة من رجل شريف من الـشعب تتوجـه إلى صحافة "نورثكليف" التي مارست بالفعل أثناء الحرب تأثيرًا مهولاً على تكوين الرأي العام في كل أوروبا! ونحن أيضًا كان (وما زال) عندنا صحافة "نورثكليف" التي تعبر بمقابل وبدون مقابل عن شئون أعدائنا وساهمت بـشكل كبيـر فـي أن نصبح اليوم على تلك الحال البائسة بعدما تم خداعنا في انتصار سلاحنا، أمـا الأخ "نورثكليف" نفسه- وهو حفيد أكبر للسيد "إزاك شتيرن" من فرانكفورت على نهـر "الماين"- فهو يتفاخر بأن اثنين وخمسين صحيفة إنجليزيـة وروسـية وفرنـسية وإيطالية "قد حسمت الحرب"(*).

هل مطلوب بعد تلك الحقائق بأن نتذكر أيضًا أفعال "لويدجورج" الذي يوصم في كل إنجلترا بالغوغائي الغاصب والكذاب المحتـرف (**"The Lying Minster"**) وذلك قبل أن يتقلد منصب رئيس الوزراء؟

ويكفي ذلك، فالإنجليز كانوا دائمًا تلاميذ معتبرين ونجباء لمعلمهم الأكبـر، وهو الأخ .·.الملك "إدوارد السابع" والذي هو بالنسبة لهم "أعظم ماسونيي العـصر الحديث" وإذا ما أمعن المرء النظر في ارتباطات الماسونية العالمية وتعرف عليهـا كقوة محركة أساسية تسعى نحو الثورة العالمية أو بمعنى أدق الحرب العالمية لكي

(*) انظر "م. لوب" ورثة الملك إدوارد الدنيويورن"، و"العدو الورقي، اوجسبورج ١٩١٨

تنشيء الحكومة العالمية على أنقاض الممالك القديمة المتهاوية، فإنه لم يعد يملك أن يتوجه نحو الماسونية الألمانية بدون مرارة.

وحتى الأخ.. "أور" يصل إلى محصلة مفادها أن دفاع الماسونيين الألمان ضد الهجمات المتواصلة من جانب محافل الشرق الكبير غير الألمانية ظل "دائمًا عقيمًا جدًا" ويقول "أور" أن الماسونيين الألمان دائمًا ما يرفعون أبصارهم نحو مثل أعلى، لذا فقد افتقدوا نوعًا ما رؤية الأمر الواقع"(*). ويعتبر كتابه هذا رفض صريح لجوهر وروح الشرق الفرنسي الكبير. ويكاد المرء يقرأ في كل سطر من سطوره تلك الصراعات العنيفة بداخلة والتي تصارع فيها الماسونية الوعي الشعبي الألماني المستيقظ لتوه. وحتى في مقدمة الكتاب يعبر الأخ .·."أور" عن مخاوفه من سرعة ظهور رعاة المصالحة بعد انتهاء الحرب وذلك كي يتحدثوا بلسان الماسونية الفرنسية ويعيدوا توثيق الأخوة الممزقة عبر نهر "الراين". ومن رأيه أن ذلك سوف يحدث فعلاً إنطلاقًا من مثالية ألمانية بحتة، وهنا يبدو أن الأخ .·."أور" يبالغ في تقدير إخوانه بشكل غير مناسب غير أن ذلك لن يحدث إنطلاقًا من مثالية ولكنه سيكون انطلاقًا من عدم فهم وجهل ومن حسن النية التي تصل لدرجة الغباء التي يتمتع بها الألمان ومن ثم الماسونيون الألمان.

وحسن النية تلك، أو لنقل تلك الألفة والوداعة هي التي أدت إلى أن يقوم الماسونيون الألمان بالاتصال بمحافل الشرق البكير للدول الرومانية (باريس، روما، مدريد، لشبونة) على الرغم من أن طبيعتهم السياسية العالية والثورية المطلقة معروفة لهم قطعًا. والعجيب أن الماسونيين الألمان أرادوا أن يتقابلوا مع الفرنسيين يوم ٨ أغسطس عام ١٩١٤، حيث إن الألمان لم يعتقدوا في نشوب الحرب رغم حادثة الاغتيال في "سراييفو"!

(*) "فيلهلم أور"، ما قبله، صفحة ١٨٦

ويظهر أيضًا من خلال أحداث سالفة في عالم الماسونيين أن الماسونيين الألمان لم يعوا أبدًا للفرق الكبير بين مداركهم الذاتية وبين التوجه السياسي المطلق للماسونية الأجنبية. وعلى المرء أن يتفكر في أن كل المحافل الثمانية الكبيرة الألمانية قد اعترفت بلا تحفظ بالشرق الكبير الثوري لإيطاليا! وليتذكر المرء كذلك كيف أن الماسونيين الألمان – وبالتحديد محفل كولونيا "فراي موت أند فارهايت" قد استقبل الإخوان الفرنسيين عام ١٩٠٧ بمؤتمرات حاشدة "ملتهبة العواطف"، وكان معلم الكرسي لهذا المحفل نقيبًا في الجيش، أما الناظر الأول فكان عقيدًا وفي نفس الوقت رئيس مستودعات المدفعية في كولونيا! غير أنه تحتم أن يكون هنالك حد لمسالمة الماسونيين الألمان، فحين رأينا السيناتور البلجيكي الأخ ∴"لافونتين" يقف في المؤتمرات الماسونية السلامية المنعقدة في "لاهي" (٢٣ حتى ٢٥ اغسطس ١٩١٣) ليعطي الحضور من الماسونيين الألمان درسًا مفاده أن "ألمانيا بسمارك العسكرية والمستقوية بالسلاح هي العائق الرئيسي للتقارب بين الشعبين (الفرنسيين والألمان) نرى أحد الماسونيين الألمان قد التزم بالتصدى للأخ الفرنسي قائلاً بأنه على الفرنسيين أن يبدأوا بنزع السلاح وحينئذ سوف يتبعونهم الألمان من أنفسهم، غير أن الفرنسيين قد فعلوا عكس ذلك تمامًا، فبدلاً من نزع السلاح أدخلوا نظام الخدمة الإلزامية لمدة ثلاث سنوات وبالتالي أجبروا الألمان على المضي في التسليح. وحين يتمادى نفس الأخ ∴"لافونتين" في تلقين الماسونيين الألمان درسًا": "واجبكم أيها الماسونيون الألمان هو أن تعودوا بألمانيا إلى مثلها الأعلى القديم وهو أن تكون شعبًا من المفكرين والشعراء والفنانين"، فإن تلك ما هي إلا فطنة تحتم على كل ماسوني ألماني أن يستشعر فيها تحديًا. (بالمناسبة لقد تناهت لاسماعنا مرارًا تلك العبارة الماسونية أثناء الحرب العالمية، وذلك دليل آخر على الموضع الذي يتحتم علينا أن نبحث فيه عن العناصر التحريضية على الحرب) وحين يسمح الأخ ∴"لافونتين" لنفسه بالعبارة التالية: "يطيب للألماني عند تناوله لكل شيء أن يذهب بالأمور إلى منشأها، حتى وإن وجد

نفسه في النهاية يصل إلى... الثورة " فإنه من المؤكد أن الماسونيين الألمان الـذين يستمعون في صمت يعبرون بذلك عن موافقتهم، وهم بـذلك لـم يعـودوا يقفـون بأرواحهم إلى جانب ألمانيا ولكنهم يكونون قد تم اختراقهم بواسـطة روح الـشرق الفرنسي الكبير للدرجة التي تجعلهم يستدعون بأنفسهم مثل تلك الثورة في ألمانيـا، أو على الأقل يدعمونها. ومن المفهوم حينئذ أن قوى المقاومة لأولئك الماسـونيين تكون قد شللت، وهذا يوضح الوضع المتأرجح والمتشكك وغيـر المـستقر الـذي اتخذته المحافل الألمانية الكبيرة – ومحافل كثيرة – أثناء الحـرب، كمـا أن ذلـك يفسر أيضًا الدفاع العقيم جدًا للماسونية الألمانية فـي مواجهـة هجمـات الـشرق الفرنسي الكبير أثناء الحرب العالمية والذي استنكره الأخ "أور" نفسه. وهذا يوضح أخيرًا الصراعات وحالة الارتباك الشديد الذي وجد الماسونيون الألمان أنفسهم فيـه وقت اندلاع الحرب العالمية.

ولا يـصح للمـرء أن يعتقـد أن آراء كتلـك التـي أطلقهـا الـسناتور الأخ ∴"لافونتين" هي آراء فردية. كلا، ففي كل مؤتمر للماسونيين كان يتم تـذكير أعضاء المحافل الألمان من جانب إخوانهم من الدول الرومانية بطريقة أو بـأخرى بأنهم مازالوا متخلفين جدًا وأنهم لم يستطيعوا أدراك روح العصر وأن عليهم أخيرًا أن يتجهوا إلى الثورة.

وبصرف النظر عن تلك الاختلافات العميقة فإن علاقات الماسونيين الألمان مع إخوانهم الفرنسيين والايطاليين لم يتم قطعها فورًا مع بدء الحرب العالمية ولكن ذلك تم بعد تردد طويل، حيث تم ذلك مع إيطاليا يوم العاشر من يناير عام ١٩١٥.

ولقد تم التنويه فيما قبل عن الانتشار العظيم للماسونية في أمريكا الـشمالية، وبالذات في الولايات المتحدة، فهناك نحو ستين محفلاً كبيرًا تشتمل على نحـو ١٤ ألف محفل ومليون ونصف المليون عضو. غير أن اتحاد المحافل الكبيرة الألمـاني لا يعترف إلا بستة عشر محفلاً كبيرًا تشتمل على نصف مليون ماسوني، كمـا أن

هناك أيضًا في أمريكا الشمالية اثنين وثلاثين محفلاً كبيرًا للملونين تشتمل على ألف محفل. ومجرد تلك الأرقام تجعل المرء يستنتج الأهمية التي اكتسبتها الماسونية في أمريكا الشمالية.

(ففي ولاية نيويورك (وليس مدينة نيويورك) فقط يبلغ عدد الماسونيين مائة وسبعة وثمانين ألف أخ!) ومن المعروف أن "روزفلت" الذي رحل منذ قريب إلى الشرق الأبدي كان ماسونيًا. وفي المقابل هنالك خلاف عما إذا "ويلسون" منتميًا للتنظيم، غير أنه بناء على شهادة أمريكية هو ماسوني بالتأكيد مثل "بريان"(*). وسبب تلك الأنباء المتضاربة في أغلب الأحيان أنه قد يوجد شخص منتمي لمحفل ما أو محفل كبير يكون غير معترف به من الجانب الألماني وفي أمريكا يكون احتمال انتماء شخصية قيادية لأحد المحافل أكبر من احتمال عدم انتمائها، فهناك يستحيل تقريبًا. أي صعود سياسي أو تجاري بدون الانتماء إلى الماسونية وهذا يفسر انتماء ثلث أعضاء مجلس النواب للماسونية، كذلك فهم يحتلون أكثر من نصف عدد الكراسي في مجلس الشيوخ. وعند بدء الحرب كان موقف الماسونيين الأمريكيين متذبذبًا، ففي البداية كان هناك تيار اعترض بشدة على تصدير الأسلحة والذخيرة غير أنه بعد ذلك بقليل تغلب الرأي القائل بأنه على أي جمهورية ألا تقف إلا بجانب مجموعة القوى التي تنادي بالشكل الجمهوري للدولة وبتآخي الشعوب.

وهنا أيضًا كان يوجد متناقضات عديدة، فمجرد التنويه عن روسيا القيصرية كان كافيًا لدحض وجهة النظر تلك.

ويعطينا الأخ .'. "مور" رئيس الماسونيين الأسكتلنديين ذوى الدرجات العليا تبريرًا حذرًا جدًا "نحن نكن احترامًا شديدًا للشعب الألماني، لكن الماسونية ضد العسكرية، كما أن مثلنا الأمريكية العليا لا تقيم وزنًا كبيرًا للمغفرة الإلهية الممنوحة

(*) انظر: "كولنشة فولكي تسايتونج"، العدد ٢٨٠ بتاريخ ١٠ أبريل عام ١٩١٧.

من الملوك"(*) ولم تكن هناك ثمة مقاومة من جانب الماسونيين الأمريكيين الألمـان. ولم يعد هناك عمليًا أي فرد يقيم وزنًا للمغفرة الإلهية للملوك، وكذلك لم يعـد هنـاك أحد يحتاج إلى الدعوة بالعسكرية حتى لو كان ألمانيًا مخلصًا. لكن بفضل الفن الملكي تم إنشاء قاعدة إنطلاق صحيحة وأمكن الآن شيئًا فشيئًا إطلاق حملة التحريض ضـد ألمانيا، وانطلقت فعلاً، حيث أمسك المرء بتلافيف الماسوني الأمريكي، وهـي مثلـه العليا الذاتية التي لا تمس، حيث ادعوا "أن قيام الولايات المتحدة الأوروبيـة سـوف يؤدي إلى تجنب الحروب في المستقبل"(**). وعلى الرغم من أن تلك كانـت عبـارة بلهاء يمكن دحضها فورًا بالتنويه عن الحرب ما بين أمريكا وأسبانيا. فإنهـا كانـت عبارة مغرية ومؤثرة وهناك أيضًا عبارة: "من خلال الماسونية بصفتها رائدة الكفـاح من أجل العدالة والحق والحقيقة سوف يتم استحضار العصر الذهبى للتـآخي العـام للشعوب والناس"(***). وتلك أيضًا مجرد عبارة: فإذا ما أراد المرء أن يـستعلم مـن البرتغاليين عن ذلك فإنهم لن ينعتوا العصر الحاضر لجمهوريتهم الماسونية بالعـصر الذهبي ولكنهم سينعتونه بالعصر الورقي.

وهكذا تم تمهيد التربة من جانب الماسونيين حيث تجاوبت معهم الـصحافة اليومية إلى أن انتهى الأمر بالإعلان الأمريكي للحرب. ولكن هـل أراد الـشعب ذلك!؟ – كلا! قطعا لم يرغب الشعب الأمريكي في الحرب، لكن أمراء الماسـونية هم من أرادوا ذلك لوضع نهاية "للسيطرة الغاصبة للملوك والنبلاء" والـتمكن مـن عروشهم، وهو ما حدث فعلاً.

كذلك تم التعامل بنفس الأسلوب في أمريكا الوسطي، حيث يوجد ثمانيـة أو تسعة محافل كبيرة، وتم فعلاً الزج ببضع دول هناك في أتون الحرب.

(*) في صحيفة "The New Age" الماسونية، نيويورك، اكتوبر ١٩١٤، صفحة ١٨٧

(**) The American Freemanson، "جوا"، أكتوبر ١٩١٦، صفحة ١٨٥

(***) The American Tyler- Keystone، أبريل ١٩١٦، صفحة ٨٧

غير أنه أكثر ما يلفت النظر هي تلك الدسائس الماسونية في أمريكا الجنوبية، وبالذات في الأرجنتين حيث يتواجد هناك الشرق الكبير للأرجنتين ويتبعه أكثر من مائة محفل، ولو أنه غير معترف به حتى الآن من قبل رابطة المحافل الألمانية الكبيرة. وبخلاف ذلك يوجد أيضًا في الأرجنتين محافل أجنبية متعددة، ومنهما سبعة تحت حماية المحفل الكبير لإنجلترا وخمسة عشر تحت الحماية الإيطالية وخمسة عشر تحت الحماية الأسبانية، بينما يعمل واحد منهم تحت حماية الـ "جراند أورينت دوفرانس". وكانت تلك المحافل الأجنبية تتعامل عند بدء الحرب من خلال المحفل الأرجنتيني الكبير والذي كان بدوره مستاءً من الألمان بسبب عدم الاعتراف به، مما ترتب عليه ذلك المؤتمر العام الحاشد للتعاطف مع فرنسا ومع الشأن "النبيل" الذي تمثله، حيث عبر ثلاثة عشر محفلاً عن أطيب تمنياتهم للمبعوث الفرنسي في "بونيس آيرس"! وبعد ذلك تم تأسيس لجنة رعاية خاصة من الماسونيين والتي تعاملت مع كل المحافل الأرجنتينية بهدف إعلان وقوفهم بجانب فرنسا وإنجلترا وإتخاذ موقف مضاد "للبربرية التيوتونية" "لكي تحمي العالم أجمع من السقوط ضحية الاستبداد المطلق" وبعد أن تم الاستحواذ على المحافل بدأت الحملة الصحفية حيث كانت الأكاذيب والافتراءات تنطلق بطريقة مزرية للدرجة التي جعلت الأستاذ الجامعي دكتور "راموس" يصرح علنًا في "بيونس أيريس" أن هذا الكذب والتحريض المتعمد يعتبر واحدة من أغرب الظواهر في التاريخ العالمي"(*).

إذن لقد جرى في الأرجنتين أيضًا نشاط تحريضي للحرب بشكل أساسي من الماسونيين!.

وتتشابه الأمور كذلك في البرازيل حيث يوجد شرق كبير يشتمل على ٨٥٢ محفلاً وعدد ٢٨٨٥٣ أخًا تحت قيادة السناتور المعلم الأكبر الأخ .:.

(*) "كولنشه فولكس تسايتونج" بتاريخ ١٠ فبراير ١٩١٦، العدد ١١٧

"لاوروسيدريه" والسكرتير الأول هو (١٩١٨) المدير "أليبيادس فورتادو" في "ريودي جانيرو". ويلعب الأخ .:."سيدريه" دورا مؤثرًا كذلك في "ليجا بيلوس أليادوس" المؤسسة حديثًا والتي تقف كلية في صف الحلفاء والتي تناضل كذلك "باسم الحقيقة والعدالة والتعقل" ضد العسكرية الألمانية والإمبريالية وتلك الكلمات الرنانة تبوح بأكثر من أي شيء آخر بمصدر ذلك الموقف المعادي للألمان ألا وهو الماسونية الرومانية.

كذلك الأمر في "أورجواي" كمثل ثالث، إنطلق التيار المعادي للألمان من الماسونيين، فرئيس جمهورية "أورجواي" هو الماسوني الأخ .:.دكتور "فيليشيانو فييرا"، كما يتبوأ كثير من أعضاء المحافل مناصب رسمية عليا. وبالمناسبة، فلقد كان الرئيس السابق لدكتور "فييرا" وهو الرئيس "باتل" ماسونيًا وعدوًا شرسًا للألمان. كذلك فإن الماسونيين في بقية دول أمريكا الجنوبية يبرزون كأعداء لألمانيا، مثلما هو الأمر في "كولومبيا" حيث تبدى المحافل الأسبانية العاملة هناك ترحيبًا بفرنسا. وأيما كان الأمر فإن المحافل الماسونية في أمريكا الجنوبية هي بالفعل ليست سوى أندية سياسية، غير أنها أعظم خطرًا من تلك لكونها تحيط نفسها بعبق الغموض وتؤدي أعمالها في الخفاء.

برنامج السلام الماسوني للرئيس "ويلسون"

يتضح جليًا لكل من يراجع هذا الشرح وهو مجرد من أي أحكام مسبقة وغير خاضع لأية مؤثرات أنه بناء على محتواه أن الماسونيين يتحملون نصيبًا كبيرًا من وزر إشعال الحرب العالمية. وعلى المرء أن يتذكر أنه لم يمكن استخدام سوى مجرد جزء يسير من الأدلة المتوافرة علنًا في شرحنا، وأنه لو كانت كل المجلات والنشرات الماسونية، وعلى وجه الخصوص الملفات المغلقة، تحت التصرف لأمكن مضاعفة تلك الأدلة إلى الآلاف.

ومع ذلك ليكن معلومًا أن حربًا عالمية بكل دمارها المروع وخرابها ليست هي هدف الماسونيين بقدر ما إن الهدف هو الثورة العالمية بمثلها العليا وفي الدرجة الأولى في القضاء على الأسر المالكة الأوروبية وتحقيق قيام الجمهورية العالمية. وإذا ما صدق هذا السياق الفكري وجب أن تؤكده المحصلة النهائية، ومعنى ذلك أن يتواءم برنامج "ويلسون" للسلام والذي يمثل ذروة التطور التاريخي المرتبط بالحرب – أن يتواءم في مطالبه الرئيسية مع الأهداف الماسونية، وبالذات مع كون "ويلسون" نفسه ماسونيًا. وبالفعل، فحينما نمر على برنامج "ويلسون" للسلام سطرًا فسطر، فسوف نجد النقاط الرئيسية مفحمة بالروح الماسونية. غير أنه يوجد فيه رغمًا عن ذلك عدة تأكيدات فرضتها الحرب فحسب والتي يمكن تضمينها أية مقترحات سلام معادية، وبالتالي يمكن إغفالها.

وعلى النقيض تبدو أول نقطة في بامج "ويلسون" مثيرة للانتباه: "علانية مباحثات السلام" – إنه شعار ذو خاتم ماسوني أصلي للشعب فاقد الأهلية، فأولئك الذين يعملون كل شيء في سرية والذين يلزمون إخوانهم بأشد أنواع السرية من خلال أيمان وعهود هم من ينادون بالعلانية إلى أن يتحقق خداع الجماهير،

ثم يستأنفون العمل بعد ذلك بأسلوبهم القديم المعتاد. وهذا ما أعلنه أيضًا مؤتمر السلام في باريس في بداية مباحثاتهم في يناير عام ١٩١٩ من أن إجراء مباحثات علانية هو للأسف غير ممكن "لأسباب فنية".

ويتشابه الأمر في النقطة الثانية: "حرية كاملة للملاحة البحرية" وهذا أيضًا شعار براق، حيث يظهر الآن فعلاً عدم رغبة انجلترا في التخلي عن سيادتها على البحار، ففي الوقت الذي سيتم فيه إرغام تركيا على المرور الحر عبر ممر "الدردنيل" فإن إنجلترا لا تبدى أدنى شارة إلى تخليها عن السيطرة على قناة السويس أو ممر جبل "طارق".

وتطالب النقطة الرابعة "بالقضاء على العسكرية" وهو مطلب طالما نادى به الماسونيون في كل مناسبة ولقد جاء بالنص في المؤتمر العام للمجلس الأعلى للشرق الفرنسي الكبير المنعقد في الثالث عشر من يناير عام ١٩١٤ أنه يتحتم القضاء على العسكرية البروسية بأى ثمن حقًا - العسكرية البروسية! أليس من الأمور المستقرة الآن أن فرنسا وحتى بعد عقد اتفاقية السلام، ترغب في الاحتفاظ بجيش مليوني تحت السلاح. كذلك لا ترغب إنجلترا في التخلى عن عسكريتها البحرية، أي أن أسطولها الهائل سوف يستمر في دعم الإمبريالية الإنجليزية في كل أنحاء العالم.

وتختص النقطة الثامنة بإقليم "الإلزاس- لوترنجين" والمطلوب إعادته لفرنسا. وتلك أيضًا مطالبة ماسونية يتم ترديدها دائمًا منذ أربعين عامًا والتأكيد عليها حتى في حضور ماسونيين ألمان.

أما مطالبة النقطة التاسعة "بتصحيح الحدود مع إيطاليا" فهو مطلب يتطابق مع المباديء الأساسية التي وضعها المعلم الأكبر "ماتسيني" منذ نصف قرن وتمت مباركته بشكل أساسي من جموع الماسونيين في العالم.

وهو مطلب يتم المناداة به دائمًا وفي كل مكان علنًا وبلا حياء من الإخوان الماسونيين.

أما النقطة الثانية عشرة والخاصة بتقسيم تركيا فهي تقع ضمن دائرة الفكر الماسوني، فالأخ: "ماتسيني" كان قد ذكر قبل خمسين عامًا: "يوجد إمبراطوريتان كبيرتان في أوروبا تدعمان بنيان الاستبداد بإنكار مبدأ المواطنة وهما الإمبراطورية النمساوية التي هي بمثابة الصين الأوروبية من حيث جمودها غير القابل للتراجع، والإمبراطورية التركية التي تقف في طريق التقدم الأوروبي من خلال المبدأ الآسيوى والوصاية الدينية للشرق" وأخيرًا تنص النقطة الرابعة عشرة على: "توحيد كل الشعوب" في تكافل متبادل" (أو بمعنى آخر: توحيدها في "عصبة للأمم" أو في "جمهورية عالمية" أو في "هرم جمهوريات") وتلك صياغة ذات طبيعة ماسونية وتم تداولها كثيرًا وبشكل تفصيلي في المؤتمرات الماسونية في الثلاثين عامًا الأخيرة، حتى أنه لم يعد هنالك داع لمزيد من الكلمات في هذا الشأن.

أما كيف يبدو تآخي الشعوب هذا في الحقيقة، فالحاضر يظهره لنا: جوع وشقاء وسلام قسري دونما أي اعتبار! وهذا كله بعدما- أو على الرغم من أننا- طردنا "مستبدينا" وحققنا تلك المطالب الماسونية لكي نتسلم من يدي"ويلسون" سلامًا وخبزًا.

ولطالما ثار جدل متكرر قبل الحرب عما إذا كان الماسونيون في كل العالم يعتبرون بمثابة رابطة عالمية موحدة ذات مساع وأهداف واحدة أم لا. ويتبنى الرأي الأول بشكل أكيد ماسونيين ألمان ذوى حيثية. وعلينا فقط أن نتذكر ما قاله المعلم الأكبر الأخ .·."جارتس" (المحفل الإقليمي الكبير لماسوني ألمانيا في برلين) الذي أكد حرفيًا على وحدة الماسونيين على الرغم من اختلاف الشكل، كما نشير كذلك إلى الماسوني الألماني المبجل الأخ .·. "لودفيج كيلر" الذي طالما تبنى في كتاباته عن تاريخ وكيان الماسونية الأفكار التي تقول بأنه يمكن اعتبار الماسونية وحدة واحدة تمتد فوق جميع أنحاء الأرض.

والآن أتي اليوم الذي طالما انتظره الماسانيون واشتاقوا له بشده، أو كما يقول الأخ "فرانكولين"، اليوم الذي سيتم فيه "تحرير كل المعدمين والتكفير عن كل المظالم والقضاء على كل الامتيازات وحصول الدول المغتصبة على حق تقرير المصير"، كما سيتم الآن "توحيد كل المحافل الكبيرة والشرق الكبير في تآخ كوني، وستختفي اليوم كل الشقاقات والحدود الإقليمية التي فصلت الماسونية عن بعضها البعض". ولقد تم الآن بلوغ "المثل الأعلى المتوهج للمستقبل" والذي طالما تراوح أمام الماسونيين.

حقًا أن هذا المثل الأعلى المتوهج للمستقبل الذي أقامه الأخ "فرانكولين" يوم السابع عشر من يوليو عام ١٨٨٩ بتهلل محموم، يستأهل عرق النبلاء! أما العالم القديم فقد تمكن الإخوان الماسونيون على كل الأحوال من تحويله لأنقاض.

فهل سوف يجدون كذلك القوة لإعادة بناء معبد الإنسانية من جديد؟(*)

(*) "ماتسيني"، "أوبري"، ١٣، ١٧٨/١٧٩

كلمــة ختاميــة

أشرت في كتابي عن "كرامارش" إلى أن الحركة السلافية الحديثة هي أحــد الأسباب الرئيسية السبعة لقيام الحرب العالمية، وأن "كرامارش" هو محركها. ولقد أيدتني الأحداث بشكل كامل، وعلى كل الشخصيات ذات الحيثية التــي لــم تمــنح استدلالاتي إلا نذرًا يسيرًا من التصديق أن تتفق مع ضمائرها عما إذا كانت وإلــى أي مدى شاركت في وزر الانهيار البشع. ولقد تأكدت الحقيقة القديمة التي تقول إنه في أوقات المخاطر الجمة لا شيء يؤدى إلى الانهيار أكثر من حكومــة متخاذلــة وقليلة المعلومات ومترددة وبلا خطة. وتبعًا لذلك، فليس عندى شيء أتراجع عنــه من كلامي السابق، ولكن مجرد تصحيح بعد إلقاء نظرة فاحصة في الأمــور مــن حيث أن الشعارات التي تم استخدامها فــي الحــرب مثــل: البربريــة الألمانيــة والعسكرية البروسية وتحرير الشعوب الصغيرة المضطهدة والحــرب مــن أجــل الإنسانية والمدنية والحضارة.. إلخ هي شعارات لم يخترعها "كرامارش" ولكن تــم اقتباسها من الأخ ∴ "ماتسيني" الذي استخدمها منذ خمسين عامًا في الحرب ضــد النمسا، ولقد أصبحت شعارات للماسونية العالمية. وحيث إن "كرامارش" ينتمي مثله مثل كثير من الزعماء السلافيين للماسونيين المطلعين، فمن الطبيعــي أن يتحــدث بلغة إخوانه..

لهذا فإن ذلك لا يتعارض البتة مع كتابى الــسابق ولكنــه يمثــل بالطبيعــة استكمالاً لا يظهر فيه سبب آخر للحرب العالمية يجدر بنا أن نأخذه فــي الاعتبــار بنفس الدرجة.على الأقل مثل الحركة السلافية الحديثــة. ويــشترك الاثنــان فــي الكراهية المريرة للقوى المركزية وللعنصر الألماني ولموقــف الــسيطرة للــرايخ الألماني "وللمستبدين" الإمبراطورين ولكل مــا هــو مــسيحي واســمه مــسيحي، وباختصار "للبربرية التيتونية" كما يسمونها.

ولقد كان من المحتم أن يقودني بالضرورة إلى الماسونيين ذلك الخيط الرفيع الممتد من براج إلى باريس، وحين تملكني اليقين فيما بعد بأن "كرامارش" أيضًا يتبع "أخوة النقاط الثلاث" لم تعد هناك مفاجأة لي.

وهكذا توصلت إلى الماسونية.

وسرعان ما تناقلت دوائر الأصدقاء والمعارف خبر إنشغالى في الوقت الحالي بهذا الشأن. ودونما أي طلب مني سارع ووعدني هذا وذاك بكتاب مهم يتحتم على أن أقرأه وأستعين به. فأرسل لي أحدهم عدة أجزاء من نشرة "هيرولد" والآخر أرسل لي أعدادًا قديمة من "باهوته" وذلك أمدني بال "ريفيو ماسونيك" و"الريفيستا ماسونيريا" و"فري ميسوني كرونيكل" ثم جاءني البريد بأعداد كاملة من كتابات سرية للغاية لم أستطع أن أخمن حتى الآن من هو مرسلها. ثم وصلتنى عدة أعداد قديمة من "لاتوميا". باختصار فقد تحصلت مع الوقت على كم هائل من المراجع للدرجة التي أثارت مخاوفي بألا أستطيع السيطرة على الموضوع. ومن هذا المكان أتوجه بالشكر لكل السادة المتطوعين الأفاضل شكرًا قلبيًا، فسرعان ما أصبح عندي مكتبة ماسونية كاملة يقترب عددها في الوقت الحالي من المائة. ولقد شكلت نحو خمسة آلاف مذكرة دونتها من هذه المكتبة العمل التحضيرى لهذا الإنجاز. ولقد اضطررت للتغاضي عن الكثير والكثير جدًا بسبب ضيق الحيز، حيث يجب على الكتاب أن يكون مختصرًا وغزير المحتوى وبالتالي محفزًا على قراءته لكي يؤثر مباشرة على الشعب.

ولقد كان من السهل عليَّ كتابة عدة أجزاء سميكة ذات مئات الصفحات، فالمادة متوافرة، لكننى قاومت تلك الرغبة وحصرت نفسي في أضيق حيز ما أمكن ذلك.

وإنني لأدين بالفضل في بعض الاقتباسات لكتابات "هرمان جروبر" والذي هو واحد من أدق العارفين بالماسونية وأكثرهم قراءة ويتم نقل كتاباته بواسطة

الإخوان أنفسهم دونما مراجعة، وتلك علامة على الثقة الكاملة فيه. ومن المعارضين الآخرين للماسونية والذين استعنت ببعض المواضع من كتاباتهم أذكر هنا بشكل خاص دكتور "بيتر جرهارد" ("الماسونية والسياسة") ودكتور "براوفايلر" كما استعنت بشكل مكثف بمجموعة المحاضرات القيمة: ماسونية النمسا- المجر، كما أسدى لي كتاب دكتور "فالتر" عن الماسونية خدمات جليلة والذي نقل عن منابع فرنسية.

كما تم ذكر الكتب والصحف الماسونية دائمًا بشكل واضح في الهوامش أو في النص نفسه لكي أوفر علي القارىء ذكر قوائم شاقة.

وعلى كل حال فلقد تم تحذيري من عدة جهات من المخاطر الواقعة عليَّ من جراء كشف أسرار ماسونية ولقد تم تذكيري بمصير النائب الفرنسي "سيفيتون" وبمقتل "وليام مورجان" وبالنهاية الغامضة للماركيز "دي موريه" وبحوادث الوفيات المجهولة لكل من النقيب "باليريو" ورئيس البلدية "لورنكو" ولجريمة اغتيال "جان فوريه" في بداية الحرب، وعدة حوادث أخرى غابت عن ذاكرتي منذ زمن.

وكل ذلك لم يحول بيني وبين تصميمي على تبصير شعبنا الألماني المسكين والمهان والمكمم، ويضاف لذلك فكرة أن الماسونيين- كما هو معروف- هم قوم أذكياء وحذرون بشكل غير عادي، فإذا ما نفذوا أمرًا ما ضدي، فإن العالم كله سوف يشير بأصابعه عليهم كمدبرين معنويين ومحرضين، وذلك أمر غير مرغوب بالمرة ويؤدي لخسائر فادحة لشئونهم كما أنه لا يمكنهم معرفة ما إذا كانت إحدى الجهات ستقوم بالانتقام عملاً بالمبدأ الأساسي في العهد القديم ألا وهو أن العين بالعين أو الشيء بالشيء نفسه. فالمرء يعرف اليوم اسماء وأماكن سكن "أمراء الماسونيين" وسيعرف كيف يجدهم عند الضرورة ودونما وساطة من "شرلوك هولمز" وحتى ذلك السيد القصير الرقيق في منتصف العمر فالمرء يعرفه، وهو الذي تولى منذ فترة قصيرة قيادة المحفل الكبير الجديد، وهو يبدو أمام العلن في

مظهر نافر غير مبرر ويحرص على الحفاظ على سر اسمه بأي ثمن، غير أن العلن لا يبدي نفورًا منه، وهو الراعي الأعلى لمحفل "هومانيتات" والذي يحرص على أن يتجول بيننا متوشحًا بظلام دامس على الرغم من الجمهورية وحرية المحافل. وما هي محصلة ذلك؟ محصلة ذلك هي أنه باستطاعة أصدقائى أن يناموا قريرى الأعين بلا هواجس..

لقد كان أمرًا حتميًا أن يتم إنجاز الكتاب. لقد كانت ضرورة أخلاقية، كما كان حتميًا أن يتم ذلك على يد سياسى ذي وعي ألماني وليس من جانب جهة يشتبه المرء في أن تكون "إكليروسية" أو من "غلاة البابويين" أو "ذات نفحة جيزويتية" ولقد فعل "الإكليروسيون" حقًا ما فيه الكفاية بهذا الصدد بغرض مكاشفة الشعب، فإذا كان أحد لم يصدقهم فذلك ذنبنا الشخصي بنسبة كبيرة.

والآن كلمة أخرى في شأن الجمهورية. أن أي قاريء سليم الطوية سوف يتوصل من خلال شروحي إلى محصلة أنني لا أكن في نفسى شيئًا ذا بال ضد الشكل الجمهوري، لكن وجهة نظري هي:

أن جمهورية ألمانية – نمساوية صالحة تدار بواسطة "ألمان" فيها كل فرد مفعم بإرادة فياضة للصالح العام هي أفضل عندي مائة مرة من ملكية سيئة.

وفي المقابل فالملكية الصالحة بقيادة إمبراطور ألماني مؤهل ومنتصح جيدًا وذكي وقادر على العمل وكفء ويُعتمد عليه هي أفضل عندي ألف مرة من جمهورية عسكرية أو تدار بواسطة محامين تحت قيادة "أمير ماسوني" من عينة "آيزنر" أو "لينين" أو "رادك" أو "كون".

المؤلف في سطور:

فريدريش فيختل

لا نعرف كثيرًا عن المؤلف، فلم يقدم لنا نفسه في الكتـاب، اللهـم إلا مـن خلال الغلاف الخارجي وسياق النص نفسه. فهو إذن سياسي نمساوي يسبق اسـمه لقب "دكتور" ونائب برلماني ومن المدافعين عن النظام الإمبراطوري النمـساوي – المجري الذي انهار بعد الحرب العالمية الأولى، ومتعاطف مع القومية الألمانية.

المترجم في سطور:

عثمان محمد عثمان

درس الهندسة في جامعة "جراتس" بالنمسا في فترة الستينيات من القرن الماضي وحصل على الدبلوم العالي في الهندسة الأقتصادية عام ١٩٧١، وانشغل في نفس الوقت في أعمال الترجمة من الألمانية كمترجم حر بدأ من التراجم الهندسية والاقتصادية، ثم تفرغ لها تمامًا بعد بلوغه سن التقاعد.

التصحيح اللغوى: ياسـر مكـي

الإشـراف الفـنى: حـسن كامـل

هذا كتاب "أثرى" مطبوع منذ نحو مائة عام (1919) سوف نجد فيه ضمن ما نجد، انقلاباً على ثوابت تاريخية ورموز طالما سلمنا بأنهم محررون لشعوبهم وأبطال قوميون، فالمؤلف هنا يتفحص تلك الثوابت من خلال مجهر دقيق ، فإذا بعالم آخر يتكشف أمامنا .. عالم يشغى بكائنات حية دقيقة لا ترى بالعين المجردة تروح وتجيء هنا وهناك، تبنى هنا وتهدم هناك... تقيم دولاً وتهدم ممالك. ويتناول الكتاب ذلك التنظيم الماسونى وكيف ينشأ وما هى طقوسه وقوانينه، وذلك بتفصيل شديد، كما يتناول بدايته التاريخية ونموه وانتشاره ثم هيمنته على نظم الحكم وتأليبه للثورات وتحريضه على الانقلابات والاغتيالات فى دول أوروبية وأمريكية وتركيا، كما يتناول تغلغل اليهود فيه وإحكام سيطرتهم عليه بعدما يربط بين طقوسه ورموزه والمعتقدات اليهودية.

لقد تناولت الماسونية كتابات عديدة وأبحاث شتى غير أن هذا الكتاب ربما يكون أكثرها مصداقية، لأن مؤلفه يدون أحداثًا يعاصرها، كما أنه يوثق كل معلومة أو حدث من واقع وثائق ماسونية و رسمية منشورة.

وهو كتاب جدير بالقراءة لخطورته حيث إن أحداثًا كثيرة فيه قد تفسر لنا أموراً خفيت عنا فى الأزمان التالية لكتابته وحتى يومنا هذا.

تصميم الغلاف : احمد عبد الحميد